

صوفي هانا

لفز
هيريكل بوارو
الجديد كليًا



التابوت المغلق

أجاثا كريستي
مكتبة الرمحي أحمد

مكتبة | 275

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a bookstore

أجاثا كريستي

التابوت المغلق

لفز هيركيول بوارو الجديد كليًا

صوفي هانا

إهداء

إلى ماري من جديد



للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarir.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublishations@jarirbookstore.com

تحديد مسؤولية / إخلاء مسؤولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والنتيجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة للكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسؤولية ونخلي مسؤوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لفرض معين. كما أننا لن نتحمل أي مسؤولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى ٢٠١٨

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.
Copyright © 2018. All rights reserved.

Agatha Christie

Closed Casket © 2016 Agatha Christie Limited.

AGATHA CHRISTIE® POIROT® and the Agatha Christie signature are registered trademarks of Agatha Christie Limited in the UK and elsewhere. All rights reserved.

Agatha Christie™

Closed Casket

THE NEW HERCULE POIROT MYSTERY

SOPHIE HANNAH

للحصول على كتبنا قبل الجميع

بروابط تحميل مباشرة

تابعونا

على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

facebook.com/ktabpdf

على تيليجرام

[@ktabpdf](https://telegram @ktabpdf)

من إصدارات صوفي هانا الأخرى

Little Face

Hurting Distance

The Point of Rescue

The Other Half Lives

A Room Swept White

Lasting Damage

Kind of Cruel

The Carrier

The Orphan Choir

The Telling Error

The Monogram Murders

Pictures Or It Didn't Happen

A Game for All the Family

The Narrow Bed

إلى ماثيو وجيمس بريكارد والعائلة،
مع حبي.

شكر وتقدير

أشعر بالكثير من الامتنان إلى الأشخاص الرائعين التالية أسماؤهم، والذين كرسوا أنفسهم من أجل إلهام الآخرين:

جيمس بريكارد، ماثيو بريكارد، هيلاري سترونج، كريستيان ماكفيل، جوليا وايلد، ليديا ستون، نيكى وايت، وجميع العاملين في مؤسسة أجاثا كريستي المحدودة، دافيد براون، كايت إلتون، لاورا دي جيسيبي، سارة هودجسون، فليس دينهام، وإلى جميع العاملين في مؤسسة هاربر كولينز في المملكة المتحدة، دان مالوري، كايتلين هاري، جينيفر هارت، كاثرين جوردون، دانييل بارتلت، لياتي ستيهليك، مارجو ويزمان، وفريق عمل ويليام مارو، بيتر شتراوس، وماتيو تيرنر من مؤسسة روجر وكولريدج ووايت.

كما أشكر جميع الناشرين الذين نشروا روايات بوارو في جميع أنحاء العالم، ولن يمكنني ذكرهم بالاسم هنا لكثرتهم، ولكنني أشكر من سيوصلون تلك الرواية إلى القراء في جميع أنحاء العالم. كما أنني أشعر بالكثير من الامتنان لكل من قرأ واستمتع برواية جرائم الأحرف المزخرفة، أو راسلني

عبر البريد أو البريد الإلكتروني أو موقع تويتر ليخبرني بذلك. كذلك أوجه الشكر لكل من: أديل جيراس، كريس جريبيل وجون كوران، الذين قرأوا المسودات الأولى للرواية وناقشوني بشأن الأفكار الأولى ووجهوا لي التعليقات التي أفادتني كثيرًا. كما أشكر روبرت بييل على خبرته في مرض الكلى المزمن، وإلى جاي مارتلان على استعداده للتحدث عن الاحتمالات الطبية معي. كما أشكر أدريان بول على مشاركته معرفته عن مسرحية الملك جون لشكسبير، وإلى مورجان وايت على جمع كل ما احتجت إلى معرفته عن أيرلندا في عام ١٩٢٩.

كما أتوجه بجزيل الشكر إلى جايمي بيرنثال الذي ساعد بجميع الطرق الممكنة منذ البداية وحتى النهاية، فمن دونه لأصبحت هذه الرواية أسوأ بكثير مما هي عليه وأقل مرحًا في كتابتها – بل وأكثر قلقًا – ولم نكن لنحصل على مخططات منزل ليلي أوك.

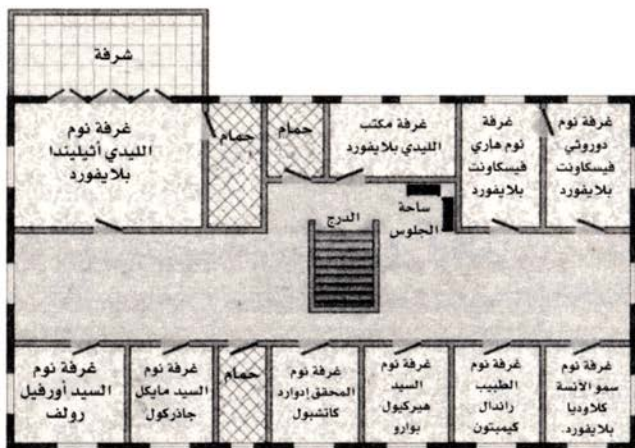
كما أنني سأظل دومًا أدين بالفضل إلى دعم دان وفويب وجاي جونز، عائلتي الرائعة. وأخيرًا وليس آخرًا، أنا ممتن جدًا للكلبي، بروستر، الذي استخدم كأحدى شخصياتي كطريقة لإقناعي بأن منزل ليلي أوك يجب أن يوجد به كلب. إنه كلب مزهو بنفسه جدًا، وربما يعتقد الآن أن رواية بوارو تلك تتحدث عنه (لا شك في أن كل سطر قد فكرت فيه طوال أشهر في سبيل تحقيق عنوان الرواية، ولكن بصيغة المخاطب).

المحتويات

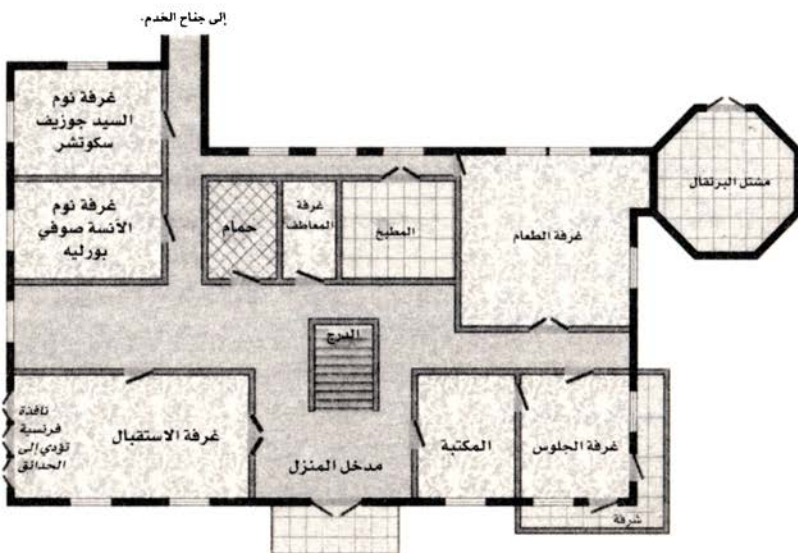
٣	١ . وصية جديدة
١٦	٢ . لمُ شمل مفاجئ
٢٧	٣ . اهتمام خاص بالموت
٢٧	٤ . معجب غير متوقع
٤٧	٥ . دموع قبل العشاء
٥٢	٦ . الإعلان
٦٣	٧ . رد الفعل
٧٤	٨ . نزهة في الحداثق
٨٥	٩ . الملك جون
٩٨	١٠ . التابوت المفتوح
١٠٩	١١ . الأصوات التي سُمعت مصادفة
١١٧	١٢ . صوفي توجه أصابع الاتهام
١٢٥	١٣ . تدخل الجاردا
١٣٩	١٤ . قائمتا الليدي بلايفورد
١٤٨	١٥ . الرؤية والسمع والنظر
١٥٤	١٦ . الاكتئاب
١٦٢	١٧ . الساعة الأثرية
١٦٨	١٨ . من دون مقابل

١٧٤	١٩. امرأتان تُدْعيان أيريس
١٨٣	٢٠. سبب الوفاة
١٩٣	٢١. سؤال عن التابوت
١٩٨	٢٢. في بستان البرتقال
٢٠٧	٢٣. التحقيق
٢٢٣	٢٤. صوفي توجه اتهامًا آخر
٢٣١	٢٥. شريمب سيدون والابنة الفيور
٢٣٦	٢٦. تعريف كيمبتون للمعرفة
٢٤٤	٢٧. قصة أيريس
٢٥٥	٢٨. اعتقال محتمل
٢٦٢	٢٩. سجن ذي جرابر
٢٦٨	٣٠. أكثر من مجرد حب
٢٨١	٣١. خطة الليدي بلايفورد
٢٩٣	٣٢. حصان السباق المخطوف
٢٩٩	٣٣. الأمران الحقيقيان
٣٠٨	٣٤. الدافع والفرصة
٣٢٣	٣٥. كان يمكن للجميع فعلها، ولكن لم يفعلها أحد
٣٣٢	٣٦. التجربة
٣٤٧	٣٧. بوارو يفوز فوزًا ساحقًا
٣٦٦	خاتمة

الجزء الأول



الطابق الأول



الطابق الأرضي

الفصل ١

وصية جديدة

حدد مايكل جاذركول في الباب المغلق أمامه وحاول أن يقنع نفسه بأنه قد حان الوقت لطرقه، بينما كانت الساعة القديمة في ردهة المنزل تدق في حشجة معلنة رأس الساعة.

كانت التعليمات التي تلقاها جاذركول تنص على أن يكون حاضراً بشخصه في تمام الرابعة، وكانت الساعة تشير إلى الرابعة تماماً. وقف جاذركول هنا - عند المدخل الأمامي لمنزل ليلي أوك - مرات عدة على مدار السنوات الست السابقة. ولمرة واحدة فقط من تلك المرات شعر بأنه غير مرتاح أكثر من اليوم. ففي تلك المرة كان أحدَ رجلين ينتظران، ولم يكن بمفرده كما هي الحال اليوم. كان لا يزال يذكر كل كلمة تبادلها مع الرجل الآخر، على الرغم من أنه كان يفضل أن ينساها. وتمكن، بمساعدة ضبط النفس الذي يطبقه على نفسه، من أن ينفذ عن رأسه تلك الذكرى.

كان قد حُذر من أن اجتماع عصر اليوم قد يكون صعباً. وقد جاء التحذير منفصلاً عن الدعوة للحضور، الأمر الذي كان معتاداً من مضيفته. "ما سأقوله لك سيصدمك..."

لم تكن هناك أية شكوك تراود جاذركول. ولم تكن الملحوظة الأولى ذات فائدة بالنسبة له، حيث إنها لم تحتو على أية معلومات عن نوعية الاستعدادات التي يجب أن تكون.

وما زاد من قلقه أنه عندما أخرج ساعته من جيبه، وجد أنه بسبب تردده، وبسبب إخراجها لساعته من جيبه وإعادتها إليه مرة أخرى، ثم إخراجها من جديد لينظر إليها، قد تأخر عن مواعده. فالساعة كانت تشير الآن إلى دقيقة واحدة بعد الساعة الرابعة؛ فطرق الباب.

قال لنفسه: لقد تأخرت دقيقة واحدة. ستلاحظ التأخير – هل هناك شيء لا تلاحظه؟ – ولكن، مع بعض الحظ، قد لا تعلق على الأمر.

قالت الليدي أثيليندا بلايفورد بصوت متحمس أكثر من أي وقت مضى: "ادخل يا مايكل". كانت في السبعين من عمرها، وكان صوتها قوياً وواضحاً كالجرس الجديد. لم يكن جاذركول قد رآها بهذه الجدية من قبل. فقد كانت دوماً تسعى إلى الإثارة – حتى مع تلك الأمور التي قد تقلق البشر العاديين. كانت الليدي بلايفورد تمتلك موهبة استخراج أكبر قدر من المتعة من بين الأمور التافهة وكذلك الأمور الجدية.

وكان جاذركول معجباً بقصصها عن الأطفال السعداء الذين يحلون الألغاز التي استعصت على الشرطة المحلية منذ أن قرأ القصة الأولى عندما كان صبيّاً وحيداً في العاشرة من عمره يعيش في أحد ملاجئ أيتام لندن. ومنذ ست سنوات، التقى بمبتكرة تلك الشخصيات للمرة الأولى، واكتشف أنها امرأة غامضة ولا يمكن التنبؤ بتصرفاتها تماماً مثل كتبها.

ولم يكن يتوقع أنه سيُبلي حسنًا لهذه الدرجة في مهنته المختارة، ولكنه فعل، بفضل أثيليندا بلايفورد: كان لا يزال في السادسة والثلاثين من عمره، وكان شريكًا في شركة محاماة ناجحة: جاذركول ورولف. فقد كانت فكرة أن هناك شركة ناجحة تحمل اسمه لا تزال تربكه حتى بعد مرور تلك السنوات.

كان ولاؤه إلى الليدي بلايفورد يتخطى جميع التزاماته الأخرى في حياته، إلا أن العلاقة الشخصية التي جمعتهم بمؤلفته المفضلة أجبرته على أن يقر لنفسه بأنه كان يفضل الصدمات والتحولات المفاجئة للأحداث التي كان يراها من مسافة آمنة في عالم الخيال، وليس على أرض الواقع. إلا أن الليدي بلايفورد، بكل تأكيد، لم تشاركه هذا الأمر. بدأ يفتح الباب.

قالت الليدي بلايفورد: "هل ستدخل أم... آه، ها أنت ذا. لا تتجول في الغرفة. اجلس، اجلس. لن يُجدي الأمر إن لم نبدأ على الفور". عندها جلس جاذركول.

فابتسمت الليدي بلايفورد له قائلة: "مرحبًا يا مايكل"، فشعر مايكل بهذا الشعور الغريب الذي يكتنف حواسه دومًا — كما لو أن عينيها تحملانه وتديرانه حول نفسه ثم تضعه في مكانه من جديد. قالت: "والآن، يجب أن تقول: مرحبًا يا آثي. هيا، قلها. فبعد كل سنوات معرفتنا، أعتقد أن قولها سيكون سهلًا. لا تقل: عمت مساءً يا سيدتي، ولا: طاب يومك يا ليدي بلايفورد... كل ما أريده هو تحيتك الودودة: مرحبًا يا آثي. هل الأمر صعب عليك؟". صفقت بيديها، ثم استطردت قائلة: "إنك تبدو مثل جرو الثعلب الذي وقع في الأسر. إنك لا تفهم سبب دعوتي لك لتقضي أسبوعًا معي في منزلي، أليس كذلك؟ أو سبب دعوة السيد رولف أيضًا".

هل ستكفي الترتيبات التي أعدها جاذركول لتغطية غيابه وغياب أورفيل رولف؟ لم يحدث من قبل أن غاب كلاهما عن المكتب طوال خمسة أيام متتالية، إلا أن الليدي بلايفورد كانت أهم عملاء الشركة، ولا يمكن أن يرفضوا أي طلب تطلبه.

قالت الليدي بلايفورد: "أعتقد أنك تتساءل عما إذا كان هناك مدعوون آخرون يا مايكل. سنتحدث عن كل هذا، ولكني ما زلت أنتظر أن تقول: مرحباً". لم يكن أمامه خيار آخر. لم تكن التحية التي تطلبها منه كلما التقيا لتخرج من فمه من تلقاء نفسها. كان رجلاً يحب أن يحافظ على القواعد، ولولم تكن هناك قاعدة تمنع رجلاً مثله من أن يدعو أرملة ثرية نبيلة - أرملة الفيكونت بلايفورد، الفيكونت الخامس لكلوناكيلتي - باسم "آي"، لكان جاذركول متحمساً لقولها دون أدنى شك.

لم يكن الأمر محبباً بالنسبة له، فقد كانت - كما كان يحدث نفسه دائماً - الليدي بلايفورد، التي قد يفعل أي شيء من أجلها، تتجاهل القواعد في جميع تصرفاتها، وكانت تسخر من أولئك الذين يتبعونها بإطلاقها عليهم لقب "العصي المملة الجافة".

قال جاذركول: "مرحباً يا آي".

قالت الليدي بلايفورد: "أخيراً"، وفردت ذراعها أمامها بطريقة امرأة تدعو الرجل الذي أمامها ليعانقها، ولكن كان جاذركول يعلم أن هذا لم يكن ما تقصده، ثم استطردت قائلة: "لقد نجوت من المحنة. والآن، استرخ. ولكن ليس كثيراً، فأمامنا الكثير من الأمور لتداولها - بعد أن نتحدث عن الرزمة التي أمامي".

كان من عادة الليدي بلايفورد أن تصف الكتاب قيد التأليف بأنه "رزمة". فقد كان أحدث كتبها يستقر على ركن المكتب، حيث رمقته بنظرة

ممتعة. لم يبدأ الكتاب بالنسبة إلى جاذركول كرواية قيد التأليف، بل بدا وكأنه دوامة متكررة في هيئة أوراق: كانت الأوراق مجمدة وحوافها مثنية، وكانت كثير من الأوراق تبرز من جميع جوانب الرزمة دون نظام. لم تكن الأوراق منظمة في شكلها المستطيل المعتاد.

فجأة نهضت الليدي بلايفورد من مقعدها الوثير بجوار النافذة. فهي لم تكن تنظر خارج نافذتها مطلقاً، كما لاحظ جاذركول. وعندما يكون أمامها إنسان لتنظر إليه، لم تكن تضيع وقتها في تأمل الطبيعة. كانت غرفة مكتبها تطل على منظر طبيعي رائع: حديقة الورود، ومن خلفها مرج أخضر مربع، وفي منتصفه تمثال رائع الجمال أهدها زوجها جاي، الفيكونت بلايفورد الراحل، في ذكرى زواجهما الثلاثين.

كان جاذركول يتأمل دومًا التمثال والمرج الأخضر وشجيرات الورود كلما زار المنزل، وكذلك الساعة الأثرية القديمة في البهو، ومصباح الطاولة البرونزي في المكتبة ذا الزجاج اللامع وقمته المزخرفة بطرز الأصداف، وكان يمتلك كل الحق في أن يفعل. لقد كان معجبًا من الثبات الذي يكتنف تلك الأشياء؛ فقد كان يبدو أن الأشياء - يقصد جاذركول هنا الأشياء الجامدة وليس الأمور بوجه عام - نادرًا ما تتغير في منزل ليلي أوك. كان التفحص الدقيق المتواصل لكل شخص تلتقيه الليدي بلايفورد يعني أنها لن تتمكن من أن تعبر الكثير من الاهتمام لأي شيء لا يتحدث.

في غرفة مكتبها، حيث كانت تجلس مع جاذركول الآن، كان هناك كتابان مقلوبان رأسًا على عقب في المكتبة الكبيرة التي تقف مستندة إلى أحد الجدران: شريمب سيدون وعقد اللؤلؤ، وشريمب سيدون وهدايا العيد. ظل هذان الكتابان مقلوبين منذ زيارة جاذركول الأولى للمنزل. وبعد ست سنوات كاملة، لو كان رأهما غير مقلوبين، لشعر بأن هناك خطبًا ما. لم

يكن من المسموح به وضع أعمال مؤلفين آخرين على تلك الرفوف، فقط مؤلفات أثيليندا بلايفورد. كانت أغلفة الكتب تضي بعض اللمعان الذي تحتاج إليه تلك الغرفة المصنوعة بالكامل من الخشب - أشرطة حمراء وزرقاء وخضراء وبنفسجية وبرتقالية، الألوان التي تروق الأطفال - على الرغم من أنها لم تكن تتوافق مع شعر الليدي بلايفورد الفضي اللامع الكثيف.

جلست الليدي بلايفورد في مواجهة جاذركول، وقالت: "كنت أريد التحدث معك عن وصيتي يا مايكل، وأن أطلب منك معروفًا. ولكن أولاً: هل تعتقد أن هناك طفلاً - طفلاً عادياً - قد يعلم شيئاً عن العمليات الجراحية لتعديل شكل الأنف؟".

قال جاذركول: "الأنف؟". كان جاذركول يرغب في سماع ما تريد أن تقوله عن الوصية أولاً، ثم يعرف المعروف الذي تطلبه بعد ذلك. لقد كان الأمران يبدوان مهمين، وربما مرتبطين. وكانت وصية الليدي بلايفورد جاهزة منذ فترة، وكان كل شيء كما أرادته تمامًا. هل يمكن أنها ترغب في تغيير بنودها؟

قالت الليدي بلايفورد: "لا تفض يا مايكل. إنه سؤال في منتهى البساطة. بعد حادث سيارة سيئ أو من أجل إصلاح تشوه ما. جراحة تغيير شكل الأنف. هل يمكن لطفل أن يعرف مثل تلك الأمور؟ هل يمكنه أن يعرف اسمها؟".

قال جاذركول: "أظن أنني لا أعلم".
قالت الليدي بلايفورد: هل تعرف أنت اسمها؟".
قال جاذركول: "سأقول عنها إنها جراحة، سواء كانت في الأنف أو في أي عضو آخر من أعضاء الجسم".

قالت الليدي بلايفورد مقطبة جبينها: "أعتقد أنك تعرف الاسم ولكنك لا تدري أنك تعرفه. إن هذا الأمر يحدث في بعض الأحيان. حسنًا، دعني أ طرح عليك سؤالاً آخرًا: أنت تعمل في شركة توظف عشرة رجال وامرأتين. وتسمع بعضًا من الرجال يتحدثون عن امرأة ويطلقون عليها اسم: وحيد القرن". قال جاذركول: "يا له من تصرف لا ينم عن الشهامة".

قالت الليدي بلايفورد: "لا تهتم بتصرفاتهم، فبعد بضع لحظات، تعود المرأتان من راحة الفداء. إحداهما جميلة الوجه، ونحيفة وهادئة الطباع، ولكنها ذات وجه غريب الشكل. لا أحد يعلم ما ألم به، ولكن هناك أمرًا ما غريبًا بشأنه. أما المرأة الأخرى فضخمة الجثة – ضعف حجمي على أقل تقدير". وكانت الليدي بلايفورد متوسطة الطول، ممتلئة الجسم، وتميل كتفها إلى الخلف، الأمر الذي منحها مظهر الأشخاص المتسلطين. ثم استطردت الليدي بلايفورد حديثها قائلة: "علاوة على ما سبق فإن وجهها تعلوه نظرة شرسة. والآن، أي من المرأتين تعتقد أنها ستكون وحيد القرن؟". أجابها جاذركول على الفور: "المرأة الضخمة الشرسة".

قالت الليدي بلايفورد: "ممتاز... أنت مخطئ. ففي قصتي، سيتضح في النهاية أن وحيد القرن هي المرأة النحيفة ذات قسمات الوجه الغريبة – وهذا لأنها، كما تعلم، ذات أنف تم ترميمه جراحياً بعد حادث تعرضت له، وهي عملية تحمل اسم راب الأنف". قال جاذركول: "لم أكن أعلم هذا".

قالت الليدي بلايفورد: "ولكني أخشى أن الأطفال لن يعرفوا هذا الاسم، وهم من أولف رواياتي من أجلهم. إن لم تكن قد سمعت من قبل بجراحة راب الأنف"، ثم تنهدت وقالت: "إنني مترددة. لقد كنت متحمسة جداً عندما وانتني تلك الفكرة للمرة الأولى، ولكنني بدأت أقلق بشأنها. هل سيكون الأمر

علمياً للغاية أن أبني صلب موضوع الرواية بالكامل حول عملية جراحية؟ لا يوجد أحد يفكر في العمليات الجراحية حتى يكون مضطراً لذلك – إن كانوا سيخضعون لها هم أنفسهم. أما الأطفال، فلا يفكرون في مثل هذه الأمور، أليس كذلك؟".

قال جاذر كول: "تعجبني الفكرة. يمكنك أن تبرزني أن المرأة النحيفة لا تمتلك وجهاً غريباً فحسب، بل أنفاً غريباً أيضاً لكي توجهي قراءك نحو الوجهة الصحيحة. يمكنك أن تذكرني في بداية القصة أنها حصلت على أنف جديد، بفضل جراح خبير، ويمكنك أن تجعلني شريمب تكتشف بطريقة ما اسم العملية الجراحية، وتجعلني القراء يرون مدى دهشتها عندما تكتشف اسم العملية الجراحية".

كانت شريمب سيدون بطلة روايات الليدي بلايفورد وكانت تبلغ من العمر ١٠ سنوات، وهي قائدة مجموعة من المحققين الأطفال.

قالت الليدي بلايفورد: "إذن سيرى القراء الدهشة أولاً وليس الاكتشاف نفسه. نعم، وربما نقول شريمب لبودج: لن تخمّني أبداً ما اسم العملية الجراحية... ومن ثم يقاطعها شخص ما، ويمكنني أن أضع فصلاً كاملاً يتحدث عن أحداث أخرى – ربما إلقاء الشرطة بغبائها. المعتاد القبض على الشخص الخطأ، وربما يزداد غباؤهم أكثر من أي وقت مضى عبر أن يلقوا القبض على والد شريمب أو والدتها – وبالتالي، يمكن لأي من القراء أن يذهب إلى أحد الأطباء لاستشارته أو أن يتصفح إحدى الموسوعات إن أراد. ولكنني لن أطيل الأحداث قبل أن تكشف شريمب اللغز. نعم. مايكل، كنت أعلم أنه يمكنني الاعتماد عليك، لقد تم الأمر إذن. والآن، فيما يتعلق بوصيتي...".

عادت الليدي لتجلس على مقعدها بجوار النافذة واستقرت في جلستها وقالت: "أريدك أن تكتب وصية جديدة من أجلي".

بدأت الدهشة على وجه جاذركول، فطبقاً لبنود وصية الليدي بلايفورد الحالية، سيتم تقسيم ممتلكاتها بالتساوي، في حالة موتها، بين ابنيها الحيين: ابنتها كلاوديا وابنها هاري، فيكونت بلايفورد السادس لكلونا كيلتي. وهناك ابنها الثالث، نيكولاس، الذي توفي في سن صغيرة.

قالت الليدي بلايفورد بصوت واضح: "أريد أن أترك كامل ممتلكاتي إلى سكرتيري جوزيف سكوتشر".

مال جاذركول نحو الأمام في مقعده. لم يتمكن من تجاهل تلك الكلمات البغيضة. لقد سمعها بالفعل، ولم يتمكن من التظاهر بأنه لم يسمعها.

هل هذا تخريب متعمد لممتلكاتها؟ لا يمكن أن تكون جادة. لا بد من أن هناك خدعة ما. نعم، لقد أدرك جاذركول ما تحاول فعله: التحدث عن الأمر التافه أولاً – وحيد القرن وجراحة رأب الأنف، حديث ممتع وجذاب للغاية – ومن ثم تتحدث عن هذا العبث كما لو كانت تقدم عرضاً جاداً. قالت الليدي بلايفورد: "أنا في كامل وعيي وجادة تماماً يا مايكل. وأريدك أن تفعل ما طلبته منك، وقبل أن يحل موعد العشاء الليلة من فضلك. لم لا تبدأ على الفور؟".

قال جاذركول: "ليدي بلايفورد ...".

قاطعته الليدي بلايفورد مصححة: "آثي".

قال جاذركول: "إن كان هذا موضوعاً بعيداً عن قصة وحيد القرن التي تجريينها عليّ —".

قالت الليدي بلايفورد: "إنها ليست كذلك بالطبع يا مايكل. فأنا لم أكذب عليك من قبل مطلقاً. ولا أكذب عليك الآن، وأريدك أن تعد وصية جديدة من أجلي. سيرث جوزيف سكوتشر جميع أملاكى".

قال جاذركول: "ولكن، ماذا عن أبنائك؟".

قالت الليدي بلايفورد: "كلاوديا على وشك أن تتزوج برجل أكثر منى ثراءً، راندال كيمبتون. وستكون على خير ما يرام. وهاري ذكي ومتزوج من امرأة ثرية تعوله. أما جوزيف المسكين، فإنه يحتاج إلى أملاكى أكثر من كلاوديا وهاري".

قال جاذركول: "أرجو أن تعيدي التفكير في الأمر قبل أن —".

قاطعته الليدي بلايفورد: "مايكل، لا ترهق نفسك. هل تعتقد أن تلك الفكرة وانتني للمرة الأولى عندما كنت تطرق باب غرفتي منذ دقائق، أم أني كنت أفكر فيها طوال أسابيع أو أشهر؟ لقد فعلت مثلما تصحني تمامًا، فقد فكرت في الأمر كثيرًا، وأكد لك هذا. والآن: هل ستشهد على وصيتي الجديدة أم أرسل في طلب السيد رولف؟".

لهذا السبب إذن تمت دعوة أورفيل رولف أيضًا إلى منزل ليلي أوك تحسبًا لأن يرفض، جاذركول، تنفيذ طلبها.

قالت الليدي بلايفورد: "كما أن هناك تغييرًا آخر أود أن أضيفه على وصيتي في ذات الوقت: المعروف الذي ذكرته، إن كنت تتذكر. بالنسبة لهذا المعروف، يمكنك أن ترفض إن رغبت، ولكني آمل ألا ترفض. حاليًا، كلاوديا وهاري هما الوصيان على أعمالى الأدبية بعد مماتى. ولكن، هذا الأمر لم يعد يناسبني. وسيشرفتي أن تكون أنت، يا مايكل من يتولى هذه المهمة".

قال جاذركول: "أن... أن أكون أنا الوصي على أعمالك الأدبية؟". لم يتمكن جاذركول من أن يسعد بهذا الشرف. ظل لنحو دقيقة كاملة غير قادر على التحدث. إن كل هذه الترتيبات خطأ. ماذا سيقول أبناء الليدي بلايفورد عن جميع تلك الأمور؟ لا يمكنه أن يقبل العرض.

سألها جاذركول أخيرًا: "هل يعلم هاري وكلاوديا بشأن ما تتوين فعله؟". أجابت قائلة: "لا، ولكنهما سيعرفان الليلة في أثناء العشاء. وسيعلم جوزيف أيضًا في الوقت نفسه، لكن في هذه اللحظة، لا أحد يعلم سوى أنا وأنت".

قال جاذركول: "هل هناك أي خلاف حدث في العائلة ولا أعلم عنه شيئًا؟".

ابتسمت الليدي بلايفورد، وقالت: "كلا، على الإطلاق. أنا وهاري وكلاوديا أصدقاء مقربون - حتى موعد العشاء الليلة على الأقل".

قال جاذركول: "أنا... لكن... إنك لا تعرفين جوزيف سكوتشر إلا منذ ٦ سنوات فقط. لقد التقيته للمرة الأولى في يوم لقائي الأول بك نفسه".

قالت الليدي بلايفورد: "لا حاجة بك لأن تخبرني بما أعلم بالفعل يا مايكل".

قال جاذركول: "في حين أن أبناءك... بالإضافة إلى أن جوزيف سكوتشر هي اعتقادي...".

فقالت: "قل ما يدور بذهنك يا عزيزي".

قال: "أليس سكوتشر مصابًا بمرض عضال؟"، ثم أضاف بصوت خافت: "ألم تعودى تعتقدين أنه سيموت قبلك؟".

لم تكن أثيليندا بلايفورد شابة، ولكنها كانت مفعمة بالحياة. وكان من الصعب بالنسبة لها أن تعتقد أنه يمكن لأي أحد يحب الحياة مثلها أن يُحرم منها.

قالت الليدي بلايفورد: "نعم، جوزيف مريض جداً. ويزداد ضعفاً يوماً تلو الآخر. وفيما يتعلق بقراري الغريب هذا، فأنا لم أخبر أحداً بهذا الأمر من قبل، ولكني أعتقد أنك تعلم أنني أحب جوزيف؟ أحبه كابن لي - كما لو كان من لحمي ودمي".

شعر جاذركول بضيق مفاجئ في صدره. نعم، لقد كان يعلم هذا. إن الفارق بين معرفة أمر ما وتأكيد صحته كبير. ولقد أدى هذا إلى أن تطرأ على ذهنه أفكار كان يتجاهلها، وكان يحاول جاهداً أن ينفذها عن ذهنه. فقالت الليدي بلايفورد: "لقد أخبرني جوزيف بأن الأطباء قالوا إن أمامه بضعة أسابيع فقط ليعيشها".

قال جاذركول: "ولكن... لقد زدت من حيرتي يا سيدتي. أنت ترغبين في كتابة وصية تصب في صالح رجل تعلمين جيداً أنه لن يكون على قيد الحياة ليستفيد من إرثه".

فقالت: "لا شيء مؤكد في هذا العالم يا مايكل". ثم قال: "وإن مات سكوتشر بسبب مرضه كما تتوقعين بعد أسابيع - فماذا سيحدث بعد ذلك؟".

قالت: "في تلك الحالة سنعود إلى الوصية الأولى. سيقسم هاري وكلاوديا ممتلكاتي فيما بينهما بالتساوي".

قال جاذركول، وقد بدأ قلق كبير ينبعث في صدره: "أريد أن أسألك عن شيء ما، واعدريني على جرأتي. هل هناك سبب يدعوك إلى أن تعتقدي أنك قد تموتين في وقت قريب؟".

ضحكت الليدي بلايفورد وقالت: "أنا؟ أنا قوية كالثور، وأعتقد أنني سأظل كذلك لسنوات قادمة".

قال جاذركول: "أعتقد إذن أن سكوتشر لن يرث شيئاً منك؛ لأنه سيكون قد مات قبلك بكثير، ولن تكون للوصية الجديدة التي تطلبينها مني أية فائدة عدا أنها ستسبب في الشقاق بينك وبين أبنائك".

قالت الليدي بلايفورد بتلذذ: "على العكس: قد تتسبب وصيتي الجديدة في حدوث أمر رائع".

تهجد جاذركول وقال: "أظن أنني ما زلت متحيراً".

قالت أثيليندا بلايفورد: "لا شك في هذا. وكنت أعلم أن هذا سيحدث".

الفصل ٢

لَمْ شَمَلْ مَفَاجِئُ

يخفي ويفشي: كلمتان متفقتان تماماً من حيث القافية، وقد تبدوان متناقضتين، ولكن، كما يعلم جميع رواة القصص المتمرسون، يمكن إقضاء الكثير من الأمور بفضل أصغر محاولات الإخفاء، وتختفي الاكتشافات الجديدة عادة كلما زاد وضوحها.

كل ما سبق محاولة خرقاء مني لأقدم نفسي على أني راوي القصة. وكل ما تعرفت عليه حتى الآن – عن لقاء مايكل جاذركول بالليدي أثيليندا بلايفورد – تم كشفه لك بواسطتي، ولكني بدأت رواية القصة من دون أن يكتشف أحد وجودي.

أنا إدوارد كاتشبول، أعمل محققاً في شرطة سكوتلاند يارد في لندن. لم تقع الأحداث الاستثنائية التي عرضتها سابقاً في لندن، بل في مدينة كلوناكيلتي، بمقاطعة كورك، في أيرلندا الحرة. التقى مايكل جاذركول بالليدي بلايفورد في غرفة مكتبها في منزل ليلي أوك في يوم ١٤ أكتوبر من

عام ١٩٢٩، وفي اليوم ذاته، وبعد لقاءهما بساعة واحدة، وصلت إلى منزل ليلي أوك بعد رحلة طويلة قطعتها من إنجلترا.

قبل هذا اليوم بستة أسابيع، وصلني خطاب محير من الليدي أثيليندا بلايفورد تدعوني إلى قضاء أسبوع كضيف لديها في منزلها الريفي. كما عرضت عليّ العديد من متع الصيد وإطلاق النار وصيد الأسماك – لم أكن قد مارست أيًا من تلك الأنشطة من قبل، ولم أكن متحمسًا لتجربتها، إلا أن مضيفتي المستقبلية لم تكن تعلم ذلك – ولكنها لم تذكر في الخطاب أي شيء عن سبب دعوتي للحضور.

ولقد وضعت الخطاب على الطاولة في غرفة الطعام وجلست أفكر فيما سأفعله. فكرت في أثيليندا بلايفورد – مؤلفة قصص بوليسية، وربما كانت أشهر مؤلفة لكتب الأطفال على الإطلاق – ثم فكرت في نفسي: رجل أعزب، شرطي، من دون زوجة، وبالتالي من دون أبناء يحتاجون لأن أقرأ لهم الكتب... لا، قررت أنه لا حاجة لأن يلتقي عالم الليدي بلايفورد بعالمي على الإطلاق – ولكنها أرسلت لي خطابًا، وهو الأمر الذي يجب أن أفعل شيئًا حياله.

هل أريد أن أذهب؟ ليس كثيرًا، لا – وهذا يعني أنني قد أذهب. فكرت أننا معشر البشر نحب أن نتبع أنماطًا ثابتة، وأنا لست استثناء لتلك القاعدة. وحيث إن الكثير من الأمور التي أفعلها في حياتي اليومية ليست أمورًا أفعلها باختياري، فإني أفترض أنه إذا كان هناك أمر ما أفضل ألا أفعله، فإن هذا يعني أنني سأفعله دون شك.

بعد بضعة أيام، كتبت خطابًا إلى الليدي بلايفورد وقبلت دعوتها بحماس شديد. كنت أشك أنها تأمل أن تستفيد من خبراتي كرجل شرطة وتستخدم المعلومات التي سأمنحها إياها في الكتب التي ستؤلفها في المستقبل.

وربما قررت أخيراً أن تعرف المزيد عن كيفية عمل الشرطة. فعندما كنت طفلاً، قرأت واحدة أو اثنتين من قصصها، وأذهلني اكتشاف أن كبار رجال الشرطة مجموعة من السذج غير القادرين على حل أبسط الألغاز من دون مساعدة من مجموعة من الأطفال المغرورين الصاخبين في العاشرة من العمر. فقد كان فضولي بشأن تلك النقطة هو ما أثار افتتاني برجال الشرطة – الاهتمام الذي قادني مباشرة إلى اختيار أن أكون شرطياً. الغريب في الأمر أنني لم أفكر من قبل في أن أشكر أثيليندا بلايفورد على ذلك.

خلال رحلتي إلى منزل ليلي أوك، قرأت رواية أخرى من رواياتها، لكي أنعش ذاكرتي، واكتشفت أن حكمتي عليها عندما كنت طفلاً كان صحيحاً: كان المشهد الختامي للرواية يتألف من الرقيب هافويت والمحقق إمبيسيل يتلقيان محاضرة من شريمب سيدون تعرض فيها عليهما سلسلة من الأدلة شديدة الوضوح والتي يمكن لكلبة شريمب البدينة كثيفة الشعر، أنيتا، أن تفسرها بالشكل الصحيح.

كانت الشمس في طريقها للمغيب عندما وصلت في تمام الخامسة، ولكن، كان لا يزال هناك ما يكفي من نور الشمس لأرى المشهد الرائع الذي يحيط بي. بينما وقفت أمام منزل الليدي بلايفورد المبني على طراز بالاديو المعماري والواقع على ضفاف نهر أرجيدين في مدينة كلوناكيلتي – مع الحداثق من خلفي والحقول عن يساري، وما بدا وكأنه حافة غابة عن يميني – كنت واعياً للمساحات الشاسعة من حولي – الألوان الزرقاء والخضراء للطبيعة التي لا يعكر صفوها شيء. تبادر إلى علمي قبل أن أغادر لندن أن مزرعة ليلي أوك تبلغ مساحتها ٨٠٠ فدان، ولكني لم أدرك ما يعنيه هذا سوى الآن: لا توجد حدود مشتركة بين عالمك وعالم أي إنسان آخر، وإن لم ترغب في ذلك، فلا يوجد أحد أو شيء قد يضيق الخناق عليك أو حتى

يقترب منك كما يحدث في المدينة. لذا، لا عجب من أن الليدي بلايفورد لم تكن تعلم أي شيء عن أسلوب عمل رجال الشرطة. وبينما كنت أستنشق الهواء العليل الذي لم أستشقه من قبل في حياتي، شعرت بالأمل ينمو في داخلي بأن أكون محققاً فيما يتعلق بسبب دعوتي إلى هنا. وفكرت في أن أغتني الفرصة وأقترح أن القليل من الواقعية من شأنها أن تحسن من مؤلفات الليدي بلايفورد كثيراً. وربما تتعاون شريمب سيدون وجماعتها، في الرواية القادمة، مع رجال شرطة بكفاءة أكثر من سابقهم...

انفتح باب منزل ليلى أوك الرئيسي، وبرز من فتحته رأس رئيس الخدم وحذقت عيناه إليّ. كان رجلاً متوسط القامة قوي البنية ذا شعر رمادي خفيف مع العديد من التفضنات والتجاعيد حول عينيه فقط من دون أن تظهر في أي مكان آخر من وجهه. كان الأمر أشبه بوضع عيني رجل عجوز في وجه رجل شاب.

كان التعبير البادي على وجه رئيس الخدم أكثر غرابة من وجهه، فقد كان يبدو عليه كأنه يرغب في إخباري بمعلومات قيمة من شأنها أن تحميني من مصير بائس، ولكنه لم يتمكن من ذلك؛ لأن هذا لن يكون بالأمر اللائق على الإطلاق.

انتظرت قليلاً حتى يعرفني بنفسه أو يدعوني لدخول المنزل، ولكنه لم يفعل أيّاً من الأمرين. فقلت أخيراً: "أنا إدوارد كاتشبول. لقد وصلت للتو من إنجلترا. أعتقد أن الليدي بلايفورد في انتظاري".

كانت حقائبي بجوار قدمي، فنظر رئيس الخدم لها، ثم نظر خلفه، وكرر فعلته هذه مرتين من دون أن يتفوه بكلمة واحدة.

ثم قال أخيراً: "سأمر بحمل حقائبك إلى غرفتك يا سيدي".

فقلت: "شكرًا لك"، ثم قطبت جبيني مفكرًا. كان تصرف الرجل غريبًا للغاية، أغرب مما يمكنني أن أصف. فرغم أن ما قاله رئيس الخدم كان طبيعيًا، فإن صوته حمل الكثير من الأمور خلف كلماته - بدا كأنه يقول: "في ظل الظروف الحالية، هذا هو كل ما يمكنني أن أفصح عنه". سألته: "هل هناك شيء آخر؟".

فقطب الرجل جبينه وقال: "أحد ضيوف الليدي بلايفورد الآخرين ينتظرك في غرفة الاستقبال يا سيدي".

قلت: "ضيف آخر؟"، كنت أعتقد أنني المدعو الوحيد.

بدا الأمر كأن سؤالني قد استفزهم. لم أر سببًا لتصرفه هذا، وكنت على استعداد لأن أبدي له عدم قدرتي على تحمل سلوكه عندما سمعت صوت باب يُفتح داخل المنزل وصوتًا مألوفًا يقول: "كاتشبول، صديقي العزيز". صحت قائلاً: "بوارو؟"، وقلت لرئيس الخدم: "هل هذا هيركيول بوارو؟".

عندها دفعت باب المنزل ودخلت بعدما سئمت انتظار أن تتم دعوتي للدخول لأحتمي من البرد. في هذه اللحظة رأيت أرضية مزخرفة بزخارف معقدة من ذلك النوع الذي لا تراه إلا في القصور، ودرجًا خشبيًا هائلًا، والكثير من الأبواب والأروقة قد يضل فيها الوافد الجديد على المنزل طريقه، وساعة أثرية، ورأس غزال محنطًا معلقًا على أحد الجدران. كان المخلوق البائس يبدو كأنه يبتسم، فابتسمت له بدوري. وعلى الرغم من أن رأس الغزال ميت ومنفصل عن جسده، فإنه كان أكثر ترحابًا من رئيس الخدم.

سمعت الصوت المألوف يقول مجددًا: "كاتشبول".

سألت رئيس الخدم بإصرار أكبر: "اسمع، هل هيركيول بوارو هنا في المنزل؟".

في هذه المرة، أجنبي رئيس الخدم بإيماءة مترددة من رأسه، وبعد لحظات، ظهر الرجل البلجيكي بخطى مسرعة بدت غريبة عن طباعه. لم أتمكن من منع نفسي من الابتسام عندما رأيت ذلك الرأس المألوف على شكل البيضة، والحذاء اللامع، وبالطبع الشارب الذي لا يمكن لأحد أن يخطئ في معرفته.

قال بوارو: "كاشبول. يا له من أمر رائع أن ألقاك هنا".

قلت: "كنت على وشك أن أقول المثل لك. هل كان أنت من ينتظرني في غرفة الاستقبال؟"

قال بوارو: "نعم، كان هذا أنا".

قلت: "هذا ما أعتقد. والآن، يمكنك أن تقودني إليها. ما الذي يحدث هنا بحق الله؟ هل حدث خطب ما؟"

قال بوارو: "حدث خطب ما؟ لا، ماذا قد يحدث؟"

قلت: "حسنًا...". والتفت حولي. كنت بمفردي مع بوارو ولكن اختفت حقائبي، فتابعته حديثي قائلًا: "من طريقة تعامل رئيس الخدم الحذرة، كنت أتساءل إذا ما كان —".

قال بوارو: "نعم، هاتون. لا تعره انتباهك يا كاشبول. إن أسلوب تعامله لا سبب له. إنها طبيعة شخصيته".

قلت: "هل أنت واثق بهذا؟ إن شخصيته غريبة جدًا".

قال بوارو: "نعم. لقد شرحت لي الليدي بلايفورد طبيعة شخصيته بعد وصولي بوقت قليل عصر هذا اليوم. لقد طرحت عليها السؤال نفسه الذي طرحته عليّ، حيث اعتقدت أن خطابًا ما قد حدث ولم يعتقد رئيس الخدم أنه من المفترض به أن يتحدث عنه. قالت إن هاتون أصبح على هذه الحالة بعدما قضى سنوات طويلة في خدمتها. لقد رأى الكثير من المواقف التي

ليس من المفترض به أن يذكرها، والآن، كما قالت لي الليدي بلايفورد، أصبح يفضل ألا يتحدث قدر الإمكان. هي أيضًا ترى أن هذا الأمر مرهق، ولقد قالت لي شاكية: إنه لا يقول أكثر المعلومات أهمية - على غرار، متى سيكون العشاء جاهزًا؟ أين يتم وضع الفحم؟ - من دون أن يتصرف كما لو أنني أحاول أن أستخرج منه أكثر أسرار العائلة أهمية. لقد فقد حسن تقدير الأمور الذي كان يميزه في الماضي، ولم يعد يفرق الآن بين الحفاظ على السرية وعدم التحدث على الإطلاق".

قلت: "لماذا لم تستعن برئيس خدم آخر إذن؟".

قال بوارو: "لقد سألتها عن هذا أيضًا. إننا نفكر بالطريقة نفسها، أنا وأنت".

قلت: "هل أجابت عن سؤالك؟".

قال بوارو: "إنها منبهرة بأسلوب تطور شخصية هاتون، وترغب في رؤية كيف سيطور من أسلوبه في المستقبل".

بدا السخط على وجهي، وتساءلت هل سيحضر أحد ليقدم لي كوبًا من الشاي. وفي تلك اللحظة، ارتج المنزل، ثم سكن، ثم ارتج مرة أخرى. كنت على وشك أن أسأل: "ماذا يحدث...؟"، عندما رأيت على قمة الدرج أضخم رجل رأيته في حياتي. كان يهبط الدرج، كان أشقر الشعر ضخم الوجه، وكان رأسه يبدو كالحصاة الصغيرة مقارنة بجسده الهائل.

صدر صوت صرير عالٍ من ألواح الأرضية تحته عندما تحرك، واعتقدت أن إحدى قدميه قد تخترق إحدى درجات السلم. وقال لنا من دون أن يعرفنا بنفسه: "هل تسمعان هذه الضوضاء المروعة؟ يجب ألا تثن درجات السلم عندما تخطو عليها. أليست مهمتها أن تخطو عليها؟".

فوافقه بوارو قائلاً: "هذا صحيح".

قال الرجل: "حقاً؟"، ولم يكن ما قاله ضرورياً، فقد حصل على إجابته بالفعل، ثم تابع قائلاً: "أؤكد لكما أنهم لم يعودوا يصنعون الدرج كما كانوا يفعلون في الماضي. لقد اختفت المهارة تماماً".

ابتسم بوارو بأدب، ثم جذبني من ذراعي لأتحرك نحو اليسار، وهمس في أذني قائلاً: "يقع اللوم بالكامل على شهيته الكبيرة فيما يتعلق بأنين الدرج. ولكنه محام – لو كنت مكان الدرج، لطلبت الاستعانة بمحامٍ". لم أدرك أنها مزحة حتى رأيته يبتسم.

تبعت بوارو إلى حيث افترضت أنها غرفة الاستقبال، والتي كانت غرفة كبيرة بها مدفأة حجرية كبيرة متاخمة للباب. لم تكن بها نار مشتعلة، وكانت الغرفة أكثر برودة من الردهة. وكان طول الغرفة أكبر من عرضها، وكانت المقاعد الوثيرة الكثيرة موضوعة في صف غير منظم عند أحد طرفي الغرفة ويقابل الصف صفًا آخر موازيًا له عند الطرف الآخر ولا يفوقه نظام. زاد ترتيب الأثاث في الغرفة من استطالة شكلها وأضفى عليها إحساسًا بالانقسام. وكانت هناك نوافذ فرنسية عند طرفها البعيد، ولم تكن الستائر مسدلة كما يفترض بها أن تكون خلال الليل، رغم أن الليل كان قد خيم في الخارج – ولاحظت أن ذلك الوقت من اليوم أكثر ظلمة في كلوناكيلتي مما هو عليه في لندن.

أوصد بوارو باب غرفة الاستقبال، وأخيرًا تمكنت من التدقيق في صديقي القديم. حيث بدا أكثر بدانة منذ لقائنا الأخير، وظهر شاربه أكثر كثافة وبروزًا، على الأقل هكذا بدا من الطرف الآخر من الغرفة. وعندما اقترب مني، قررت أنه لم يتغير على الإطلاق، وأني تصوريته في خيالي قد أصبح أصغر حجمًا.

قال بوارو: "أنا سعيد جداً برؤيتك يا صديقي. لم أصدق عندما وصلت وأخبرتني الليدي بلايفورد بأنك ستكون ضمن المدعوين لقضاء الأسبوع هنا".

كانت السعادة بادية على وجهه، وشعرت ببعض من تأنيب الضمير؛ لأن مشاعري لم تكن بقدر مشاعره. وكنت سعيداً بوجهه المبتهجة وكنت مرتاحاً لأنه على الأقل لم يبدُ خائب الأمل بشأنني. ففي حضور بوارو من السهل أن يشعر المرء بأنه مخلوق مخيب للآمال.

سألته: "ألم تكن تعلم بحضوري حتى وصلت إلى هنا اليوم؟". فأجاب بوارو: "لا، وعليّ أن أسألك الآن يا كاتشبول. لمَ حضرت إلى هنا؟". قلت: "لنفس سبب حضورك على ما أعتقد. لقد أرسلت أثيليندا بلايفورد إليّ خطاباً تدعوني للحضور. ولن يتكرر للمرء أن تتم دعوته لقضاء أسبوع كامل في منزل مؤلفة شهيرة. لقد قرأت بعضاً من كتبها في طفولتي، و——". قال بوارو: "لا، إنك لم تفهم ما أقصد، لقد قررت الحضور لنفس سبب حضورك — ولكني لم أقرأ أيّاً من مؤلفاتها. لا تخبرها بذلك من فضلك. ما كنت أقصده بسؤالي هو، لماذا تريد الليدي بلايفورد وجودنا هنا، أنا وأنت؟ لقد توقعت أنها دعت هيركيول بوارو لأنه، مثلها، الأشهر في مجاله والأكثر بروزاً. والآن، لا أعتقد أن هذا هو السبب، حيث إنك أيضاً هنا. ربما قرأت الليدي بلايفورد عما حدث في لندن، في فندق بلوكسهام".

من منطلق عدم رغبتني في التحدث عن الموضوع المقصود، قلت: "قبل أن أعلم أنني سألتقيك هنا، اعتقدت أنها دعنتي للحضور لتسألني عن أعمال الشرطة وتدرجها في كتابها القادم، حيث إن كتبها ستستفيد كثيراً من بعض الواقعية —".

قال بوارو: "نعم، نعم، حسنًا. أخبرني يا كاتشبول. هل معك خطاب الدعوة؟".

قلت: "ماذا؟".

قال بوارو: "الخطاب الذي أرسلته لك الليدي بلايفورد".

قلت: "نعم. إنه في جيبِي". أخرجت الخطاب من جيبِي وأعطيته إياه. ألقى بوارو نظرة سريعة على الخطاب وأعادته إليَّ قائلاً: "إنه مطابق للخطاب الذي أرسلته لي تمامًا. ليست به أية معلومات، ربما كنت محقًا. أتساءل إذا ما كانت ترغب بالفعل في استشارتنا في بعض الأمور المهنية". قلت: "ولكنك التقيتها، كما تقول. ألم تسألها؟".

قال بوارو: "صديقي العزيز، أي ضيف أحقق ذلك الذي يسأل مضيفته بمجرد وصوله قائلاً: ماذا تريد مني؟ لن يكون هذا لائقًا". قلت: "ألم تلمح بأي شيء عن سبب دعوتنا؟".

قال بوارو: "لم يتوافر لنا الوقت الكافي لذلك. لقد وصلت قبل دقائق قليلة من اضطرارها للذهاب إلى مكتبها لتعد لاجتماع مع محاميها". قلت: "ذلك الذي كان على الدرج؟ ذلك الرجل الضخم؟".

قال بوارو: "السيد أورفيل رولف؟ لا، لا. إنه محامٍ أيضًا، إلا أن المحامي الذي كان على الليدي بلايفورد لقاءه الساعة الرابعة شخص آخر. اسمه مايكل جاذركول - أحد أطول الرجال قامة الذين التقيتهم في حياتي. كانت تبدو عليه عدم الراحة في أثناء التحرك". قلت: "ماذا تعني؟".

قال بوارو: "لقد وصلني انطباع بأنه يرغب في الخروج من جلده". قلت: "فهمت"، لم أكن قد فهمت شيئًا، إلا أنني خشيت أن طرح المزيد من الأسئلة من شأنه أن يؤدي إلى تأثير عكسي.

هز بوارو رأسه قائلاً: "هيا، اخلع معطفك واجلس. إن الأمر محير، خاصة عندما يفكر المرء فيمن يوجد أيضاً في المنزل".

قلت وأنا أنظر حولي: "إنني أتساءل هل من الممكن أن أطلب من أحد إحضار بعض الشاي لي. أعتقد أنه كان على رئيس الخدم أن يرسل خادمة إلى هنا الآن، حيث إن الليدي بلايفورد مشغولة".

قال بوارو: "إنني أخبرته بالألا يسمح لأحد بمقاطعتنا، لقد تناولت بعض المرطبات عندما وصلت، وفي القريب سيتم تقديم المشروبات هنا في هذه الغرفة، كما قيل لي. لن يطول الأمر يا كاتشبول".

قلت: "لن يطول؟ على ماذا؟".

قال بوارو: "إن جلست فستعرف"، وابتسم بوارو ابتسامة صغيرة، وبدأ في تلك اللحظة أكثر منطقية من أي وقت مضى.

وشعرت ببعض الرهبة في نفسي، ولكنني جلست.

الفصل ٣

اهتمام خاص بالموت

قال بوارو: "يجب أن أخبرك ببقية الضيوف في المنزل. أنا وأنت لسنا الضيفين الوحيدين. هناك ١١ شخصًا في منزل ليلي أوك الآن، بمن فيهم الليدي بلايفورد. وإن حسبنا الخدم أيضًا، فهناك ثلاثة منهم: هاتون، رئيس الخدم، وخادمة تُدعى فيليس، والطاهية بريجيت. ولكن السؤال هنا: هل نحسب الخدم أيضًا؟".

قلت: "نحسبهم لماذا؟ أو من أجل ماذا؟ عم تتحدث يا بوارو؟ هل أتيت إلى هنا لتحسب عدد سكان مقاطعة كورك – كم عدد القاطنين في كل منزل، أو شيء من هذا القبيل؟".

قال بوارو: "لقد افتقدت حس دعابتك يا كاتشبول، ولكن يجب أن نكون جادين. كما قلت لك، ليس أمامنا الكثير من الوقت. ففي القريب – في خلال نصف الساعة – سيقاطعنا شخص ما عندما يدخل لتقديم المشروبات. والآن، اسمعني. في منزل ليلي أوك، من دون أن نحسب أنفسنا والخدم، هناك مضيفتنا الليدي بلايفورد، والمحاميان اللذان تحدثنا

عنهما - جاذركول ورولف. كما أن هناك سكرتير الليدي بلايفورد، جوزيف سكوتشر، وممرضة تدعى صوفي بورليه —".

أمسكت بذراع مقعدي وقلت: "ممرضة؟ هل صحة الليدي بلايفورد معتلة؟".

قال بوارو: "لا. دعني أكمل حديثي، كما أن هناك ابني الليدي بلايفورد، وزوجة أحدهما وصديق الأخرى. في واقع الأمر، أعتقد أن السيد راندال كيمبتون والأنسة كلاوديا بلايفورد مخطوبان وسيتزوجان قريباً. إنها تعيش في منزل ليلي أوك. وهو هنا في زيارة لها آتياً من إنجلترا، لقد ولد في أمريكا ولكنه تعلم في جامعة أوكسفورد، كما أخبرتني الليدي بلايفورد".

قلت: "لقد عرفت كل هذه المعلومات منها إذن؟".

قال بوارو: "ستكتشف عندما تلتقيها أنها قادرة على التحدث عن الكثير من الأمور في فترة زمنية قصيرة، بسرعة وحيوية بالفتين".

قلت: "فهمت. يبدو هذا مقلقاً. ولكني أشعر بالارتياح لأن هناك شخصاً ما في هذا المنزل يمكنه الحديث - أعني، عدا رئيس الخدم. هل وصلت إلى نهاية حسابك للمتواجدين في المنزل بعد؟".

قال بوارو: "نعم، ولكني لم أتحدث بعد عن آخر اثنين: شقيق الأنسة كلاوديا، وابن الليدي بلايفورد، فيكونت كلوناكيلتي السادس، هاري. لقد التقيته بالفعل. إنه يعيش هنا مع زوجته دوروثي، والتي يطلق عليها الجميع اسم دورو".

قلت: "حسناً، وما أهمية أن نعد قائمة بالمتواجدين في المنزل قبل أن نلتقيهم لتناول بعض المشروبات؟ ربما كان من الأفضل أن أذهب إلى غرفتي وأغسل وجهي قبل أن تبدأ أنشطة الليلة؛ لذا —".

قال بوارو بنبرة متسلطة: "إن وجهك نظيف. انظر خلفك إلى الشيء المعلق فوق الباب".

نظرت خلفي فرأيت عينين غاضبتين، وأنفًا أسود وفمًا مفتوحًا مليئًا بالأنياب وقلت: "يا إلهي، ما هذا الوحش؟".

قال بوارو: "رأس منحط لشبل الفهد – من صنع يدي هاري، فيكونت بلايفورد. إنه يهوى تحنيط الحيوانات". ثم قطب بوارو جبينه وأضاف قائلاً: "وأحد المتحمسين لهذا أيضًا، ويحاول أن يُقنع الغرباء بأنه لا توجد هواية من شأنها أن تجعل المرء يشعر شعورًا مشابهًا بالرضا".

قلت: "بهذا سيكون رأس الغزال المنحط في الردهة من أعماله أيضًا". قال بوارو: "لقد أخبرته بأنني لا أمتلك الرغبة أو المعرفة اللازمة لأتمكن من تحنيط الحيوانات. فقال إن كل ما سأحتاج إليه هو سلك ومديرة وإبرة وخيط ونبات القنب والزرنخ. وقد رأيت أنه لن يكون من الحكمة أن أخبره بأن الفكرة في حد ذاتها منفرة".

ابتسمت وقلت: "إن هواية يُستخدم فيها الزرنخ لن تروق لمحقق حل العديد من جرائم القتل التي استخدم فيها السم نفسه".

قال بوارو: "هذا ما أردت التحدث عنه معك بالتحديد يا صديقي... الموت. إن هواية الفيكونت بلايفورد تدور حول الموت. موت الحيوانات وليس البشر – ولكنه موت في كلتا الحالتين".

قلت: "بالتأكيد. ولكني لا أعلم ما العلاقة بين كلتا الحالتين".

قال بوارو: "هل تذكر اسم جوزيف سكوتشر الذي ذكرته لك منذ قليل".

قلت: "نعم، سكرتير الليدي بلايفورد، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "إنه يُحتضر بسبب مرض شديد بالكلى. لهذا السبب تعيش

الممرضة صوفي بورليه في المنزل – لكي تلبي احتياجاته".

قلت: الآن "فهمت. إن كلاً من السكرتير والممرضة يعيشان في منزل ليلي أولك، أليس كذلك؟".

أوماً بوارو برأسه قالا: "والآن، لدينا ثلاثة أشخاص مجتمعين هنا في المنزل، والذين يتعاملون عن كثب، بشكل أو بآخر، مع الموت. ثم هناك أنت يا كاتشبول، وأنا، فلقد رأينا الكثير من حالات الموت العنيفة خلال عملنا. والسيد راندال كيمبتون، الذي يخطط للزواج من كلاوديا بلايفورد - ماذا يعمل في اعتقادك؟".

قلت: "هل يتعامل مع الموت أيضاً؟ هل هو حنّاط؟ لص قبور؟". قال بوارو: "إنه طبيب تشريح يعمل لصالح الشرطة في مقاطع أوكسفورد شاير. إنه يعمل عن كثب مع الموت. حسناً، هل تريد أن تسألني عن السيدين جاذركول ورولف؟".

قلت: "لا حاجة لذلك. إن المحامين يتعاملون مع حالات الموت يومياً". فقال بوارو: "وتفضل شركة جاذركول ورولف ذلك بشكل خاص، حيث إنها تشتهر بتخصصها: تنظيم أمور ممتلكات ووصايا الأثرياء. هل فهمت ما أقصد يا كاتشبول؟".

قلت: "وماذا عن كلاوديا بلايفورد ودورو، زوجة الفيكونت؟ ما علاقتهما بالموت؟ هل تذبح إحداهما الأبقار بينما تحنط الأخرى الجثث؟".

قال بوارو بخشونة: "أنت تمزح إذن. ألا ترى أنه من المثير للاهتمام تجمع جميع هؤلاء الأشخاص المهتمين بالموت، سواءً بشكل شخصي أو مهني، في منزل ليلي أولك في آن واحد؟ بالنسبة لي، أريد أن أعرف ما يدور في ذهن الليدي بلايفورد. فلا أعتقد أن ذلك مصادفة".

قلت: "حسناً، ربما كانت تخطط للعبة ما لنمارسها بعد العشاء، وترغب في أن نظل جميعاً متشوقين. إنك لم تجب عن سؤالتي بخصوص كلاوديا ودورو".

أقر بوارو بعد لحظة صمت قائلًا: "أعتقد أن الأمر لا ينطبق عليهما".
قلت: "سأقول إن الأمر برمته محض مصادفة. والآن، إن ذهبت لأغسل
يديّ قبل العشاء —".

قال بوارو: "لماذا تتجنبني يا صديقي؟".

توقفت قبل أن أصل للباب بخطوة واحدة. لقد كنت أحمق عندما افترضت
أنه إن لم أثر الموضوع على الإطلاق، فإنه لن يثيره أيضًا.

قال بوارو: "كنت أعتقد أننا صديقان مقربان".

قلت: "إننا كذلك. لقد كنت منشغلًا للغاية يا بوارو".

قال بوارو: "منشغل. وتتوقع مني أن أصدق أن هذا كل ما في الأمر".

حدقت إلى الباب، وغمغمت قائلًا: "سأعثر على رئيس الخدم ذاك،
وسأهدده بكل ما يعتمل في صدري من ثورة إن لم يأخذني إلى غرفتي على
الفور".

قال بوارو: "لا يمكنني فهمكم يا معشر الإنجليز. فعلى الرغم من قوة
مشاعركم، وشدة غضبكم، فإنني أرى أن رغبتكم في تهدئة أنفسكم
والتظاهر وكأن شيئًا لم يكن أكثر قوة".

في تلك اللحظة، انفتح الباب، وعبرته امرأة — كما خمنت — ما بين
الثلاثين والخامسة والثلاثين من العمر، وكانت ترتدي ثوبًا أخضر اللون
ودثارًا أبيض اللون. في واقع الأمر، لم تكن تسير بالفعل، بل كانت كما
لو أنها تتسلل إلى داخل الغرفة، وذكرتني على الفور بالقط الذي يستعد
لل هجوم على فريسته. كان يبدو عليها التعالي، وكأن دخول الغرفة بطريقة
عادية كتلك أمر لا يليق بها. وكان يبدو أنها تستخدم كل حركة من جسدها
لتظهر سموها على كل من يوجد في المكان — في تلك اللحظة، كنت أنا
وبوارو.

كما أنها كانت رائعة الجمال: كان شعرها البني الكثيف مهندماً بأناقة، وكان وجهها بيبضاوي الشكل، وكانت عيناها بنيتين ماكرتين كعيني القطط وذات أهداب طويلة، وحاجبين منمقين، وعظمتي وجنتين حادتين كالسكاكين. كان من الرائع النظر إليها، وكانت تعلم هذا. كما كان هناك شر يكتنفها بدا جلياً عليها قبل حتى أن تنطق بأية كلمة.

قالت وقد وضعت يدها على فخذهما: "فهمت. ضيوف ولكن من دون مشروبات. أتمنى لو أنني لم أر ذلك. أعتقد أنني حضرت مبكراً". نهض بوارو وعرفها بنفسه، ثم حدوت حدوه - صافحت يد المرأة الرقيقة الباردة.

لم تجب على تعريفنا بأنفسنا بعبارة: "سعدت بلقائكما"، أو أي شيء من هذا القبيل، بل قالت: "أنا كلاوديا بلايفورد، ابنة المؤلفة الروائية الشهيرة، وشقيقة الكونت بلايفورد، شقيقته الكبرى. لقد ذهب اللقب إلى شقيقي الأصغر وليس لي، لمجرد أنه رجل. أين المنطق في هذا؟ فلو كنت حصلت على لقب كونت لأصبحت أفضل منه بكثير. بصراحة، كمك الشاي سيكون كونتاً أفضل من هاري. حسناً؟ هل تعتقدان أن هذا عدل؟".

قلت بصدق: "لم أفكر في الأمر من قبل".

التفتت نحو بوارو وقالت: "وماذا عنك؟".

قال بوارو: "إذا كنت ستحصلين على اللقب الآن، هل ستقولين: لقد حصلت على ما أريد الآن، سأطير من السعادة؟".

رفعت كلاوديا ذقنها في تعالٍ وقالت: "لن أقول شيئاً من هذا القبيل، سأبدو كطفلة حمقاء في واحدة من القصص الخيالية. ولكن، من قال إنني لست سعيدة؟ أنا سعيدة جداً، ولم أكن أتحدث عن السعادة، بل عن العدالة.

أليس من المفترض أن تكون رجلاً ألعياً يا سيد بوارو؟ ربما تركت ذكاءك خلفك في لندن".

قال بوارو: "لا، لقد أحضرته معي يا آنسة. وإن كنت واحدة من القلة في العالم الذين يمكنهم أن يقولوا بكل صدق: أنا سعيدة للغاية... فإني أعددك بما يلي: لقد كانت الحياة أكثر عدلاً معك من غالبية الناس".

تجههم وجه كلاوديا وقالت: "لقد كنت أتحدث عني وعن شقيقي دوناً عن الآخرين. ولولم تكن تخشى الحكم بالعدل، لما عزفت عن تقييم الموقف بيننا. وبدلاً من ذلك، تحدثت عن آلاف الشخصيات المجهولة لتدعم حجتك - لأنك تعلم أنك لن تفوز إلا عبر المراوغة".

انفتح الباب مرة أخرى وعبره رجل ذو شعر قاتم مرتدياً ملابس العشاء. هصفت كلاوديا يديها وتهدت في سعادة، كما لو كانت تخشى أنه لن يحضر، ولكنه حضر لينقذها من مصيرها المروع. قال الرجل: "عزيزتي". كان هناك فارق كبير بين أسلوب تعاملها الراقى في تلك اللحظة وبين وقاحتها السابقة في التعامل معي وبوارو.

كان الوافد الجديد رجلاً وسيماً حاد القسمات، ذا ابتسامة حاضرة وجذابة، وهناك خصلة من شعره الداكن تتدلى على جبهته من أحد جانبيها. قال الرجل: "ها أنت ذي يا حبيبتي"، وأسرعت كلاوديا لتعانقه، فتابع حديثه قائلاً: "لقد بحثت عنك في كل مكان". كانت أسنانه أكمل أسنان رأيته في حياتي، وكان من الصعب أن أصدق أنها نمت طبيعياً في فمه. قال الرجل: "يبدو أن بعضاً من ضيوفنا حاضرون هنا - أمر رائع. مرحباً بكم جميعاً".

قالت له كلاوديا بسخرية لاذعة: "لا يحق لك أن ترحب بأحد يا حبيبي. تذكر أنك أيضاً ضيف هنا".

قال الرجل: "دعينا نقل إنني أفعل هذا نيابة عنك إذن".

قالت كلاوديا: "مستحيل. كنت سأقول شيئاً مختلفاً عما قلت".

ذكرها بوارو قائلاً: "لقد ملأت آذاننا بكلماتك يا آنسة".

قال الرجل: "هل عاملتهم بوقاحة يا عزيزتي؟"، ثم مد يده ليصافح

الرجلين قائلاً: "كيمبتون، الطبيب راندال كيمبتون. سعدت بلقائكما".

كان أسلوبه في الحديث مميزاً – وكان أمراً لاحظته على الفور، وأنا على

يقين من أن بوارو لاحظته أيضاً. كانت عينا كيمبتون تبدوان كأنهما تتوهجان

وتتطفئان في أثناء تحرك شفتيه. ولقد كانت هناك لحظات قصيرة تفصل

بين تلك التوهجات مع اتساع العينين عن آخرهما، الأمر الذي كان يُقصد

به توصيل إحساس مؤكد بالحماس. كان المرء يخرج من لقائه بانطباع أنه

يشعر بالبهجة كلما قال ثلاث أو أربع كلمات.

أقسم أن بوارو أخبرني بأن خطيب كلاوديا أمريكي. لم تكن اللهجة

الأمريكية ظاهرة في حديثه، أو على الأقل ربما لم تكن من اللهجات التي

أعرفها. بينما كنت أفكر في الأمر، قال بوارو: "إنه ليسعدنا أن نتعرف

عليك أيها الطبيب كيمبتون. ولكن... لقد أخبرتني الليدي بلايفورد بأنك

من بوسطن في أمريكا، أليس كذلك؟".

قال كيمبتون: "هذا صحيح، عدا أنك تعني أنني لا أتحدث باللهجة

الأمريكية. حسناً، لا أتمنى أن أفعل. لقد اغتنمت فرصتي وجردت نفسي من

جميع اللهجات غير المحببة هنا بمجرد أن وصلت إلى جامعة أوكسفورد.

إنك لا تسمع أي شيء سوى الإنجليزية الخالصة في أوكسفورد كما تعلم".

قالت كلاوديا بحدة: "إن راندال ماهر في التخلص من توافه الأمور،

أليس كذلك يا حبيبي؟".

قال كيمبتون: "ماذا؟". بدا كيمبتون غير سعيد بما قالته، وتغير أسلوبه على الفور، وغيرت كلاوديا أيضًا من أسلوبها. فقد كانت تنظر له كما لو كانت معلمة تنظر إلى طالب غير مطيع، منتظرة أن يفتح فمه ليتحدث. وأخيرًا، قال كيمبتون: "حبيبتي، لا تطري قلبي بتذكيري الدائم بخطئي الكبير. أيها السادة، لقد تصرفت ذات مرة، ومن دون قصد، بحماقة - بعدما كنت قد قطعت شوطًا كبيرًا في إقناع تلك المرأة الرائعة بأن تقبل الزواج بي - وكنت أحقق للغاية لأتشكك فيما أتمناه و—".

قاطعت كلاوديا قائلة: "لا أحد يهتم بندمك وأعذارك يا راندال، عداي أنا - فأنا لا أمل من سماعها. وأحذرك: سيكون عليك أن تؤنب نفسك أكثر في حضوري قبل أن أوافق على تحديد موعد الزفاف".

قال كيمبتون جادًا وعيناه تتوهجان: "حبيبتي، لن أفعل شيئًا عدا تأنيب نفسي، ولومها وذمها من الآن وحتى يوم مماتي". ربما نسي كلاهما تمامًا وجودي أنا وبوارو معهما في الغرفة.

ابتسمت كلاوديا فجأة كما لو أنها لم تضايقه منذ لحظات وقالت: "حسنًا، أرى أنه لا حاجة بي لأن أجرد نفسي منك على الفور".

فبدت الثقة على وجه كيمبتون من جديد، وأمسك بيدها وقبلها وقال: "سيتم تحديد موعد الزفاف يا حبيبتي - قريبًا".

ضحكت كلاوديا بجذل وقالت: "حقًا؟ سنتحدث عن هذا لاحقًا. على أية حال، يعجبني إصرارك. لا يوجد رجل على وجه الأرض تمكن من أن يفوز بقلبي مرتين - أو ربما، لمرة واحدة".

قال كيمبتون: "لا يوجد رجل على الأرض أكثر مني هوسًا بك وإخلاصًا لك مثلي يا عزيزتي".

فقالت: "يمكنني أن أصدق هذا؛ فأنا لم أتخيل أنني سأخضع وأضع هذا الخاتم في إصبعي مرة أخرى، ولكنني فعلتها من جديد، ووضعتة". وظلت تنظر لبعض لحظات إلى الحجر الكريم الكبير في الإصبع الوسطى من يدها اليسرى.

اعتقدت أنني سمعتها تنهد، إلا أن صوت انفتاح الباب للمرة الثالثة غطى على صوت تنهدها. وقفت خادمة شابة على عتبة الباب، وكانت قد لملمت شعرها الأشقر على شكل كعكة كانت تتحسسها بعصبية بينما كانت تتحدث قائلة: "ساعد الغرفة من أجل تناول المشروبات".

انحنى كلاوديا بلايفورد نحوي أنا وبوارو وهمست بصوت مسموع قائلة: "تأكدا من أن ترتشفا قبل أن تشربا. إن فيليس دائمة الشرود كعادتها. لا أعلم سبب استمرارها في العمل هنا. إنها لا تعرف الفرق بين مياه البحر ومياه الصنبور".

الفصل ٤

معجب غير متوقع

هناك ظاهرة راقبتها مرارًا وتكرارًا في حياتي المهنية والاجتماعية تتعلق بأنه عندما يلتقي شخص ما مجموعة كبيرة من الأشخاص في آن واحد، فإنه يعرف بشكل ما – كما لو كان هذا شعورًا غريزيًا – من منهم سيستمع بالحديث معه ومن منهم يجب تجنبه تمامًا.

كان هذا ما شعرت به تمامًا بعدما انتهيت من ارتداء ملابس العشاء وعدت إلى غرفة الاستقبال لأجدها قد امتلأت بالعديد من الأشخاص، وأدركت على الفور أنه يجب عليّ أن أسعى جاهدًا للوصول للوقوف بجوار المحامي الذي وصفه لي بوارو، مايكل جاذركول. فقد كان ذلك المحامي أطول من الرجل العادي، وكان يقف حانئًا ظهره كما لو كان يحاول أن يقلل من طول قامته. لقد كان بوارو محققًا؛ كان جاذركول يبدو كأن جسده نفسه يسبب له عدم الراحة. كانت ذراعاها معلقتين بطريقة غير مريحة إلى جواره، وكلما تحرك، ولو حركة بسيطة، بدا الأمر كأنه يحاول أن ينفض شيئًا ما عنه بنفاد صبر ودون أن ينجح – شيئًا سيئًا ألصق نفسه به، ولا يمكن لأحد آخر أن يراه.

لم يكن وسيماً بالمعنى المعتاد للكلمة، وجعلني وجهه أتذكر كلباً وفيئاً يركله صاحبه دوماً، وكان على يقين من أن هذا سيحدث مجدداً. ولكن، رغم كل هذا، فإنه بدا لي أنه الأكثر ذكاءً بين معارفي الجدد.

كان الوافدون الجدد على غرفة الاستقبال كما وصفهم بوارو تماماً: كانت الليدي بلايفورد تقص طرفة لم أتمكن من رؤية إلى من تقصها بينما كانت تدخل الغرفة. وتركت في نفسي الانطباع الذي توقعته تماماً، بصوتها العالي الموسيقي وشعرها الذي عقصته على شكل برج مائل. وقد دخل في إثرها المحامي ضخيم الجثة، أورفيل رولف، ثم الفيكونت هاري بلايفورد، وكان شاباً أشقر الشعر ذا وجه مسطح ومربع وابتسامة ودودة شاردة، وكان يبدو كأنه يضحك بشأن أمر ما ذات مرة، ومن حينها وهو يحاول أن يتذكر سبب سعادته تلك. كانت زوجته، دورو، امرأة طويلة القامة، وكانت قسماتها تذكر المرء بالطيور الجارحة، وكانت رقبتها طويلة توجد عند قاعدتها فجوة عميقة. بمقدور المرء أن يضع كوباً من الشاي في تلك الفجوة وكان سيستقر فيها من دون أية مشكلات.

كان آخر شخصين وصلوا إلى تجمع الشاي هما جوزيف سكوتشر، سكرتير الليدي بلايفورد، وامرأة ذات شعر داكن وعينين داكنتين. فافترضت أنها الممرضة، صوفي بورليه، حيث إنها كانت تدفع سكوتشر إلى داخل الغرفة على كرسيه المتحرك. وارتسمت على وجهها ابتسامة عطوفة تدل على الكفاءة في الوقت ذاته – كما لو أنها قررت أن الابتسامة من هذا النوع ستكون مناسبة للحدث – وكان سلوكها ينم عن الأدب الجم. ومن بين جميع الحاضرين في الغرفة، كانت هي الوحيدة التي قد يناقش المرء معها معضلة عملية. كانت تحمل رزمة من الأوراق تحت إبطها، كما لاحظت، وعندما انتهت الفرصة، وضعت رزمة الأوراق على مكتب صفيح بجوار إحدى

النوافذ. وبعدما فعلت ذلك، توجهت نحو الليدي بلايفورد وأخبرتها بأمر ما. فنظرت الليدي بلايفورد إلى رزمة الأوراق على المكتب وأومات برأسها. تساءلت عما إذا كانت صوفي، في ظل صحة سكوتشر المتأخرة، قد تولت بعض مهام السكرتارية في منزل ليلي أولك؛ فقد كانت ترتدي ملابس تشبه ملابس السكرتارية أكثر من الممرضات. كانت جميع النسوة الأخريات قد ارتدين ملابس السهرة، عدا صوفي، فقد ارتدت ملابس تناسب أكثر حضور اجتماع إداري في إحدى الشركات.

أما سكوتشر فقد كان فاتحاً، في هيئته، على النقيض من ممرضته الداكنة، فقد كان شعره ذهبي اللون، وكانت بشرته شاحبة. كما كانت قسماات وجهه رقيقة، مثل قسماات وجوه الفتيات، كما أنه كان شديد النحافة: كما لو أنه سيختفي. فتساءلت عما إذا كان بنيانه أكثر قوة قبل مرضه.

وقد تمكنت من الوقوف أمام جاذركول بسرعة معقولة، وتبع هذا التعارف المعتاد. وقد تبين أن الرجل أكثر وداً مما بدا عليه عن بعد، وأخبرني بأنه قرأ أولى روايات أثيليندا بلايفورد وبطلتها شريمب سيدون في ملجأ الأيتام حيث قضى معظم فترة طفولته، وأنه أصبح الآن محامياً. لقد كان يتحدث عنها بإعجاب وانبهار.

علقت في وسط حديثه لمرة قائلاً: "يبدو أنك شديد الإعجاب بها"، فرد عليّ قائلاً: "كل من قرأ مؤلفاتها معجب بها. لذا أعتقد أنها عبقرية".

تذكرت الشرطيين الآخرين الرقيب هافويت والمحقق إمبيسيل، وقررت أنه لن يكون من اللائق أن أنتقد الجهود الإبداعية لمضيفتي بينما تقف على بعد خطوات مني.

قال جاذركول: "لقد أحرقت الكثير من المنازل الكبيرة التي تعود إلى العائلات الإنجليزية عن آخرها خلال الأحداث الأخيرة المؤسفة".

أومات برأسي موافقاً. لم يكن هذا الأمر من بين الأمور التي قد يرغب رجل إنجليزي في بداية عطلة تستمر لمدة أسبوع كامل في مقاطعة كلوناكيلتي مناقشتها.

قال جاذركول: "لم يقترب أحد من منزل ليلي أوك. إن مؤلفات الليدي بلايفورد محبوبة لدرجة أن الخارجين عن القانون لم يجرؤوا على الهجوم على منزلها - والا سيلقى القبض عليهم بواسطة أولئك الأفضل منهم، الذين يعني اسم أثيليندا بلايفورد الكثير لهم".

لم يبد الأمر معقولاً بالنسبة لي. أي خارجين عن القانون أولئك الذين سيلفون مخططاتهم ليزيقوا الأمرين لـ شريمب سيدون وأصدقائها الخياليين؟ هل تمتلك شريمب الصغيرة كل هذا التأثير بالفعل؟ هل يمكن لكلبتها البدينة طويلة الشعر، أنيتا، أن ترسم البسمة على وجه متمرّد غاضب وتنسيه القضية التي يقاتل من أجلها؟ أشك في كل هذا.

قال جاذركول: "أرى أن ما قلته لم يقنعك. إن ما نسيته هو أن الناس أحبوا كتب الليدي بلايفورد منذ طفولتهم. ومن الصعب أن تقتنع بارتباط من هذا النوع، بصرف النظر عن توجهاتك السياسية".

ذكرت نفسي بأنه يتحدث من منطلق كونه يتيماً ربما كانت شريمب سيدون ورفاقها أقرب شيء بالنسبة له أو كان يعتبرهم بمثابة عائلته...
يتيم...

برق في ذهني رابط آخر بين أحد ضيوف ليلي أوك والموت. لقد توفي والدا مايكل جاذركول. هل كان بوارو يعلم هذا؟ على الرغم من أن جاذركول كان من بين تلك الروابط منذ البداية - بفضل تخصص شركته في إدارة شؤون الأثرياء. و - لقد كنت أحمق - كل الناس في العالم توفي شخص

مقرب منهم. وقررت أن فكرة بوارو عن تجمع الأشخاص المرتبطين بالموت فكرة هزلية.

تركني جاذركول ليأخذ مشروبًا آخر، ومن خلفي كان هاري بلايفورد يتحدث إلى أوفيل رولف بحماس عن تحنيط الحيوانات. لم أكن مهتمًا بسماع تفاصيل تلك العملية؛ لذا عبرت الغرفة لأستمع بدلًا من هذا إلى الحديث الدائر بين راندال كيمبتون وبوارو.

قال كيمبتون: "سمعت أنك تستخدم علم النفس في حل ألغاز قضاياك، هل هذا صحيح؟".

قال بوارو: "بالفعل".

قال كيمبتون: "إن سمحت لي، أنا أختلف معك. إن علم النفس أمر غير ملموس. من قد يجزم بأنه حقيقي؟".

قال بوارو: "إنه حقيقي يا سيدي. أؤكد لك أنه حقيقي".

قال كيمبتون: "حقًا؟ لا أنكر أن الناس يمتلكون أفكارًا تقبع في عقولهم بالطبع، ولكنني أخشى أنني لست مقتنعًا بفكرة أن أحدًا يمكنه أن يستنبط أي شيء من فرضياته عما قد تكون عليه تلك الأفكار وعن سبب وجودها. وحتى عندما يؤكد القاتل صحة فرضياتك – حتى إن قال: حسنًا، لقد فعلتها لأنني كنت أحترق بنار الغيرة، أو لأن المرأة العجوز التي ضربتها على رأسها كانت تذكرني بجديتي القاسية – كيف يمكنك أن تعرف إذا ما كان المجرم يقول الحقيقة أم لا؟".

صحب تلك الكلمات الكثير من بريق العينين الدال على النصر، والتي عبرت كل منها عن تفوق مبررات كيمبتون. كما بدا أن الطبيب لن يتخلى عن الموضوع أو يغيره. فتذكرت ما قالت كالاوديا عنه بشأن الفوز بقلوبها مرتين، وتساءلت إذا ما كان لعامل الترهيب دور في الأمر أم لا. لم يبد

عليها أنها من النوع الذي يمكن إخضاعه، ولكن... كان هناك أمر مخيف يتعلق بإصرار كيمبتون وعريكته التي لا تلين - يجب أن يفوز ويهيمن وأن يكون على حق.

ربما كان من الأفضل أن أواصل الاستماع إلى هاري بينما يصف كيفية إزالة مخ الفهد من جمجمته.

أنقذني جوزيف سكوتشر من كل هذا عندما دفعت صوفي بورليه كرسيه المتحرك نحوي، حيث قال بود: "لا بد أنك كاتشبول. لقد كنت أتطلع للقائك"، ومد يده نحوي فصافحتها برقة قدر إمكاني. كان صوته أكثر قوة من مظهره. ثم قال سكوتشر: "يبدو أنك متفاجئ من معرفتي بك. لقد سمعت بك دون شك - جريمة قتل فندق بلوكسهام في لندن، في فبراير الماضي".

شعرت كأني قد تلقيت لكمة على وجهي. يا لسكوتشر المسكين، لم يكن يدري أن كلماته سيكون لها هذا التأثير.

قال سكوتشر: "معدرة، لقد نسيت أن أعرفك بنفسي: جوزيف سكوتشر. وتلك هي نور حياتي - ممرضتي وصديقتي وحاميتي، صوفي بورليه. والتي بسببها، وبسببها وحدها، لا أزال على قيد الحياة. إن المريض الذي توجد صوفي بجواره نادرًا ما يحتاج إلى دواء". وعندما سمعت الممرضة هذا الإطراء السخي، تغلبت عليها المشاعر، وكان عليها أن تشيح بوجهها بعيدًا. فحدثت نفسي، إنها تحبه، إنها تحبه ولا يمكنها أن تطبق رؤيته على تلك الحال.

قال سكوتشر: "بفضل ذكائها، تحافظ صوفي على حياتي عبر رفضها الزواج بي"، وغمز لي وقال: "أترى، لا يمكنني أن أموت إلا بعد أن توافق على ذلك".

فاستدارت صوفي لتواجهني وقد احمرت وجنتاها واستعادت ابتسامتها الجذابة، وقالت: "لا تمر كلماته اهتماماً يا سيد كاتشبول. الحقيقة أن جوزيف لم يطلب مني الزواج به من قبل - على الإطلاق".

ضحك سكوتشر وقال: "هذا لأنني إذا جثوت على ركبة واحدة، فربما لن أتمكن من النهوض مجدداً. قد يكون الأمر سهلاً بالنسبة للشمس، ولكنه ليس سهلاً بالنسبة لي في حالتي تلك".

قالت صوفي: "سواء كنت واقفاً أو جالساً يا جوزيف، فأنت تشع ضوءاً أقوى بكثير من الشمس".

قال سكوتشر: "أرأيت يا كاتشبول؟، إنها تستحق أن أبقى على قيد الحياة من أجلها، حتى إن كان عليّ أن أصارع ما أطلق عليها كليتيّ البغيضتين".

قالت صوفي: "معدرة أيها السادة". وتوجهت نحو المكتب، وجلست إليه وانشغلت بالأوراق التي أحضرتها سابقاً.

قال سكوتشر: "يا لي من أناني! من قد يرغب في التحدث عن كليتيّ، يجب أن نتحدث عنك وليس عني. لا بد أن الأمر كان شديداً الصعوبة عليك"، قالها وهو يومئ نحو بوارو: "لقد حزننت لرؤية الصحف تسخر منك بكل هذه القسوة. يبدو أنهم لم يروا الدور الذي لعبته في كشف غموض ما حدث في بلوكسهام. أمل ألا تمتعض من ذكر الأمر".

كنت مجبراً على قول: "لا، على الإطلاق".

قال سكوتشر: "لقد قرأت كل ما كتب عن الأمر، القصة بأكملها. ووجدت أنها مذهلة - ومن دون استنتاجك في المقابر، ربما لم تكن القضية لتُحل من الأساس. بدا لي أن الجميع لم ينتبهوا إلى هذا الجزء من القضية".

غمغمت قائلاً: "لقد فعلوا".

لم يترك لي سكوتشر خياراً آخر: أجبرتني كلماته على التفكير من جديد في جرائم القتل التي اشتهرت في ذلك الوقت – والتي ستظل كذلك دون شك – باسم جرائم الأحرف المزخرفة. لقد حل بوارو لغز القضية بعقريّة منقطعة النظير، إلا أنها اجتذبت الكثير من الدعاية غير المرغوبة – وهو الأمر المؤسف بالنسبة لشخص مثلي، على أية حال. لقد خرج بوارو من الأمر سليماً معافى، ولكني لم أفعل. فقد اتهمني الصحفيون بأني لا أمتلك الكفاءة الكافية لأكون محققاً، وأني أعتمد على بوارو كثيراً ليخرجني من المأزق. كنت ساذجاً عندما أعطيتهم بعض التعليقات خلال اللقاءات الصحفية وكانت صادقة أكثر من اللازم، حين قلت إنني كنت سأضيق لولا بوارو، وظهرت تلك الكلمات كمناوين للأخبار. ونشرت بعض الخطابات في الصحف مفادها أنه لماذا تم تعيين إدوارد كاتشبول في شرطة سكوتلاند يارد إن لم يكن قادراً على العمل من دون الاستعانة بأحد أصدقائه الذي لم يكن حتى شرطياً. الأمر باختصار، أني أصبحت محطاً للسخرية لبضعة أسابيع، حتى نسي الجميع كل شيء عني.

منذ ذلك الحين – كما وجدت نفسي أخبر جوزيف سكوتشر، الذي بدا مهتماً بصدق بالورطة التي وضعت نفسي فيها – جعلني عملي أنخرط في جريمة قتل أخرى، جريمة لم أتمكن من حلها، ولكن أطرى الجميع عليّ في ذلك الوقت لأنني فعلت كل ما أمكنني فعله، وعلى سعيي الدءوب لكشف الحقيقة. لقد صُغقت عندما قرأت رسائل القراء في الصحف تقول إنني بطل، وإن أحداً لم يكن ليصبح أكثر مني شجاعة أو إخلاصاً – وكان هناك إجماع على ذلك.

لقد استخلصت الاستنتاج الوحيد المحتمل: أنه من الأفضل أن أفشل بمفردي من أن أنجح بمساعدة هيركيول بوارو، وكان هذا سبب تجنبي

التواصل معه (ولكني أخفيت تلك الحقيقة عن جوزيف سكوتشر)؛ لأنني لم أثق بقدرتي على منع نفسي من طلب مساعدته لحل القضية التي فشلت في حلها. لم يكن هناك سبيل لشرح الأمر إلى بوارو من دون أن يطلب مني أن أخبره بجميع التفاصيل.

قال سكوتشر: "أنا على يقين من أن الجميع لاحظ الأسلوب الدنيء الذي عاملتك به الصحافة وفكروا في أن الأمر ليس عادلاً على الإطلاق. أتمنى لو تمكنت من إرسال خطاب إلى صحيفة تايمز لأتحدث عن هذا الأمر، وقد حاولت أن أفعل، ولكن —".

قلت له: "يجب أن تركز على الاهتمام بنفسك، وألا تقلق بشأنني". قال سكوتشر مبتسماً: "يجب أن تعلم أنني شديد الإعجاب بك. لم أكن لأتمكن من التفكير في حل اللغز مثلما فعلت أنت، ولم أكن لأفكر فيما فكرت فيه، ولم يكن غالبية الناس ليفكروا فيه. من الجلي أنك تمتلك ذهنًا متوقدًا. وبوارو كذلك أيضًا من دون أدنى شك".

شكرته في خجل. كنت أعلم أن ذهني ليس مميزًا وأن بوارو كان سيحل لغز جرائم قتل فندق بلوكسهام بمساعدة أفكاري أو من دونها، ولكنني سعدت كثيرًا بكلمات سكوتشر العظيمة. وجعلت حقيقة أنه يُحضر تلك الكلمات أشد وقعًا. ولن أمانع أن أقول إن مشاعر فياضة اجتاحتني.

بدأ الصمت يخيم على الغرفة، كما لو أن فيضانا من السكون قد غمرها. والتفت لأرى هاتون، رئيس الخدم، يقف على عتبة بابها، وبدا كأن هناك أمرًا شديد الأهمية يجب ألا نخبرنا به. قالت الليدي بلايفورد، التي كانت تقف مع صوفي عند المكتب: "يبدو أن هناك أمرًا يود هاتون الإعلان عنه — أو يسميني وأنا أعلنه — العشاء جاهز. شكرًا لك يا هاتون".

بدا الجزع على وجه رئيس الخدم بسبب اتهام سيدته له بأنه كان على وشك أن يقول أمراً ما أمام هذا الجمع الفقير من الناس، فانحني انحناءة سريعة وانصرف.

عندما بدأ الجميع يتوجهون نحو باب الغرفة، بقيت في مكاني. وبمجرد أن أصبحت بمفردي في الغرفة، توجهت نحو المكتب. كانت الأوراق الموضوعة عليه مكتوبة بخط اليد، وكانت مقروءة بالكاد، ولكنني رأيت كلمة "شريمب" تتكرر عدة مرات. كان هناك لونان مختلفان من الحبر، أزرق وأحمر: رُسمت دوائر حمراء حول كلمات مكتوبة بالحبر الأزرق. لقد تيقنت من أن صوفي تقوم ببعض أعمال السكرتارية لصالح الليدي بلايفورد.

قرأت سطرًا ربما كان يقول: "شريمب، فصلت بين الوجبات والمظلات" أم أن تلك الكلمة هي "الطفيليات"؟ وقد يُست من محاولة فهم تلك الكلمات، وخرجت من الغرفة بحثًا عن مكان العشاء.

الفصل ٥

دموع قبل العشاء

خرجت من غرفة الاستقبال من دون أن أعلم إلى أين عليّ أن أذهب، حتى وجهتني أصوات آتية من بعيد إلى الواجهة التي أريدها. وكنت على وشك أن أتبع أصوات الضحكات والحديث عندما سمعت، من الجانب الآخر من المنزل، ضوضاء أكثر إثارة للقلق: صوت بكاء عال.

توقفت، وفكرت في أفضل تصرف يجب أن أقدم عليه. كنت أتضور جوعاً بعد رحلتي الطويلة، ولم أكن قد تناولت أي طعام منذ وصولي، ولكني لم أتمكن من تجاهل إنسان يشعر بالحزن على مقربة من مكان وقوفي. لقد جعلتني كلمات سكوتشر الرقيقة في غرفة الاستقبال – وإدراكي أن رجلاً لا أعرفه يضعني في تلك المنزل العالية، وأنه ربما هناك أشخاص آخرون لا أعرفهم لا يمتلكون أفكاراً سيئة عني – أشعر بأنني أكثر بهجة ونشاطاً مما كنت منذ فترة. كنت مصراً على الوصول إلى الشخص الذي يبكي بهذه الحُرقة وأن أمنحه قدر العطف نفسه الذي حصلت عليه.

مكتبة الرمحي أحمد

تنهدت وذهبت للبحث عمن يبكي وسرعان ما عثرت عليها. لقد كانت الخادمة فيليس - الفتاة المسكينة التعمسة التي وصفتها كلاوديا بأنها حمقاء. كانت تجلس على الدرج تمسح دموعها بكم ثوبها.

قلت وأنا أعطيها منديلي النظيف: "خذي. لا يمكن أن يكون الأمر بمثل هذا السوء، أنا على يقين من هذا".

نظرت لي في تردد وقالت: "إنها تقول إن هذا في صالحني إنها تصرخ في وجهي ليلاً ونهاراً، وتفعل هذا - لصالحني. لقد اكتفيت من صالحني، إن كان الأمر سيظل على هذا المنوال. أريد أن أعود لمنزلي".

سألتها: "هل أنت جديدة في العمل هنا؟".

قالت فيليس: "لا. إنني أعمل هنا منذ أربع سنوات، وهي تزداد سوءاً عاماً تلو آخر، واليوم تلو الآخر، كما أفكر أحياناً".

قلت: "عمن تتحدثين؟".

قالت: "الطاهية التي تصرخ فيّ: اخرجي من مطبخي... عندما أرتكب خطأً. وأقول لها إنني لم أقصد - أنا أحاول ألا أخطئ ولكن ما باليد حيلة".

قلت: "عزيزتي، اسمعي -".

قالت: "ثم بعد ذلك تأتي في إثري، كما لو كنت هربت لا طُردت من قبلها وتقول: إلى أين تذهبين يا فتاة؟ إن العشاء لن يُعد نفسه بنفسه... ستأتي في إثري في أية لحظة الآن، وسترى بنفسك".

هل كان من المفترض أن تعد فيليس العشاء لنا إذن؟ لا يبدو عليها أنها في حالة مناسبة لفعل هذا الآن. وقد أقلقني هذا الأمر أكثر من دموعها وشكواها. كنت قد بدأت أشعر بالدوار من فرط جوعي.

قالت فيليس: "كنت قد أهرب من المنزل الآن لولا جوزيف".

قلت: "جوزيف سكوتشر؟".

أومات برأسها وقالت: "هل تعرف ما ألم به يا سيد...؟".

قلت: "كاشبول. ما الذي ألم به؟ هل تقصدين حالته الصحية؟".

قالت: "إنه لن يعيش طويلاً. للأسف".

قلت: "نعم، بالفعل".

قالت: "إنه الوحيد الذي يهتم لأمرى. لم لا يموت أحد الآخرين؟ إن أحداً

منهم لم يهتم لأمرى مطلقاً".

قلت: "اهدئي، لا يجب عليك أن —".

قالت: "كلاوديا المزعجة المتكبرة، أو دورو المتسلطة — إنهن جميعاً

يتجاهلنني كما لو أنني هواء شفاف، أو يتحدثن معي كما لو كنت بعض الطين

علق بأحذيتهن. أقسم بأنه بمجرد أن يموت جوزيف، سأذهب أنا أيضاً. لا

يمكنني أن أعيش هنا من دونه. إنه يقول لي دوماً: فيليس، إنك تملكين قوة

عظيمة وجمالاً داخلياً. إن بريجيت العجوز اللثيمة لا تساوي نصفك حتى...

إنها الطاهية، التي يدعوها بريجيت، وهو اسمها بالفعل. وكان يقول لي: إنها

لا تضاهيك أبداً يا فيليس... ويقول: لهذا السبب تريد دوماً أن تصرخ في

وجهك... إن الضعفاء يحتاجون إلى الصراخ بأعلى أصواتهم حتى يعاني

الآخرون، كما يقول".

قلت: "أعتقد أن هذه هي الحقيقة".

ضحكت فيليس.

فسألتها: "هل قلت شيئاً مضحكاً؟".

قالت: "ليس أنت، بل جوزيف. لقد قال لي: فيليس، أنا لا أملك مطبخاً،

ولكن إن فعلت، وأصبحت مالكة مزهواً لمطبخ... — لأن هذه طريقته في

الحديث. إنها تجعلني أضحك — طريقة قوله للكلمات. و، أعلم، أعتقد أن

راندال كيمبتون المفروور هذا يقلده في طريقة قوله للأشياء، ولكنه لا يمتلك

جاذبية جوزيف ولن يملك أبدًا، مهما حاول.... إن جوزيف يقول لي: إن أصبحت مالكًا مزهواً لمطبخ، أقسم ألا أطرّدك منه أبدًا. بل على العكس، سأريدك أن تظلي فيه طوال الوقت لأنني لا يمكنني حتى أن أخفق بيضة... هل فهمت ما أعنيه؟ إن جوزيف عطوف جدًا؛ لذا فأنا ما زلت باقية في هذا المنزل من أجله".

يبدو أن جوزيف سكوتشر يعلم جيدًا ما يجب قوله من أجل التسرية عن الآخرين. لقد كان فعلاً عطفًا منه أن يتحمل عناء التسرية، كما اعتقدت، عن غريب مثلي تصادف زيارته للمنزل، ولكنه يفعل المثل مع الخدم أيضًا. أما عن ملاحظة فيليس بأن راندال كيمبتون يحاول أن يقلد سكوتشر، فقد وجدت أن الأمر محير بالنسبة لي. لقد رأيت أن كيمبتون يتصرف بطريقة طبيعية تمامًا وبرباطة جأش، وكان شابًا منمقًا لم يتغير أسلوبه على الإطلاق. ومن لقائي القصير معه، لا يمكنني أن أتخيل أنه قد يغير من أسلوبه من أجل أي سبب. ربما يفعل من أجل حبيبته كلاوديا - ولكنه لن يفعل بالتأكيد من أجل جوزيف سكوتشر. ولكن، يجب أن أضع في اعتباري أن فيليس تعرف الرجلين أفضل مما أعرفهما.

ثم تساءلت عن مقدار انعدام الراحة في منزل ليلي أوك الذي تمكن سكوتشر من تخفيفه بمهارة منذ وصوله. كيف سيعيش قاطنو المنزل معًا بعد وفاته؟ يتسم البعض بالأخلاق والتضحية أكثر من غيرهم، لا شك في هذا. كلاوديا بلايفورد، على سبيل المثال، أراها كامرأة لن تقول أو تفعل أي شيء لصالح أي من كان عدا نفسها.

في تلك اللحظة، بدأت الأرض تحت قدمي تهتز، وقفزت فيليس من جلستها وهمست مدعورة: "إنها آتية. لا تقل لها إنني أخبرتك بأي شيء ولا انتزعت أحشائي من مكانها".

ظهرت أمامي امرأة قصيرة القامة وبدينة تشبه البرميل، تسير بخطى ثقيلة نحونا. نظرت إلى وجهها الأحمر وشعرها الرمادي المجمع الذي شكل دائرة قصيرة خشنة حول رأسها، مثل تاج من الأسلاك.

عندئذ مسحت الطاهية يديها الحماوين في مريلتها وقالت: "ها أنت ذي. لديّ أمور لأفعلها أهم من البحث عنك. هل تعتقدين أن العشاء ستنمو له قدمان ويسير بمفرده إلى غرفة الطعام؟ هل تعتقدين هذا؟".

قالت فيليس: "لا أيتها الطاهية".

قالت الطاهية: "لا أيتها الطاهية. هيا إذن، ادخلي الغرفة وأعدي الطاولة كفتاة مطيعة".

هرعت فيليس مبتعدة، وحاولت أنا أيضًا أن أفر في الوقت ذاته، إلا أن بريجيت تحركت لتقطع عليّ الطريق. وبعدها تفحصتني من قمة رأسي وحتى أخمص قدميّ لبضع لحظات، قالت: "إن لقاء شخص مثلك عند قاعدة الدرج بمفردكما – هو ما تحتاج إليه تلك الفتاة بالضبط. إنها لا تتوقف عن التحدث عن سكوتشر – وتضيع وقتها، الذي أضعته أنت أيضًا – ولكن، في المرة القادمة، يمكنكما أن تفعلما ما تريدان، ولكن ليس عندما أحاول تقديم العشاء، إن لم يكن لديك مانع".

أعتقد أنني ففرت فمي دون أن أنطق.

وقبل أن أتمكن من الرد، كانت بريجيت تسير مبتعدة بسرعة وهي ترج الأرض تحت قدميها في أثناء سيرها.

الفصل ٦

الإعلان

اعتقدت أنني سأكون آخر من يصل إلى غرفة الطعام، ولكنني عندما وصلت، وجدت الجميع يتساءلون عما حدث لـ أثيليندا بلايفورد. فقد كان مكانها على رأس طاولة الطعام شاغراً. سألتني دورو بلايفورد: "ألم تكن معها؟" ... كما لو كنت قد أكون سعيداً بهذا. فأخبرتها بأني كنت أتحدث إلى فيليس وأني لم أر الليدي بلايفورد.

قال راندال كيمبتون بينما كنت أجلس بين أورفيل رولف وصوفي بورليه: "دورو، لا تكوني مزعجة. إليك واحدة من نصائحي يا كاتشبول: لا تجب عن أي من أسئلة دورو؛ حيث إنها ستواصل طرح ١٩ سؤالاً آخر على أقل تقدير. زم شفتيك وانظر إلى الجهة الأخرى - ذلك هو الأسلوب الوحيد الذي يناسبها".

أخذت رشفة من كوب الماء الذي أمامي لتجنب الرد على ما قال؛ فقد كنت أرغب في أن أخذ مشروباً من المشروبات ولكنها لم تكن جاهزة بعد.

احمرت وجنتا دورو بشدة وقالت: "حسنًا، أريد أن أعرف أين اختفت. ألم تكن معنا للتو؟ لقد كنا جميعًا في غرفة الاستقبال معًا. كانت معنا هناك، لقد رأيتموها جميعكم. ولم أرها تتجه إلى أي مكان آخر. هل رآها أحدكم؟".

كان كيمبتون لا يزال ينظر نحوي فقال بصوت مسموع من أحد طرفي فمه: "لا تجب عن هذا السؤال، أنا أذكرك".

فُتح باب الغرفة ودخلت الليدي بلايفورد وقد غيرت من تصفيفة شعرها - تصفيفة شعر لن يمكنني وصفها ولو ظلت أحاول لمائة عام. كانت تبدو أنيقة مثل الغرفة التي نجلس فيها، والتي كانت مربعة الشكل ذات سقف عالٍ وستائر وثريات باللونين الأحمر والذهبي. لقد كانت غرفة الطعام أكثر جمالاً وبهجة من غرفة الاستقبال. ربما كان المعماري الذي صمم المنزل يقصد هذا مع الغرفة الرئيسية في المنزل. وتساءلت عما إذا كانت الليدي بلايفورد تتفق معي على هذا.

انتظر هاري حتى عبرت والدته نصف المسافة إلى الطاولة قبل أن يقول: "انظري، ها هي ذي. مرحبًا أيتها العجوز".

قالت كلاوديا: "نعم، ها هي ذي. أليس من حسن الحظ أن أحدًا لم يُصب بالذعر؟".

ضحكت الليدي بلايفورد وقالت: "الذعر؟ من قد يُصاب بالذعر؟ ولماذا؟".

قالت دورو بجفاء: "كنت أريد فقط أن أعرف إلى أين ذهبت، لقد تأخر موعد العشاء، ولم يفسر لنا أحد السبب".

قالت الليدي بلايفورد: "حسنًا، لا بأس بهذا. إن سبب تأخر العشاء هو السبب المعتاد: لقد وقع بين بريجيت وفيليس شجار آخر من شجاراتهما

التي لا طائل منها. لقد شعرت بحزن صوت الخادمة المألوف الحزين من بعيد، وحيث إنني كنت أعلم أن هذا سيعني عدم جاهزية العشاء خلال فترة وجيزة، انتهزت الفرصة لأن أغير من تصفيقة شعري. لقد كان شعري مشدودًا للغاية فيما سبق".

قالت دورو: "لماذا إذن صفت شعرك بهذه الطريقة منذ البداية؟". قال كيمبتون: "هل هذا سؤال آخر يا دورو؟ يمكنني أن أحسب عدد أسئلتك طوال هذه الليلة، وكل ليلة. من يعلم متى ستحطمين رقمك القياسي السابق؟".

قالت دورو بهدوء: "ستعلم ذات يوم يا راندال أن كونك بذيئًا وكونك مسليًا لا يتفقان معًا".

قال جوزيف سكوتشر: "مهلاً، دعونا لا نتشاجر معًا. لدينا ضيوف - بعضهم لم يزر منزل ليلي أوك من قبل. سيد بوارو، سيد كاتشبول، أرجو أن تكونا مستمتعين بزيارتكما حتى الآن".

أجبتة برد مناسب. مما لا شك فيه أنني لا أشعر بالملل في منزل ليلي أوك، وكنت سعيدًا بلقاء بوارو مجددًا بعدما تمكنت من عبور الصدمة، ولكن، هل كنت مستمتعًا بهذه الأمسية؟ شعرت كما لو أنني بحاجة إلى الخروج من جسدي وأراقب من بعيد بحثًا عن أية أدلة تمكنني من العثور على أدق إجابة عن هذا السؤال.

رد بوارو قائلاً إنه يقضي وقتًا رائعًا، وإن المرء لا تصله كل يوم دعوة من كاتبة شهيرة.

قالت الليدي بلايفورد: "لا يمكنني أن أتفق معك على كلمة شهيرة". قال كيمبتون: "إنها تفضل أن توصف بأنها محبوبة أو محترمة أو المعتبرة أو المعروفة. أليس كذلك يا آثي؟".

قال بوارو مبتسمًا: "أنا على يقين من أن جميع تلك الصفات تنطبق عليها".

قال سكوتشر: "أفضل وصفًا أكثر بساطة".

سأله كلاوديا: "هل هذا بسبب أن استخدام الكلمات الطويلة يرهق كليتيك؟".

فكرت، يا لها من ملاحظة مريضة! إنها شريرة للغاية، والمذهل في الأمر، أنه لا أحد يُصدر رد فعل تجاهها.

تابع سكوتشر حديثه وكأن شيئًا لم يكن ناظرًا إلى الليدي بلايفورد: "أفضل صفة الأفضل".

تظاهرت الليدي بلايفورد كأنها تنهات عن قول هذا قائلة: "جوزيف!"، ولكن بدا جليًا للعيان أنها كانت سعيدة للغاية بمجاملته.

جفلت عندما وجدت كلاوديا تحقق إليّ. وكلما أطالت تحديقها إليّ، زاد شعوري كأنني قد وقعت بين برائن آلة خطرة لن أتمكن من الخروج منها. قالت كلاوديا: "أخبرنا جوزيف برغبته في ألا يعامله أحد بشفقة. لذا فإني أعامله كما أعامل الآخرين".

قال كيمبتون مبتسمًا: "نعم، بطريقة مخيفة. معذرة عزيزتي - أنت تعلمين أنني لا أعني أية كلمة قتلها. كما أن تعاملك معي مثالي، فكيف لي أن أشكو؟".

ابتسمت له كلاوديا في دلال.

وتوصلت إلى الإجابة: لا، أنا لا أقضي وقتًا ممتعًا.

وفي حين كان سكوتشر يصف لبوارو أنه لشرف لرجل متواضع الحال مثله أن يعمل سكرتيرًا لدى العظيمة أثيليندا بلايفورد، بدأت كلاوديا حوارًا خاصًا مع كيمبتون. فاغتنمت دورو الفرصة لتوبخ هاري على عدم دفاعه

عنها عندما هاجمها كيمبتون - فقال لها هاري: "مهلاً يا عزيزتي، إنه لم يكن يهاجمك، أليس كذلك؟ لقد كان يمزح معك مزاحاً ثقيلاً غير مؤذٍ" - وسرعان ما لم نعد مجموعة كبيرة واحدة، بل عددًا من المجموعات الصغيرة، ولكل منها حوارها الخاص.

لحسن الحظ، وصلت أطباق الطعام الأولى بعد فترة وجيزة، وتم تقديمها بطريقة خرقاء بواسطة فيليس ذات العينين الحمراء من أثر البكاء. لاحظت أن سكوتشر توقف عن الحديث مع بوارو والتفت نحوها ليشكرها كثيرًا بينما كانت تقدم له ما وصفته الليدي بلايفورد بأنه "حساء لحم الضأن الإنجليزي التقليدي القديم". ومن خلال طريقة قولها تلك الكلمات، استنتجت أن تلك هي أكثر وجبة تفضلها في العالم. كانت رائحة الحساء شهية، وبدأت أكل بمجرد أن تمكنت من هذا من دون التعرض للإحراج.

توقفت الحوارات بمجرد أن بدأنا الأكل. وبجواري، تصاعدت أصوات أنين المقعد من تحت أورفيل رولف بينما كان يعدل من جلسته، وسألني قائلاً: "هل مقعدك على ما يرام يا كاتشبول؟ إن مقعدي مهترئ. لقد كانت المقاعد فيما مضى تُصنع لتدوم، ولكن لم يعد هذا ممكنًا. إن كل ما يُصنع الآن أصبح ضعيفاً ومهترئاً".

فأجبت بآدب: "الكثيرون يقولون مثل ذلك".

قال رولف: "حقاً؟". كان من الواضح أن من عادته أن يطلب الإجابة فور الحصول عليها.

قلت: "أتفق معك تمامًا في هذا"، على أمل أن تنتهي هذه العبارة الحوار بيننا. كنت أشعر بعدم الراحة في الحديث عن هذا الأمر، كما لو كنت أتحدث إليه عن ضخامة حجمه، وكنت منزعجًا من كوني محرّجًا في حين كان هو يبدو على ما يرام.

أنهي رولف حساءه قبل الجميع، ونظر حوله قائلاً: "هل هناك المزيد؟ لا أعلم لم تُصنع السلطانيات الحديثة صغيرة هكذا – أليس كذلك يا كاتشبول؟ إن تلك السلطانية مسطحة لدرجة أنها تصلح لأن تكون طبقاً صغيراً". قلت: "أعتقد أن حجمها جيد".

قال: "حقاً؟"، ثم عدل من جلسته مرة أخرى، وصدر هذه المرة أنين أعلى من المقعد من تحته. فدعوت أن يظل المقعد صامداً حتى انتهاء العشاء.

كان جوزيف سكوتشر لا يزال يتحدث مع بوارو عن مؤلفات الليدي بلايفورد، قائلاً: "كمحقق، ستكون أكثر من يستمتع بمؤلفاتها". قال بوارو: "أنا متشوق لقراءة العديد منها خلال وجودي هنا. وكنت أنوي قراءة واحدة أو اثنتين من قصصها قبل أن أصل إلى هنا، ولكن، للأسف، لم أتمكن من هذا".

بدا القلق على وجه سكوتشر وهو يقول: "أرجو ألا تكون قد أصبت بوعكة". قال بوارو: "لا، لا شيء من هذا القبيل، لقد طُلب مني أن أدلي برأيي في جريمة قتل وقعت في هامبشاير و... دعنا نقل إنها كانت معقدة ومحبطة". قال سكوتشر: "أنا على يقين من أن جهودك كُللت بالنجاح في النهاية. إن رجلاً مثلك لا يفضل أبداً".

سأله بوارو: "أي من مؤلفات الليدي بلايفورد تتصحني بقراءتها أولاً؟". فكرت أن الأمر غريب. فقد كنت، مثل سكوتشر، لا يمكنني أن أتخيل فشل بوارو في حل لغز قضية ما، وكنت أتوقع أن يقول شيئاً ما عن أن قضية هامبشاير قد حُلّت بنجاح في النهاية. ولكنه غيّر الموضوع تماماً.

قال سكوتشر: "يجدر بك أن تبدأ برواية شريمب سيدون والمرأة الأنيقة. إنها ليست أولى مؤلفاتها، ولكنها الأكثر مباشرة و، حسب رأيي المتواضع،

أفضل مقدمة لشخصية شريمب. كما أنها أولى الروايات التي قرأتها، لهذا أشعر بمشاعر خاصة تجاهها".

"لا"، قالها مايكل جاذركول الذي كان يتحدث مع الليدي بلايفورد وصوفي بورليه قبل أن يلتفت للحدث مع بوارو قائلًا: "يجب على المرء أن يقرأ الروايات بترتيبها الزمني الصحيح".

وافقه بوارو قائلًا: "نعم، أعتقد أنني أفضل ذلك أيضًا".

قالت الليدي بلايفورد وقد ظهرت لمعة في عينيها: "إذن، لا بد أنك، مثل مايكل، رجل تقليدي جدًا. إن نظرية جوزيف العبقرية هي أنه من الأفضل أن تقرأ الروايات بالترتيب المعكوس، إن كانت سلسلة متصلة. إنه يقول —".
قالت كلاوديا: "دعيه يخبرنا بنفسه، حيث إننا نشرّف بوجوده بيننا الليلة. سيتوافر لنا الكثير من الوقت لتذكر كلماته الحكيمة بعدما يموت على أية حال".

قالت والدتها: "كلاوديا! هذا يكفي".

غطت صوفي بورليه فمها بمنديلها، بينما كانت الدموع تترقق في عينيها.

أما سكوتشر، فكان يضحك وهو يقول: "أصدّقكم القول، أنا لا أمانع ما قيل. لقد اكتشفت أن السخرية من الأمر تسلبه مرارته. أنا وكلاوديا نفهم بعضنا جيدًا".

ابتسمت له كلاوديا وقالت: "بالطبع". كان هناك أمر ما في ابتسامتها، ليس دلالة بالضبط، ولكنه أمر ما... الإدراك - كان هذا هو الوصف الوحيد الذي أمكنني قوله لنفسه.

قال سكوتشر: "في واقع الأمر، إن الأطباء والمرضى في المراحل الأخيرة من مرضهم يمزحون بشأن الموت طوال الوقت. أليس كذلك يا كيمبتون؟".

أجاب كيمبتون ببرود: "هذا صحيح. ولكني أمتنع عن المشاركة في تلك الدعابات. أعتقد أنه يجب أن نأخذ الموت بشكل جاد". هل كان يعاقب سكوتشر على السخرية من موته، أم على سلوكه الحميمي المفرط مع كلاوديا؟ من الصعب معرفة الحقيقة.

قال سكوتشر موجهاً حديثه إلى بوارو: "النظرية بكل بساطة كالتالي: عندما تقرأ روايات شريمب بالترتيب المعكوس، تلتقي بشريمب وبودج وبقية المجموعة في منتصف قصتهم وليس في بدايتها. لقد وقعت أمور بعينها لهم، وإن أردت أن تعرف المزيد عن تاريخهم سيكون عليك أن تقرأ الروايات السابقة. والآن، أعتقد أن هذا أكثر قرباً من الحياة الواقعية. فعلى سبيل المثال، هأنذا ألتقي هيركيول بوارو العظيم للمرة الأولى، ولا أعلم سوى ما أراه أمامي وما يقوله لي في هذه اللحظة. ولكن، إن أثار اهتمامي أكثر – ومن المؤكد أنه فعل – فسأسعى لمعرفة المزيد عن مغامراته الماضية. هذا ما شعرت به تجاه شريمب سيدون عندما قرأت رواية المرأة الأنيقة. إنها رواية عبقرية يا بوارو وتحتوي على أفضل لحظة لشريمب على الإطلاق: عندما اكتشفت أن كلمة مشعر مرادف آخر لعبارة غزير الشعر، وأدركت أنه لا توجد امرأة ترتدي ملابس أنيقة. ولم تكن هناك واحدة منذ البداية".

قال جاذر كول بنفاد صبر: "لقد كشفت اللفز لتوك. لا يجدر بالسيد بوارو قراءة الرواية الآن بعدما أفسدتها".

قالت الليدي بلايفورد رافضة اعتراضه: "لا تكن سخيّاً يا مايكل. هناك الكثير من التعقيدات في هذه الرواية والتي لم يذكر جوزيف منها شيئاً. أتمنى ألا يقرأ أحد رواياتي ليعرف حل ألغازها فقط. يا سيد بوارو،

أعتقد أن هذا لن يكون من الثقافة في شيء. وسيتعلق الأمر بكشف اللغز والملابس النفسية فقط".

تذمر كيمبتون قائلاً: "ليس أنت أيضاً يا آثي. إن علم النفس هواية المنحرفين - هذا كل ما في الأمر".

بدا سكوتشر نادماً على كلماته وهو يقول: "إن جاذركول محق. يا لي من أحقق لأكشف النقاب عن تلك اللحظة الجوهرية من القصة؛ فأنا مستاء من غيابي. لقد سمحت لحبي لمؤلفات الليدي بلايفورد بأن يجرفني بعيداً عن المسموح به. لم أتمالك نفسي".

كان جاذركول، الجالس على الطرف الآخر من الطاولة، يهز رأسه في امتعاض ظاهر.

قال بوارو: "أنا لست عديم الثقافة، ولكنني أستمع بالفوامض، وأفضل أن أحاول حل الألغاز بنفسي. هل هذا أمر خطأ يا ليدي بلايفورد؟ أعتقد أن هذا هو الهدف من اللغز؟".

بدا التردد على وجه الليدي بلايفورد وهي تقول: "نعم، أعني، هذا صحيح، ولكن... أتمنى أن يصل الدجاج بسرعة"، قالتها وهي تنظر نحو باب الغرفة في ترقب.

قالت دورو بهدوء شديد ومن دون أن يظهر أي تعبير على وجهها: "إن جوزيف لا يرتكب الأخطاء، وهذا لا ينطبق علي". ولم يتضح إذا ما كانت تعني أن تتقد نفسها أم حمايتها.

قال سكوتشر: "لا شك في أنك لا تفضلين أن يفسد أحقق مثلي حل اللغز الذي تحاولين حله. يا لي من متسرع! معذرة يا سيد بوارو. ولكنني أصر على ألا تعذرني دون هيوود، حيث إن هناك أخطاء لا تستحق أن تُفتقر".

عندئذ مالت كلاوديا برأسها إلى الخلف وهي تضحك قائلة: "جوزيف، أنت مضحك جداً".

قالت الليدي بلايفورد: "أمل أن تأتي فيليس لتحمل الأطباق الأولى بعيداً، وتحضر الوجبة الرئيسية. لديّ خبر لأقوله لكم، ولكن دعونا ننته من العشاء أولاً".

قال كيمبتون مازحاً: "فهمت - إنه خبر يحتاج إلى معدة ممتلئة، أليس كذلك؟".

بمجرد أن أحضرت فيليس ما قيل لنا إنه أفضل أطباق بريجيت، الدجاج بصلصة الخردل، نهضت الليدي بلايفورد واقفة، وقالت: "من فضلكم جميعاً، تناولوا طعامكم. هناك أمر أريد إخباركم به. الكثير منكم لن يعجبه هذا الأمر؛ لذا يجب ألا تسمعوه على معدة خاوية".

قال أورفيل رولف: "أتفق معك تمامًا. حسناً"، وبدأ يتناول طبق الدجاج الذي أمامه بحماسة بالغة.

انتظرت الليدي بلايفورد سماع عدد آخر من الشوكات والسكاكين تتحرك في الأطباق قبل أن تقول: "لقد أعددت وصية جديدة ظهر اليوم". فأصدرت دورو صوتاً ينم عن اختناقها بالطعام في فمها قبل أن تقول: "ماذا؟ وصية جديدة؟ لماذا؟ كيف ستختلف عن الوصية القديمة؟".

قالت كلاوديا: "أعتقد أن هذا ما نحن على وشك سماعه. هيا أخبرينا يا أمي العزيزة".

تذمرت دورو قائلة: "هل كنت تعلمين بشأن هذا الأمر يا كلاوديا؟ يبدو أنك تعلمين".

قالت الليدي بلايفورد بصورة تتم عن أنها كررتها أكثر من مرة في ذاكرتها قبل أن تقولها: "سيُصدّم معظمكم مما أنا على وشك قوله. وأطلب

منكم جميعاً أن تتقوا بي. فأنا على يقين من أن كل شيء سيكون على خير ما يرام".

قال كيمبتون: "هيا أخبرينا يا آثي".

خلال الثواني العشر التالية أونحوها التي خيم فيها الصمت – ربما لم تكن فترة الصمت بهذا الطول، ولكنها بدت طويلة جداً – سمعت صوت الأنفاس اللاهثة لجميع الحاضرين في الغرفة. وارتعشت رقبة دورو الطويلة وازدرت لعابها أكثر من مرة، وبدأ أنها تبذل قصارى جهدها لتظل جالسة في مقعدها.

قالت الليدي بلايفورد: "طبقاً لبنود وصيتي الجديدة – التي كتبها اليوم وشهد عليها مايكل جاذركول وهاتون – سنسأل جميع أملاكى إلى جوزيف سكوتشر في حال وفاتي".

"ماذا؟"، قالتها دورو بصوت مكتوم، والتوت شفتاها الرفيعتان في رعب كما لو أنها ترى أمامها شبحاً مخيفاً لم يره سواها.

قالت كلاوديا: "هل تعنين بكل ما تملكين...؟". بدت رابطة الجأش، وكذلك بدا كيمبتون. وكانا يبدوان كأنهما يشاهدان عرضاً مسرحياً هزلياً ويستمتعان به.

قالت الليدي بلايفورد: "أعني جميع أملاكى... مزرعة ليلي أوك، ومنزلي في لندن، كل شيء... كل ما أملك".

الفصل ٧

رد الفعل

نهض سكوتشر واقفًا على قدميه بسرعة، وانقلب مقعده على الأرض. وبدا فجأة شديد الشحوب، كما لو أنه سمع خبرًا سيئًا، وقال: "لا، أنا لم أطلب هذا أو أتوقعه مطلقًا... أرجوك... لا حاجة بك إلى...".

نهضت صوفي لتستعد للإسراع نحوه وقالت: "جوزيف، هل أنت بخير؟". قال كيمبتون الجالس إلى يسارها وهو يعطيها كوبًا من الماء: "أمسكي، أعطه هذا. يبدو أنه يحتاج إليه".

وسرعان ما كانت الممرضة تقف إلى جوار سكوتشر، ووضعت إحدى ذراعيها تحت إبطه كما لو كانت تسنده ليظل واقفًا على قدميه. قال كيمبتون بجفاء: "من المحزن أن تكتشف أن ثروة كبيرة ستكون ملكًا لك ذات يوم".

قالت دورو: "هل جننتم جميعًا؟ إن جوزيف يحتضر. إنه سيموت ويُدفن قبل أن يرث أي شيء؛ هل تلك خدعة سمجة أم شيء من هذا القبيل؟".

قالت الليدي بلايفورد: "أنا جادة تمامًا فيما قلت، وسيؤكد لكم مايكل ذلك".

فأومأ جاذركول برأسه قائلاً: "هذا صحيح".

ابتسمت كلاوديا وقالت: "كان يجب أن أخمن هذا. أعتقد أنك كنت ترغبين في فعل هذا منذ فترة يا أمي. ولكنني تفاجأت بأنك ستحرمين هاري، ابنك المفضل، من الميراث".

قالت الليدي بلايفورد: "لا يوجد لدي ابن مفضل يا كلاوديا، كما تعلمين".

غمغمت الابنة قائلة: "ليس من صلبك، لا".

قال هاري وقد اتسعت عيناه عن آخرهما، وكان هذا هو التعليق الأول الذي يقوله منذ سمع إعلان والدته: "يا إلهي! يا لها من مفاجأة". لاحظت أن بوارو جلس دون حراك كالتمثال.

وقد انتهر أورفيل رولف الفرصة ليلكزني في ضلوعي – إن أمكن أن أطلق عليها لكزة – بكوعه المكتنز باللحم، وقال: "إن الدجاج رائع يا كاتشبول... مذهل. لذا يجب أن نهتئ بريحيت على مهارتها. أليس كذلك؟ يجب أن أتناول المزيد منه".

للأسف، لم أتمكن من إقناع نفسي بالرد عليه.

سأل كيمبتون الليدي بلايفورد قائلاً: "هل من المنطقي أن يترك المرء ثروته إلى شخص يوشك على الموت، في حين أنه لا يزال بصحة جيدة وقد يظل على قيد الحياة لسنوات قادمة؟".

قال سكوتشر: "إن راندال محق. فأنتم جميعاً تعلمون بأمر مشكلاتي الصحية. أرجوك يا آثي، لقد كنت دوماً... لا حاجة بك إلى...". وبدا كأن إتمام الجملة أمر صعب بالنسبة له، وبدا عليه التعب.

عدلت صوفي من وضع المقعد الذي أسقطه سكوتشر على الأرض، وساعدته على الجلوس عليه مرة أخرى، وأعطته كوب الماء قائلة في إصرار: "اشرب أكبر قدر ممكن من الماء، وستتحسن". وكان سكوتشر قادرًا بالكاد على الإمساك بكوب الماء، وكان على صوفي أن تساعد على حمله نحو فمه. لقد وجدت المشهد بأكمله غريبًا. لا شك في أن إعلان الليدي بلايفورد صادم، ولكن، لماذا أزعج سكوتشر لهذه الدرجة؟ أليست عبارة "أمر سخيف، فأنا لن أحيأ لأرث أي شيء والجميع يعلم ذلك" ستكون أكثر ملاءمة للموقف؟

وقفت دورو وفهما يُفتح ويُغلق من دون أن تخرج منه أية كلمة، ثم أمسكت بثوبها وقالت: "لِمَ تكرهينني يا آثي؟ يجب أن تعلمي أنني وهاري فقط من سنعاني، ولا يمكنني أن أصدق أنك تكرهين ابنيك. هل تعاقبينني على عدم قدرتي على الإنجاب؟ إن كلاوديا لا تحتاج لأموالك – إنها على وشك الزواج برجل من أكثر العائلات ثراءً في العالم".

رأني كيمبتون وأنا أنظر نحوه، فابتسم كما لو كان يقول: "لم تكن تعلم، أليس كذلك؟ هذا صحيح. أنا ثري مثلما تقول دورو".

تابعت دورو حديثها قائلة: "لا بد أنك تقصدين إلحاق الضرر بي – أنا وهاري. ألم تحرمينا بالفعل من حقوقنا؟ ألعلم أن تلك رغبتك أنت وليست رغبة والد هاري الراحل، رحمه الله".

قالت الليدي بلايفورد: "ما هذا الهراء الذي تقولينه؟ أنا لا أكرهك – محض هراء. وفيما يتعلق بإشارتك لوصية زوجي الراحل، فأنت مخطئة في شعورك بخيبة الأمل من قسوتي".

قال كيمبتون: "دورو، لا شك في أنه في حال موت سكوتشر قبل آتي، ستؤول جميع الممتلكات إليك، وهاري كما كان الوضع في السابق، فلم القلق إذن؟".

سألت دورو: "سيد جاذركول، هل ما يقوله راندال صحيح؟".
كنت لا أزال أفكر فيما ذكر عن وصية الفيكونت بلايفورد الراحل.
فتساءلت عن قصتها. وحتى في خضم هذا المشهد غير المعتاد، وفي خضم هذا الشجار العائلي، كدت أن أقول لـ دورو: "ماذا تعنين بذكر وصية والد هاري؟".

أكد مايكل جاذركول الأمر قائلاً: "نعم. فإذا مات سكوتشر قبل الليدي بلايفورد، فستطبق بنود الوصية الأولى كما هي".

قال كيمبتون: "أرأيت يا دورو؟ لا حاجة بك إلى القلق".
أصرت دورو على موقفها دون أن تقلت ثوبها وبدا كأنها ستمزق تنورتها من فورها إن تشبثت بها أكثر حين قالت: "أريد أن أفهم سبب تلك التغييرات. لم تتركين كل ثروتك لشخص سيتعفن في القبر في القريب؟".
قال سكوتشر: "يا إلهي، كان هذا مريراً".

قالت دورو متضرعة موجهة حديثها إلى الليدي بلايفورد: "أنا أشعر بالمرارة. ماذا سأفعل أنا وهاري؟ كيف سنعيش؟ يجب أن تعيدي الوصية الأولى على الفور".

قالت كلاوديا: "بالنسبة لي، أنا سعيدة لأنني حصلت على البرهان أخيراً".

فقال كيمبتون: "أوافقك الرأي أن البرهان عندما يأتي بعد انتظار يكون بمثابة الجائزة الكبرى، ولكنه برهان على ماذا يا عزيزتي؟".
قالت كلاوديا: "على مدى عدم اهتمام والدتنا بنا".

"ما عدا هو"، قالتها دوروهي تشير بأصبعها بطريقة اتهامية نحو سكوتشر، وصاحت: "رغم أنه ليس أحد أفراد العائلة".

في تلك اللحظة، تصادف أن نظرت نحو جاذركول، فكاد ما رأيته يطرحني أرضاً. فقد اصطبغ وجهه بحمرة قاتمة، وكانت شفاته ترتجفان. وكان يبدو عليه أنه يحاول كبت ثورة جامحة في أعماقه، أو أنه كان يشعر بعذاب رهيب. لم أر رجلاً على وشك الانفجار مثلما بدا هو. ويبدو أن أحداً من الحضور لم ير ما رأيت.

قالت الليدي بلايفورد: "أنا امرأة عجوز، وأنت يا جوزيف شاب. ولا نية لدي أن أعيش لفترة أطول منك، ولكني اعتدت الحصول على ما أريد، كما تعلم. لهذا اتخذت قراري. من المتعارف عليه بين أفضل الأطباء أن الحالة النفسية لها تأثير كبير على الحالة الصحية؛ لهذا أمتحك شيئاً تعيش من أجله - شيئاً قد يُقتل الكثيرون من أجل الحصول عليه".

غضب كيمبتون وقال: "علم النفس مجدداً كما لو أن المزاج الجيد سيعالج كليتيه البنيتين الضعيفتين! وبالتالي، لم تعد هناك حاجة لنا نحن الأطباء".

قالت دورو: "أنت شخص بغيض يا راندال. ماذا سيعتقد ضيوفنا؟". فسألها كيمبتون: "هل أنت معترضة على كلمتي بنيتين وضعيفتين؟ هل يمكنك أن تصفي لنا كيف أن هاتين الكلمتين أكثر إهانة من: سيتعفن في القبر؟".

صرخت صوفي بورليه: "اخرسوا لو رأيتم أنفسكم وأنتم تتحدثون، سترون أنكم وحوش لا قلوب لها، جميعكم".

حينئذٍ قالت الليدي بلايفورد: "إن الطبيعة البشرية هي الوحش، وليس المجتمعين حول هذه الطاولة. ففي الغد، ستأتي معي إلى طبيبي يا جوزيف؛

لا يوجد طبيب أفضل منه. فإذا كان هناك مَنْ يمكنه علاجك، فسيكون هو. لا تعارضني! لقد رتبت كل شيء".

قال سكوتشر: "ولكن، لا يوجد علاج لحالتني، وأنت تعلمين هذا يا عزيزتي آني، لقد شرحت لك الأمر".

قالت الليدي بلايفورد: "لن أصدق هذا حتى أسمعه بنفسني من طبيبي. إن الأطباء لا يتمتعون بالقدر نفسه من الكفاءة والذكاء يا جوزيف. إنها مهنة تجتذب من يرون أن المرض والضعف من الأمور الجذابة".

صفقت دورو بيديها وقالت: "أعلم ما يجب فعله، يجب على جوزيف أن يكتب وصية يذكر فيها أن من يرثه بعد وفاته هما هاري وكلاوديا. سيد جاذركول وسيد رولف، هل ستساعدان في هذا الأمر؟ هل يمكن إتمامه بسرعة؟ لا أرى مانعاً لفعله. أعتقد أنك لا ترغب في سرقة أموال هذه العائلة يا جوزيف – وأعتقد أن الأمر سيعتبر سرقة إن أخذت حقنا لنفسك من دون أن تعد وصية —".

قالت الليدي بلايفورد بحزم: "كفى يا دورو. جوزيف، أرجو ألا تعير كلامها اهتماماً. سرقة! هذا هراء! لا يوجد شيء من هذا القبيل".

قالت دورو: "ولكن، ماذا عني أنا وهاري؟ سنتضور جوعاً لن يوجد مكان لنا لنعيش فيه! إلى أين سنذهب؟ لم تتركي لنا شيئاً على الإطلاق لا تكلفي نفسك عناء الرد! إنك تستمتعين بهذا، أليس كذلك، أن تريني أتلوى وأتضرع".

قالت الليدي بلايفورد بلطف: "يا لها من كلمات استثنائية ترددينها".

تابعت دورو حديثها وقد اتسعت عيناها عن آخرهما: "إن الأمر يتعلق بنيكولاس. في عقلك الباطن، حولت جوزيف إلى نيكولاس – ابنك الصغير الراحل، قد عاد إلى الحياة. إن الشبه بينهما واضح: كلاهما أشقر الشعر أزرق العينين، وكلاهما ضعيف ومريض. ولكن، نيكولاس لن يعود إلى الحياة

ثانية بفضل وصيتك الجديدة. أظن أن نيكولاس يرقد في قبره جثة هامة، وسيظل كذلك".

توقفت حركة جميع الحاضرين حول الطاولة. وبعد بضع ثوان، غادرت الليدي بلايفورد غرفة الطعام، وأغلقت بابها بهدوء خلفها. قال كيمبتون: "هل تعرفين جميع أولئك الأطفال الذين لم تُرزقي بهم؟ يا لهم من محظوظين!".

قالت كلاوديا: "هذا مؤكد، تخيل الأمر". أشارت دورو نحو الباب بعصبية وقالت: "سيد جاذركول، سيد رولف، الحقاً بها من فضلكما. واجعلها تفكر بعقلانية".

قال جاذركول ببرود: "أظن أنني لن أستطيع أن ألبى لك طلبك". وأياً ما كانت الأزمة التي كان يشعر بها سابقاً، فقد بدا أنها قد مرت، وعاد إلى هدوئه من جديد؛ فقد تفادى جاذركول النظر نحو دورو بينما كان يتحدث إليها، كما لو كانت مسخاً بغيضاً إن نظر إليه لن ينسى الرعب من شكله مدى الحياة. قال جاذركول: "إن الليدي بلايفورد واثقة بما تريد في هذا الموضوع، وأنا راضٍ عن قرارها النابع عن عقل واع".

قالت دورو: "سيد رولف، يجب أن تحاول أنت معها إن كان السيد جاذركول يخشى المحاولة".

قال بوارو: "من فضلكم، لا تزعجوا الليدي بلايفورد. أرى أنها ترغب في أن تكون بمفردها لبعض الوقت".

ضحكت كلاوديا وقالت: "هل سمعتم ما قال! لقد وصل إلى منزلنا عصر اليوم، وها هو الآن يُلقني إلينا الأوامر فيما يتعلق بوالدتنا".

انحنى هاري بلايفورد نحو الأمام موجهاً حديثه إلى سكوتشر قائلاً: "ما شعورك تجاه هذا الأمر برمته يا صديقي؟ إنه أمر غريب، أليس كذلك؟".

قال سكوتشر: "هاري، صدقتي؛ أنا لم أطلب هذا أو أتمناه - مطلقاً. أنا لا أريده من الأساس. ورغم أنني قد تأثرت بشدة لأن الميزة آتت تهتم لأمرى لهذه الدرجة، ولكني لم أتخيل..."، ثم قطب جبينه وغير مسار الحديث قائلاً: "ولكني أربغ بشدة في فهم السبب وراء كل هذا. لا يمكنني أن أصدق أنها ترى أن هناك علاجاً لحالتي".

قالت دورو: "أنت تقول إنك لا تريد هذا الإرث - اكتب رغبتك هذه إذن على الورق. هذا كل ما يجب عليك فعله. اكتب أنك تريد أن تذهب الثروة بأكملها لي ولهاري، وسنوقع كشاهدين".

قالت كلاوديا: "أتذهب الثروة بأكملها لك ولـ هاري؟ هل نسيت ما قلته عن أن جوزيف ليس فرداً من العائلة من الأساس؟".

احمر وجه دورو وقالت: "كنت أعني لك وهاري. معذرة. أنا لا أعني ما أقول؛ فكل ما أريد فعله هو تصحيح الأمر".

قال سكوتشر: "أنت تتحدثين عن رغبتى يا دورو. إن لديّ رغبة واحدة فقط. صوفي... كنت قد أجتو على ركبتى لو كنت قادراً على ذلك، ولكنى أشعر بأنى لست في حال جيدة بعد كل ما حدث. صوفي، هل تشرفينني بموافقتك على أن تصبحي زوجتي، في أقرب فرصة ممكنة؟ هذا كل ما أتمناه في حياتي".

قالت صوفي وهي في حالة ذهول وتراجع خطوة نحو الخلف: "يا جوزيف، هل أنت واثق برغبتك هذه؟ لقد تعرضت لصدمة. ربما يجدر بك أن تترى قليلاً قبل أن —".

قال سكوتشر: "لم أكن واثقاً بشيء في حياتي مثل ثقتي برغبتى تلك الآن يا عزيزتي".

غمغم كيمبتون: "هذا ما أدعوبه كلاوديا. من فضلك، استخدم كلمات تودد خاصة بك يا سكوتشر".

التفتت صوفي نحوه وقالت: "ماذا تعرف أنت عن العطف؟ ماذا يعرف أي منكم عنه؟".

قال بوارو: "أعتقد أنه يجدر بنا جميعاً أن نترك مع السيد سكوتشر بمفردكما يا آنسة. هيا - دعونا نمنحها بعض الخصوصية".

الخصوصية! كانت تلك مبالغة كبيرة صادرة من فم بوارو، أكثر الناس في العالم تحمساً للتدخل في علاقات الآخرين العاطفية.

سألت كلاوديا: "أنت تأخذ عرض الزواج هذا على محمل الجدية إذن يا سيد بوارو؟ ألم تتساءل عن المفزى منه بما أن جوزيف لن يعيش طويلاً؟ أنا على يقين من أن شخصاً معتل الصحة لن يهتم كثيراً بإجراء ترتيبات حفل زفاف كبيرة".

قالت صوفي وهي تنظر لكل من كلاوديا وكيمبتون والشرر يتطاير من عينيها: "أنت سيئة مثل راندال تماماً! إنكما بلا قلب".

فقال كيمبتون: "بلا قلب؟ هذا غير صحيح. إن لدي جميع الصمامات والتجاويف والشرابين المكونة للقلب. ويضخ الدم في جسدي مثلما يضخ في جسدك تماماً". ثم التفت إلى بوارو وقال: "هذا ما يفعله علم النفس الذي تروج له يا صديقي - لقد أصبحنا نتحدث كما لو أن أنسجة العضلات يمكنها أن ترقق المشاعر. صديقيني يا صوفي، لو كنت قد فتحت الكثير من الجثث مثلما فعلت ورأيت القلوب في داخلها —".

صرخت دورو في وجهه قائلة: "ألن تتوقف عن الحديث عن أعضاء الجسم المقرزة الفارقة في الدم، بينما أطباقنا ممتلئة باللحوم؟ لا يمكنني تحمل النظر إليها، أو أن أشم رائحتها"، ودفعت طبقها بعيداً عنها.

لم يكن أحدنا قد تناول الكثير من الطعام، عدا أورفيل رولف، الذي أتى على عشاءه بالكامل في ظرف لحظات بعدما وُضع أمامه.

قال سكوتشر: "حبيبتي صوفي: إن راندال وكلاوديا محقان: لن أعيش طويلاً. ولكني أريد أن أقضي ما تبقى لي من وقت معك، كزوجك المحب المخلص، هذا إن قبلت".

كان هناك صوت بكاء مكتوم، توقف فجأة، فأخذ الجميع يسترقون السمع. لم يكن الصوت صادراً من أي من المتواجدين في الغرفة. قال كيمبتون بصوت مرتفع: "مَن ذلك المتطفل الذي وضع أذنه على الباب ليسمع ما نقول؟".

سمعنا جميعاً صوت الخطوات السريعة عندما فر مَن كان يستمع لحديثنا.

قالت صوفي كما لو كانت تتضرع إليه - الأمر الذي رأيتُه غريباً: "جوزيف، أنت تعلم أنني أحبك أكثر من أي شيء في العالم. وتعلم أنني سأفعل أي شيء من أجلك".

قال سكوتشر: "حسناً إذن". وعلت وجهه ابتسامة، أو بدت لي كذلك على الأقل، فقد بدا لي كأنه يعاني آلاماً شديدة.

قالت صوفي: "سيد بوارو كان محقاً. أعتقد أنه من المنطقي أن نتحدث بشأن هذا الأمر بمفردنا".

غادر الجميع الغرفة في أزواج؛ فخرجت كلاوديا وكيمبتون أولاً، ثم تبعهما هاري ودورو، وقبلتي بوارو مباشرة، ثم غادر جاذركول ورولف. وسمعت رولف يشكو من أنه قد تلقى وعداً بالحصول على قطعة من كعك الليمون كنتحلية، وكيف سيحصل الآن على الكعكة بعدما أجبر على مفادرة الطاولة، وألم يكن

من المفترض أن يكون السيد سكوتشر أكثر مراعاة ويؤجل عرضه للزواج من صوفي إلى ما بعد انتهاء العشاء ؟

بالنسبة لي، كنت قد فقدت شهيتي بالكامل، وغمغمت إلى بوارو: "أريد أن استنشق بعض الهواء المنعش. آسف، أعرف أنك لن تتمكن من فهم ما أشعر به".

قال بوارو: "لا، على العكس يا صديقي، أفهم الليلة ما تشعر به تمامًا".

الفصل ٨

نزهة في الحدائق

كان الأمر الأول الذي فعلته، بمجرد أن خرجت بصحبة بوارو، أن أملأ رئتي بالهواء الذي كنت أتوق له. فقد كان هناك أمر ما بشأن منزل ليلي أوك يجعلك تختنق، أمر ما جعلني أرغب في التحرر من قيوده.

قال بوارو: "هذا أفضل وقت من اليوم للتنزه في الحديقة... عندما يخيم الظلام ولا يمكن للمرء أن يرى النباتات أو الأزهار".

ضحكت قائلاً: "هل تتعمد أن تكون سخيماً؟ لن يوافقك أي بستاني الرأي".

قال: "إنني أستمع بشم رائحة الحديقة التي لا يمكنني رؤيتها. هل تشم تلك الرائحة؟ إنها رائحة الصنوبر واللافندر - نعم، رائحة اللافندر النفاذة. إن الأنف مهم مثل العينين. اسأل أي متخصص في الأشجار"، ثم ضحك بوارو قائلاً: "أعتقد أنه إن تسنى لنا، أنا وأنت، لقاء من أنشأ تلك الحديقة، فإنني من سيترك الانطباع الأفضل لديه".

قلت بغلظة: "أرى أنك تمتد هذا بشأن أي شخص قد نلتقيه معاً، سواءً كان بستانياً أو حتى ساعي البريد".

قال بوارو: "من كان عند الباب في رأيك؟".
قلت: "معذرة؟".

قال: "كان هناك شخص ما يقف وراء الباب يسترق السمع – شخص ما صدر عنه تعبير عن التعاسة بمجرد أن طلب جوزيف سكوتشر الزواج بصوفي".

قلت: "نعم، الذي فر بعد ذلك مسرعاً".
قال: "من كان في رأيك؟".

قلت: "حسناً، إننا نعلم أنه لم يكن أحد المتواجدين في الغرفة – لذا، فإنه لن يكون أنت أو أنا أو هاري أو دورو أو كلاوديا أو كيمبتون. كما أنه لم يكن أحد المحامين، جاذركول ورولف. كما أنه لم يكن جوزيف سكوتشر المسكين، الذي لم يعد قادراً على العدو، ولا ممرضته صوفي. وبهذا، لن يكون أماننا سوى الليدي بلايفورد، التي كانت قد غادرت الغرفة في ذلك الوقت، وبريجيت الطاهية، وهاتون رئيس الخدم، وفيليس الخادمة. قد يكون هذا الشخص أياً منهم. وأنا أميل إلى الاعتقاد أنها فيليس – إنها مغرمة بـ سكوتشر. لقد أخبرتني هذا بنفسها قبل العشاء".

قال: "وهل هذا سبب تأخرك عن موعد العشاء؟".
قلت: "نعم".

فأوماً بوارو برأسه وقال: "هل تمنع في أن نسير قليلاً؟ يمكنني أن أرى الطريق الآن. إنه يمتد حول المرج الأخضر بالكامل، وسيعيدنا مرة أخرى إلى المنزل".

قلت: "لا توجد رغبة لدي في العودة إلى المنزل". لم أكن أرغب في السير على الطريق الممهّد، فقد كنت أفضل السير على العشب، من دون التفكير في كيفية عودتي أو متى سأعود.

قال بوارو عندما بدأنا سيرنا على الطريق الآمن الذي اختاره: "أنت مخطئ".

قلت: "بشأن ماذا؟".

قال: "بشأن من كان يسترق السمع من وراء الباب ثم فر مسرعاً - نعم، قد تكون الليدي بلايفورد، أو الخادمة فيليس، أو هاتون، ولكنه من المستحيل أن يكون الطاهية بريجيت. لقد لمحتها عندما وصلت إلى المنزل، وأشك في أنها قادرة على التحرك بهذه السرعة، كما أن وقع خطواتها سيكون أكثر ثقلًا".

قلت: "نعم. لقد فكرت في الأمر الآن، فقد كان صوتًا لخطوات رشيقة". قال: "رشيقة كلمة مثيرة للاهتمام. إنها تشير إلى أن صاحبها شاب". قلت: "أعلم هذا. وهذا يجعلني أفكر... لا بد أنها فيليس. فكما قلت لك: إننا نعلم أنها مفرمة بسكوتشر. كما أنها شابة وخفيفة الحركة، أليس كذلك؟ لا أحد سواها - لا أحد ممن في المنزل كان خلف هذا الباب يسترق السمع، سواءً هاتون أو الليدي بلايفورد، فكلاهما متقدم في السن وبطيء الحركة، ولا يمكنه التحرك بهذه الخفة".

بدا بوارو مبتهجًا بالاتفاق معي وهو يقول: "لقد كانت فيليس إذن. دعنا نتقل إلى سؤالنا التالي. لمَ قررت الليدي بلايفورد تغيير وصيتها بهذه الطريقة الغريبة؟".

قلت: "لقد أخبرتنا بالسبب. إنها تأمل أن يؤثر عقل سكوتشر الباطن على —".

قاطع بوارو إجابتي في منتصفها قائلاً: "هذا غير منطقي. إن الفضل الكلوي أمر واقع. كما أن كل أموال العالم لا يمكنها معالجة مرض عضال في مراحله النهائية. إن الليدي بلايفورد امرأة ذكية، لذا، فإنها تدرك هذه الحقيقة. لا أعتقد أن هذا هو السبب الحقيقي".

توقف عن السير ليعارض نفسه قائلاً: "إلا أن قدرة الناس على الإيمان بأن آمالهم حقيقية أمر لا حدود لقوته يا صديقي. فإذا كانت الليدي بلايفورد تحب جوزيف سكوتشر لهذه الدرجة، فربما...".

انتظرت لأرى إن كان سيضيف شيئاً آخر، وعندما بدا أنه لن يفعل، قلت: "أعتقد أنك كنت محقاً في المرة الأولى. وإن كان هناك ما أعرفه عن أثيليندا بلايفورد عبر مؤلفاتها، فسيكون أنها تفكر في الكثير من الدوافع والمؤامرات الغريبة التي لن تخطر على بال أحد. وأعتقد أنها كانت تتلاعب بنا في أثناء العشاء. وأعتقد أنها من النوع الذي يستمتع بممارسة الألاعيب. بدأ بوارو يسير من جديد وقال: "هل تعتقد أن وصيتها بترك جميع ممتلكاتها إلى سكوتشر زائفة؟".

قلت: "لا، بل أعتقد أنها حقيقية". ما الذي كنت أعنيه؟ كنت قد فكرت في الأمر ملياً. فتابعته حديثي قائلاً: "إن كون الوصية حقيقية يعد جزءاً من لعبتها. إنها جادة بالفعل — ولكن هذا لا يعني أنها لا تتلاعب بالجميع". قال: "وما السبب يا صديقي؟ ربما بهدف الانتقام؟ هل هي الرغبة في عقابهم — ولكن ليس بشكل مفرط القسوة؟ إن أكثر تلميح مثير للاهتمام هو الإشارة إلى وصية الفيكونت بلايفورد الراحل. إنني اتساءل...". قلت: "نعم، لقد كنت أتساءل عن النقطة نفسها أيضاً".

قال: "أعتقد أنه يمكنني أن أخمن ما حدث: عادة ما تؤول ممتلكات العائلة إلى الابن، الفيكونت الجديد. ولكن، في حالتنا هذه، يبدو أن هذا لم يحدث. إن الليدي بلايفورد، كما سمعنا الليلة، هي المالكة لمنزل ليلي أوك والعديد من المنازل في لندن. لهذا السبب... أعتقد أن هناك ترتيبات غير معتادة قد أقدم عليها الفيكونت بلايفورد الراحل. فمن المرجح أنه هو الليدي بلايفورد لم يريا أن هاري الشاب قادر على تحمل مثل هذه المسؤولية الكبيرة —".

قلت: "إن كان هذا ما يقلقهما، فلن يمكن لأحد لومهما. إن هاري يعطيك انطباعاً بأن هناك كتلة صماء من اللحم بين أذنيه، أليس كذلك؟".

غمغم بوارو بكلمة تتم عن اتفاقه معي، ثم قال: "أوربما كان يعود تردد الليدي بلايفورد وزوجها الراحل إلى زوجة ابنهما، والتي أظهرت نزعتها الشريرة بوضوح خلال فترة لقائنا القصيرة بها".

قلت: "ماذا كنت تعني عندما قلت إن الليدي بلايفورد تريد عقابهم ولكن ليس بشكل مفرط القسوة؟".

قال: "دعنا نفترض أنها تريد أن تحرم ابنها من الميراث — ستكون هذه قسوة بالغة. ولكنها تشعر بالكثير من الغضب لأنهما لا يهتمان بها. ربما لم يكونا مراعيين لها كما كان من المفترض بهما أن يكونا. لذا غيرت وصيتها لتترك كل ممتلكاتها إلى جوزيف سكوتشر. إنها تعلم أنه سيموت قبلها — وأن وصيتها الجديدة لن تشكل فارقاً كبيراً بالنسبة له، ولكنها مجرد إشارة لابنيها. والآن، سيظل ابناها وزوجة ابنها مترقبين لما تبقى من حياة سكوتشر تحسباً لموتها قبله — فعلى أية حال، الحوادث تقع. فعندما يموت سكوتشر متأثراً بمرضه، سيرتاحون جميعاً ولن يأخذوا أن جميع ممتلكات الليدي بلايفورد ستؤول إليهم ذات يوم على أنه أمر مسلم به. وسيعاملونها باهتمام أكبر فيما بعد".

قلت: "لا تعجبني هذه النظرية على الإطلاق. إن الحوادث تقع، ولا يمكنني أن أصدق أن الليدي بلايفورد قد تضع خطة غير محكمة مثل تلك. فلو كانت تريد أن تؤول ممتلكاتها إلى ابنيها، فإنها لم تكن لتقدم على أية مخاطرة، مهما صغرت. وكما تقول، قد تسقط من على الدرج وتُكسر رقبتها غداً، وبذلك ستؤول جميع ممتلكاتها إلى سكوتشر".

توقعت أن يجادلني بوارو في هذه النقطة، ولكنه لم يفعل. ظللنا نسير لبعض الوقت صامتين. كانت قدماي قد بدأتا تؤلمانني بسبب محاولتي مواكبة السرعة التي يسير بها. يجب أن ينظم شخص ما مسابقة رياضية عن محاولة السير ببطء شديد، حيث إن السير بهذه الطريقة يشد عضلات لم يدرك المرء وجودها من الأساس.

قلت: "لديّ نظرية غريبة. تخيل لو أن الليدي بلايفورد تمتلك سبباً للاعتقاد أن أحد ابنيها ينوي قتلها".
قال بوارو: "ماذا؟".

قلت: "أعتقد أنك فكرت في هذا الاحتمال".
قال: "لا، يا صديقي، أكمل".

قلت: "إنها تشعر بالقلق بشأن سكرتيرها الذي يحتضر جوزيف سكوتشر. ومن منطلق كونها تمثل نموذجاً للأُم بالنسبة له، والذي من المرجح أنها ترى نفسها كذلك أيضاً - فهو يتييم، وهي فقدت طفلها الصغير - ولا ترغب في أن تموت بينما لا يزال هو على قيد الحياة وبحاجة إليها. وتأمل أن تظل على قيد الحياة حتى تعينه وتسري عنه خلال المراحل الأخيرة من مرضه. في الوقت ذاته، تعلم جيداً أن قدراتها محدودة، فإن كان هاري أو كلاوديا - أو دورو أو كيمبتون أيضاً - يفكر جدياً في قتلها، فإنها لن تتمكن من منع هذا".

قال بوارو: "لذا، غيرت وصيتها لتضمن أن قاتلها المحتمل سينتظر حتى يموت سكوتشر ثم يقتلها، أليس كذلك؟".

قلت: "نعم. إنها تتوقع أن القاتل قد ينتظر حتى يضمن حصوله على أموالها ومنازلها وأراضيها. بالضبط، وبعد ما يموت سكوتشر، لم ستهتم ببقائها على قيد الحياة أو موتها؟ لقد توفي زوجها، وستبدو خسارة سكوتشر بمثابة خسارة طفلها مرة أخرى".

قال بوارو: "لماذا لم تستعن الليدي بلايفورد بالشرطة إن كانت تعتقد أن حياتها في خطر؟".

قلت: "تلك نقطة جيدة. نعم، كان يمكنها ذلك، وهو الأمر الأرجح. وهذا ما يجعل من نظريتي مجرد هراء".

عندئذ سمعت صوت ضحكات بجواري. كان بوارو، مثل أثيليندا بلايفورد، يستمتع بالتلاعب بالناس؛ فقال: "إنك تستسلم بسهولة يا كاتشبول. إن الليدي بلايفورد ليست بالشابة الصغيرة، كما قلنا من قبل. وغالبية النساء في مثل عمرها لا يحببن الترحال. لذا فإنها لم تذهب إلى الشرطة، بل أحضرت الشرطة إليها. أنت يا صديقي. بل وفعلت أكثر من هذا أيضًا، لقد أحضرت إلى منزلها المحقق العظيم هيركيول بوارو".

قلت: "هل تعتقد إذن أن نظريتي صحيحة؟".

قال: "إنها محتملة. فمن الصعب على أية أم إن تقول أن ابنها يخطط لقتلها، خاصة للغرباء. لذا قد تحاول أن تنحي الحقيقة التي لا تُحتمل جانبًا وتتعامل مع الأمر بطريقة أقل وضوحًا. كما أنها قد لا تكون واثقة بشكوكها، وربما أنها لا تمتلك الدليل بعد. هل لاحظت أية ردة فعل غريبة من الحضور على خبر تغيير الوصية؟".

قلت: "لقد نزل الخبر كالصاعقة على الأشخاص الستة، أليس كذلك؟
لقد تسبب الخبر في الكثير من ردود الأفعال، وأشك في أن الأمر قد انتهى".
قال بوارو: "إن الخبر لم ينزل كالصاعقة على الأشخاص الستة
جميعهم".

قلت: "هل تعني هاري بلايفورد؟ نعم، أنت محق. لم يبد عليه التأثير
بانزعاج زوجته، أو بكلماتها القاسية عن شقيقه الراحل، نيكولاس، أو برحيل
والدته متألمة بعد ذلك. أعتقد أن هاري بلايفورد من نوعية الأشخاص
رابطي الجأش الذين قد يجدون أنفسهم في مركز زلزال ويلاحظون ذلك
بالكاد. أعتقد أنه ليس ذكياً أو حساساً. أعني... يا إلهي، لقد كان ما قلته
أكثر قسوة مما كنت أقصد".

قال بوارو: "أتفق معك يا صديقي. يمكننا إذن أن نتحي ردة فعل هاري
بلايفورد غير المعتادة جانباً في هذا الوقت وأن نقول إنها ليست من طباعه.
فلا أعتقد أنه قد ترك مهمة التعبير العاطفي بالكامل إلى زوجته لتؤديها
نيابة عن كليهما".

قلت: "نعم، يمكن لـ دورو أن تجزع بقدر يكفي ستة من الأشخاص.
لقد سألتني عن ردود الأفعال الغريبة – أنا لا أعتقد أنك لاحظت رد فعل
جاذركول، أليس كذلك؟ بدا كأنه يحاول كبت حزن عميق أو ثورة هائلة كانت
تهدد بالانفجار. أعترف بأنني شعرت لوهلة بالخوف من أن تبوء جهوده
بالفشل وأن يُخرج ما يعتمل بنفسه، أيًا كان".

قال بوارو: "لقد وصفت الأمر بشكل رائع، ولكن لم يكن الإعلان عن
الوصية الجديدة هو الذي أثار استياء السيد جاذركول. تذكر أنه كان على
علم بالأمر قبل ساعات من إعلانه، وكان هادئاً تماماً عندما تجمعنا جميعاً
حول الطاولة. ما الذي قلب مزاجه إذن؟".

قلت: "لقد تساءلت كثيرًا عن هذه النقطة بالتحديد. ماذا حدث ولم يكن مستعدًا له؟ أعتقد أنه لم يتوقع رد فعل سكوتشر: لم يبدُ سعيدًا بالوصية الجديدة، أليس كذلك؟".

قال: "نعم، لم يكن سعيدًا. إن سكوتشر على وشك أن يموت، ما الذي سيستفيدة من الوصية الجديدة؟ لا شيء. إنه لن يعيش ليرث المال؛ لذا فإنها لن تسبب له سوى المشكلات – النقمة من دورو ومن كلاوديا... الأمر الذي يجعلني أتساءل".

قلت: "عن ماذا؟".

قال: "عن نية الليدي بلايفورد – ربما لم تكن لصالح سكوتشر، بل من أجل مضايقته؛ لتجعله حزينًا ومنزعجًا. كانت هذه هي النتيجة التي رأيناها بأنفسنا، ولا يبدو أن الليدي بلايفورد من الأشخاص الذين يخطئون التصويب".

قلت: "ماذا لو أنها دبرت بمشاركة جوزيف سكوتشر مؤامرة ما؟".

سألني بوارو: "لماذا فكرت في ذلك؟". كنا قد وصلنا إلى الجانب الآخر من المرج الأخضر، إلى النقطة التي وفرت لنا أفضل مجال لرؤية منزل ليلي أولك. ومن المفترض أن يقف الناس هنا ليتأملوا المنزل.

قلت: "لا أعلم. لقد رأيت أن هناك تشابهًا بين سلوك كل منهما: تترك الليدي بلايفورد كل ممتلكاتها إلى رجل يحتضر لن يستفيد من كرمها، ثم يطلب جوزيف سكوتشر الزواج بفتاة، والتي إن قبلت، فستكون حياتها عبارة عن تمرير زوجها المحتضر بدلًا من أن تكون حلمًا رومانسيًا جميلًا، قبل أن تصبح أرملة. في كلتا الحالتين، الوعد بامتلاك كل شيء – تحقق حلم المرء – ولكن، مع واقع مختلف تمامًا وأكثر كآبة".

قال بوارو بينما كنا نواصل السير: "إنها ملحوظة مثيرة للاهتمام. يمكنني أن أتخيل زيادة رغبة المرء في الزواج بمن يحب عندما توشك حياته على نهايتها، فهناك الكثير من السلوى في هذا الارتباط الرمزي". قلت: "ماذا لو انتهى المطاف بالمرضة صوفي وقد ورثت الثروة بأكملها؟".

قال بوارو: "بينما أفكر أنا في الأمور الرومانسية الرائعة، تفكر أنت بطريقة أكثر عملية، أليس كذلك؟".

قلت: "ألم تفكر في ذلك؟ إن تزوج بصوفي وماتت الليدي بلايفورد قبله، فإلي من ستؤول ممتلكاتها؟ إلى صوفي زوجة سكوتشر". قال بوارو: "اسمع يا كاتشبول، ما هذه الضوضاء؟".

توقفنا عن السير. فبدا كأن الصوت يأتي من الشجيرات على يميننا: إنه صوت مميز لشخص يبكي، ولكنه سرعان ما تحول إلى صوت هسهسة متقطع.

سألت بوارو: "ما هذا بحق الله؟".

قال: "همس غاضب. أخفض من صوتك وإلا سيسمعوننا، إن لم يكونوا قد سمعونا بالفعل".

وبمجرد أن أنهى كلماته، بدا جلياً أن صوت الهسهسة كان عبارة عن صوت شخص خائف يحاول التحدث بصوت منخفض ولكن بصورة عاجلة. همست قائلاً: "هناك شخصان. هل نبحث عنهما؟".

قال بوارو رافضاً الفكرة: "في تلك الحقائق الكبيرة؟ سيكون من الأسهل أن نبحث عن ورقة شجر بعينها – ورقة الشجر الأولى التي رأيتها عندما وصلت إلى هنا".

قلت: "إن العثور على البشر أسهل من العثور على أوراق الشجر".

قال بوارو: "ليس عندما نكون غريبين عن تلك الأنحاء ومن نبحث عنهما ليسا كذلك. لا، سنعود إلى المنزل، فهناك عمل علينا القيام به. يجب أن نشغل أنفسنا به. بمجرد أن ندخل المنزل، سنعرف من الحاضر به ومن الغائب عنه. وسيكون هذا أفضل من البحث عن إبرة في كومة قش".

سألته: "ماذا تعني بأن لدينا عملاً لنقوم به؟ ما هذا العمل؟".

قال بوارو: "لقد أدركت الآن سبب دعوتنا إلى هنا، أنا وأنت، ليس بسبب التعارف الاجتماعي. لا، على الإطلاق، لقد دعينا إلى هنا لنستخدم خلايا مخينا الرمادية. إن دعوتنا جزء من خطة الليدي بلايفورد".

قبل أن تسنح لي فرصة سؤاله قائلاً: "أية خطة؟"، أضاف بوارو بهدوء، كما لو كانت فكرة جديدة قد خطرت على ذهنه: "لقد دعينا لنمنع وقوع جريمة قتل".

الفصل ٩

الملك جون

أدخلنا هاتون المنزل، وكالمعتاد، لم يقل شيئاً، على الرغم من أن سلوكه بدا كأنه يقول إن ثلاثتنا كنا قد نصبح أفضل حالاً لو لم نخرج أنا وبوارو خارج المنزل ثم نعود لنحتاج لمن يدخلنا المنزل.

توجهنا أولاً إلى غرفة الطعام، والتي وجدناها خالية، ثم إلى غرفة الاستقبال، حيث وجدنا هاري، ودوروثي، وكلاوديا، وراندال كيمبتون. وكانت هناك نار تتراقص في المدفأة، ولكن من دون تأثير على برودة الغرفة. كانوا جميعاً جالسين يرتشفون الشراب، فيما عدا كيمبتون، الذي كان يعد لنفسه كأساً من الشراب، ولكن، بعدما ملأ الكأس، أعطاه إلى بوارو، الذي رفعه نحو أنفه ليشم رائحته. أياً كان ما في الكأس، فإنه لم يعجب بوارو، فوضعه على أقرب طاولة من دون أن يأخذ منه رشفة واحدة. وكان كيمبتون منشغلاً بإعداد كأس آخر من الشراب من أجلي، فلم ير ما حدث.

سألت دورو وقد مالت نحو الأمام، وعيناها القلفتان تنتقلان بيني وبين بوارو: "هل سمعتما أية أخبار؟".

قال بوارو: "أخبار عن ماذا يا سيدتي؟".

قالت: "عرض جوزيف سكوتشر للزواج من صوفي بورليه. لقد تركناهما بمفردهما في غرفة الطعام - حسنًا، كان هذا من باب الكياسة - ولكننا لم نرهما أو نسمع شيئًا عنهما منذ ذلك الحين. لقد افترضت أنهما سينضمنا لنا هنا... أريد أن أعرف النتيجة".

قال كيمبتون: "أنا سعيد لكونك مهتمة بالأمر يا دورو". قالها وأشعل سيجارة. وأخرج هاري بلايفورد علبة سجائره الفضية وأشعل سيجارة هو الآخر.

تثاءبت كلاوديا وقالت: "بالطبع وافقت. لا يمكنني أن أتخيل أن أحدًا قد يرفض عرضًا مثل هذا. لا شك في أنهما سيتزوجان إن أمهلهما الموت بعض الوقت. إن هذه القصة تشبه قصة أوبرا ميكادو، أليس كذلك؟ هل تعرفها يا سيد بوارو؟ أوبرا جيلبرت وسوليفان؟ إن موسيقاها رائعة، كما أن أحداثها مضحكة جدًا أيضًا. يرغب نانكي بوفي الزواج من يام - يام، ولكن الطريقة الوحيدة ليتمكن من الزواج بها هي أن يقطع كو - كو، اللورد كبير الجلادين، رأسه بعد شهر واحد. ويوافق على ذلك بالطبع، فهو يحب يام - يام".

قال كيمبتون: "رجل رائع. سأزوجك حتى إن كان هذا يعني أن يقطع رأسي بعد شهر واحد يا عزيزتي".

قالت كلاوديا: "ثم سأقع أنا في حيص بيص، هل أحتفظ برأسك أم جسديك. أعتقد أنني اتخذت قراري، سأحتفظ بالرأس".

ظننت أن ما قالته كان مزعجًا وغير منطقي بالمرة، إلا أن كيمبتون، الذي وجهت له هذه الكلمات، بدا معجبًا جدًا بها.

سألها: "لم لا تحتفظين بكليهما يا ملكتي؟ هل هناك قانون يمنع هذا؟".

قالت كلاوديا: "أعتقد أن هناك قانوناً يمنع هذا، وإلا لن يكون الأمر ممتعاً على الإطلاق. نعم... نعم، إن رفضت الاختيار بين رأس بلا حياة، وجسد بلا دم، فسيؤخذان كلاهما مني ويُحرقان، ولن أحصل على شيء. أنا أختار الرأس".

قال كيمبتون: "إن عقلي سيطير من السعادة، ولكنه يرسل في الوقت ذاته إشارات إلى بقية أطراف جسدي لتشعر بالإهانة. لا أمانع أن أقول لك إن ذلك التوازن صعب التحقيق، حتى على عقل متطور مثل عقلي".

مالت كلاوديا برأسها نحو الخلف مطلقة ضحكة عالية. لقد وجدت ذلك الحوار بأكمله صادمًا، بل و - لتحري الصدق - منفرًا. بدا أن دورو تتفق معي على هذا حين غطت وجهها بيديها وقالت: "هل تمانعان لو توقفتما؟ ألا يمكنكما أن تتوقفا عن هذا؟ لقد وقع أمر جلل. ليس هذا وقت العبث".

قال كيمبتون: "لا أتفق معك في ذلك. إن العبث حرية في جميع الأحوال. ويمكن للورثة والمحتاجين أن يستمتعوا به على حدٍ سواء".

حدقت إليه دورو والشرر يتطاير من عينيها وهي تقول: "إنك بغيفض يا راندال. وأنت يا هاري، ألن تقول شيئاً؟".

قال هاري بجدية وهو ينظر إلى ما تبقى من شراب في كأسه: "أرى أننا سنكون أفضل حالاً إن احتسينا المزيد من المشروبات".

أمسك كيمبتون بكأسه وقطع الغرفة ليقف خلف مقعد كلاوديا، وانحنى ليقبل جبهتها قائلاً: "إنه رجل لم تتم نعمته، فبقيتها بين يديها، وهي امرأة ناقصة التميز، تضع بقية تميزها وكمالها بين يديه".

صاحت كلاوديا: "مسرحة الملك جون اللعينة لشكسبير. إنها مملة للغاية؛ فأنا أفضل أفكارك على أفكار السيد شكسبير يا حبيبي - إنها أكثر أصالة".

سأل بوارو: "أين الآخرون؟"

قالت كلاوديا: "أعتقد أنهم خلدوا للنوم. لقد تمنى لنا كل من السيد جاذركول والسيد رولف ليلة سعيدة. لا أعرف سبب رغبتهم في النوم عندما يكون مرح عائلة بلايفورد على وشك البدء".

قالت دورو: "لقد سمعت السيد رولف يقول إنه لا يشعر بأنه بخير".

قال هاري: "لقد بدا سكوتشر المسكين ككلب مريض هو أيضًا".

قالت كلاوديا: "أنا على يقين من أن صوفي قد وضعت في أمان في لحد الدافئ الناعم".

قالت دورو بصوت مهزوز: "يكفي هذا... توقف الآن، لا يمكنني أن أتحمل المزيد".

قالت كلاوديا: "سأقول ما يحلولي. أنا على العكس منك يا دورو، أعلم جيدًا متى يمكنني أن أمزح ومتى لا يمكنني هذا. هاري، هل ترغب في تحنيط جثة جوزيف وتعليقها على الجدار؟"

رأيت بوارو يجفل بفعل تلك الكلمات، ولم أُلَمَّه على ذلك. هل سيتزوج الطبيب راندال كيمبتون بامرأة ترى أن الموت المأساوي لشخص ما أمر يستحق السخرية؟

وضعت دورو كأس شرابها بقوة على الطاولة بجوارها، وكورت يديها على شكل قبضتين، ولكنها لم تتمكن من الحفاظ على ثبات أصابعها التي انثنت مثل الديدان، وقالت باكية: "لا أحد يهتم لأمرى، حتى أنت لا تهتم يا هاري".

"ماذا؟"، قالها زوجها، ثم تطلع إليها لبضع ثوان قبل أن يقول: "تماسكي يا عزيزتي، سنكون بخير".

ضيق كلاوديا عينيها متحدية زوجة أخيها وهي تقول: "إنك لست إنسانة مثالية لكي تزعجك مزحة تافهة عن اللحد يا دورو. أنا واثقة من بأن أُمي لا تزال تبكي في غرفتها بسبب كلماتك القاسية. لقد وجهت لها الاتهام بمحاولة تحويل جوزيف إلى نيكولاس، وجعله ابنًا بديلًا لها. وهذا ليس صحيحًا".

قالت دورو منهارة: "توقفي! أتمنى لو قطعت لساني"، وتخلت تمامًا عن زهوها وعنادها، وبدأت تبكي قائلة: "لقد كنت مستاءة للغاية، وخرجت... تلك الكلمات مني دون أن أعياها، فأنا لم أقصد قولها".

قال كيمبتون ببهجة: "ولكنك قلت: جثة هامة... على ما أعتقد". رجته دورو قائلة: "أرجوك. دعنا لا نتحدث عن هذا الأمر".

قال كيمبتون: "ماذا عن وصفك لنيكولاس بأنه جثة هامة؟ لقد لاحظت عندما قلت تلك الكلمات أنك قد نطقت كل حرف فيها وكأنك تعيننها. لقد بدا وكأنك ترغبين في إطالة فترة نطقك لها قدر إمكانك. أكثر ما يثير اهتمامي: لو كنت قلت كلمة ميت بدلًا من جثة هامة، هل كانت آثي لتفادر الغرفة مثلما فعلت؟ أشك في هذا. في تقديري، كانت عبارة جثة هامة هي صاحبة التأثير الأقوى".

قالت دورو باكية: "أنت رجل قاس القلب يا راندال كيمبتون". وأخيرًا انتبه هاري بلايفورد لما يحدث، فاعتدل في جلسته وقال: "اسمع يا راندال، هل هناك حاجة لهذا الهراء؟".

ابتسم كيمبتون وقال: "إذا كنت حقًا تريد إجابة عن هذا السؤال يا هاري، فسيسعدني أن أجيب عنه".

قال هاري في تردد: "حسنًا... هذا جيد إذن".

قال كيمبتون: "جيد"، فضحكت كلاوديا ضحكتها المريرة مرة أخرى. يمكنني أن أقول بكل تأكيد إنه من بين جميع التجمعات العائلية التي حضرتها، بمن فيها عائلتي، لم أر مطلقًا مناخًا عائليًا أسوأ من مناخ غرفة الاستقبال في ليلي أوك في تلك الليلة. لم أكن قد جلست بعد، ولم تكن لدي نية لذلك. وحتى بوارو، الذي كان يفضل أن يجلس كلما سنحت له الفرصة، ظل واقفًا بجواري.

طرح كيمبتون سؤالاً عامًا غير موجه لأحد بعينه: "لماذا نسمح للكلمات بأن يكون لها هذا التأثير الكبير علينا؟"، ثم بدأ يذرع الغرفة ببطء قائلاً: "إنها تتبدد في الهواء بمجرد أن تخرج من أفواهنا، ولكنها تظل راسخة في أذهاننا إن خرجت من أفواهنا بترتيب يستحق الذكر. كيف يمكن لكلمتين — جثة هامة — أن تخلفا استياءً أكبر من ذكرى الطفل المتوفي التي لا كلمات فيها؟".

هبت دورو من مقعدها وقالت: "وماذا عن طريقة تعامل آني مع ابنيها الحيين هذا المساء؟ لماذا لم تقل شيئاً عن هذا الأمر؟ كيف تجرؤ على أن تصورني على أنني المعتدية وأن آني هي الضحية، كما لو كانت عجوزاً منكسرة. إنها أكثر قوة من أي منا".

توقف كيمبتون بجوار النافذة وقال: "إن حزني على ابني الغائب يملأ الغرفة. وأراه راقداً في فراشه، يلأزمي كلما صعدت أو هبطت، ويركز علي نظراته الرائعة، ويكرر على سمعي كلماته. ويذكرني بكل أعضائه الجميلة، ويملاً ملابسه الخاوية بهيئته. هل لدي سبب إذن لأن أغرم بالحزن؟... هل تعرف مسرحية الملك جون لشكسبير يا سيد بوارو؟".

قال بوارو: "لا، للأسف يا سيدي. إنها من بين مؤلفاته القليلة التي لم أقرأها".

قال كيمبتون: "إنها مهيبة. تزخر بالحب للملك والبلاد، وخالية من تلك القيود الإنشائية الكئيبة التي كان يصير شكسبير دوماً على فرضها على القراء. هل هناك مسرحية من مسرحياته تفضلها؟".

قال بوارو: "هناك الكثير من المسرحيات المتميزة، ولكن، إن اخترت واحدة فقط... فسأقول إنني أحب مسرحية يوليوس قيصر كثيراً".

قال كيمبتون: "يا له من اختيار مثير وغير معتاد، لقد أبهرتني. أتعلم! إن حبي لمسرحية الملك جون هو ما دفعني لأن أعمل في مجال الطب. وبفضل شكسبير، كنت قد أصبح أديباً وليس طبيباً. فعندما ألتقي بأي مريض غير راضٍ عن أدائي، أخبره بأن يلقي باللوم على شكسبير وليس عليّ".

قالت كلاوديا: "هل تقصد تلك الجثث المسكينة المملة المسجأة على طاولة التشريح يا حبيبي؟".

قال كيمبتون ضاحكاً: "هل نسيت أنني أتعامل مع الأحياء مثلما أتعامل مع الأموات يا حبيبتي؟".

قالت كلاوديا: "لا يوجد إنسان على قيد الحياة قد يراك غير مرضٍ بأية حال من الأحوال. لقد افترضت أن المرضى غير الراضين الذين أشرت إليهم هم الجثث، وأنهم غير راضين عن نتائج حياتهم. ولحسن الحظ، لا يمكنهم أن يقولوا أي شيء عن هذا الأمر".

قالت دورو: "لا أريد أن أفكر في أو أقول أي شيء يتعلق بالموت، أرجوكم".

سأل بوارو كيمبتون قائلاً: "بأي شكل تربط مهنتك كطبيب بمسرحية الملك جون؟".

قال كيمبتون: "ماذا؟ نعم. ربما كنت أتجنب مسرحية يوليوس قيصر. نعم، ربما كان هذا هو السبب. إنه خيار محترم رغم كونه غير معتاد. لا يجب على المرء أن يعاني إدانة أقرانه له أو أن يشارك في جدالات متواصلة بلا طائل. وكدارس لأدب شكسبير، قيل لي دوماً إن مسرحيات هاملت والملك لير وماكبث أعلى مقاماً من الملك جون. ولكني لم أر ذلك، ولكن، كيف سأثبت أنني محق في النهاية؟ لم أتمكن من ذلك. كان بمقدور خصومي أن يذكروا الكثير من الدارسين الآخرين الذين يوافقونهم الرأي، كما لو أن جيشاً من الموافقين من دون تفكير يمكنهم إثبات أي شيء. يجدر بالمرء أن ينظر إلى المواقف السياسية ليرى أن الحال ليست على هذا المنوال. فهناك أعداد كبيرة من سكان هذه الجزيرة يؤمنون بأنهم سيكونون أفضل حالاً إن أصبحوا في دولة مستقلة —".

قالت دورو: "من فضلكم. دعونا لا نتحدث في أمور السياسة بعد كل ما حدث الليلة".

قال كيمبتون: "دورو، أرجوك. أعطني قائمة بالموضوعات التي من المسموح لي بأن أتحدث عنها، وعن السلطة التي ترغبين في استخدامها لفرض القيود على أحاديثي — سواء كانت أخلاقية أو قانونية، لا يهم — وسأعطيك وثيقة تحتوي على كامل مراعاتي لحقوقك. وحتى تنتهي من ذلك، سأواصل حديثي مع بوارو كما هو. لا يرى الكثير من مواطني أيرلندا الحرية الإنجليزية على أنهم قومهم، بل على أنهم أعداؤهم — الأمر الذي يؤدي بنا، في رأيي، إلى الجزم بأن الكثير منهم حمقى. إلا أن هذا الجزم لن يسوي مشكلة النزاع. ما أحاول قوله — بطريقة غير مباشرة، عليّ أن أقر بذلك — أن بعض الأمور تختلف من شخص لآخر ولا يمكن إثباتها بالمنطق المجرد،

وإذا ما كانت مسرحية الملك جون هي أفضل روايات ويليام شكسبير أحد هذه الأمور".

قال بوارو: "ولكن الطب ليس أحدها".

ابتسم كيمبتون وقال: "هذا صحيح. كشخص يحب الانتصار دومًا، ويفضل أن يعرف الجميع أنه انتصر، أدركت أنني أصلح لنوع مختلف من العمل. ويسرني أن أقول إنني اتخذت القرار الصائب، لقد أصبحت حياتي الآن أكثر وضوحًا. أقول: إن لم نبتز ساق هذا الرجل، فسيموت... أو: لقد ماتت هذه المرأة بسبب ورم في المخ - ها هو ذا، في حجم الشمامة... لا يمكن لأحد أن يجادلني؛ لأنه لا أحد يمكنه أن يفعل. وسيكون بين يديّ الورم الذي في حجم الشمامة ليروم جميعًا، أو الشخص الميت - الذي مات بسبب الفرغرينا، ولا تزال ساقاه في مكانيهما، بسبب أحد الحمقى المتفائلين الذي التزم جانب الأمل بدلًا من الحذر".

فلخص بوارو حديثه قائلاً: "لقد اخترت مهنة تمكك من إثبات أنك على حق".

قال كيمبتون: "لقد فعلت، نعم. إن دراسة الأدب تناسب أولئك الذين يستمتعون بالتخمينات، ولكني أفضل أن أعرف. أخبرني - من بين جميع أولئك القتلة الذين قبضت عليهم... في أي من هذه القضايا حصلت على دليل دامغ قد يقتنع به القاضي إن لم يعترف المجرم بجرمه؟ لأن الاعتراف لا يثبت شيئًا على الإطلاق. سأثبت لك حجتِي: أنا راندا كيمبتون قتلت أبراهام لينكولن. ولم أكن قد ولدت بعد عندما قُتل... ولكني رجل أحق وطموح؛ لذا، لم أدع هذا يوقفني عن تحقيق هدفي. لقد قتلت الرئيس لينكولن".

ضحكت كلاوديا، فبدأ صوتها مزعجًا، ولكن، بدا أنه يعجب كيمبتون.

قال بوارو: "هناك أيضًا غوامض في الطب لم يمكن لأحد إثباتها. الورم في المخ، الساق المبتورة... لقد اخترت أمثلة تخدم حجتك. ولكنك لم تذكر المرضى الذين يحضرون إليك وهم يشعرون بالآلام لا يمكنك تفسير سببها".

قال كيمبتون: "هناك بعض من مثل هذه الحالات بالفعل، أصدقك القول. ولكن، إن كان المرء يعطس، ويسيل أنفه ولديه فتحتا أنف محمرتان، فسأقول إنه مصاب بنزلة برد ولن يقضي أحد ساعات في محاولة إثبات خطئي. لهذا السبب، أفضل كثيرًا أن أقوم بعملتي بدلًا من عملي يا صديقي". قال بوارو: "وأنا يا صديقي أفضل القيام بعملتي. إن كان بمقدور أي كان أن يلاحظ أنفًا يسيل وقيس درجة حرارة المريض ويشخص مرض الإنفلونزا، فأين التحدي إذن؟".

بدأ كيمبتون يضحك بينه وبين نفسه، ولم يمر وقت طويل حتى تعالى صوت ضحكته وبدأ جسده بالكامل يرتج. وقال عندما تمالك نفسه أخيرًا: "هيركيول بوارو. لكم يسعدني وجودك في الحياة بل وحضورك إلى هنا. يا له من أمر مذهل، بعد كل ما حققت، أن تظل ترحب بالتحدي الذي يقدمه الشك. إنك رجل أفضل مني... بالنسبة لي، الشك آفة، وباء. ولكني سعيد باختلافك معي".

شعرت بأن بوارو يبذل جهدًا كبيرًا ليحافظ على هدوئه. من جانبي، كان قد يسعدني كثيرًا أن ألكم كيمبتون فوق أنفه الفخور ثقيل الظل. لقد جعل بوارو يبدو خجولًا وغير جدير بالاهتمام.

قال بوارو: "هل تسمح بتغيير الموضوع يا سيدي؟".

قال كيمبتون: "لست أنا المسئول عن تحديد الأمور المسموح بالتحدث عنها هنا. يا دورو، ماذا تقول وثيقتك الرسمية عن هذا؟ إننا بحاجة إلى مساعدتك".

سأل بوارو: "هل ظللتم أنتم الأربعة معاً منذ غادرتم غرفة الطعام؟ وهل حضرتم من هناك مباشرة إلى هنا؟".
قالت كلاوديا: "نعم، ولكن لماذا؟".
فقال بوارو: "ألم يخرج أحدكم إلى الحديقة منذ حوالي ١٠ أو ١٥ دقيقة؟".

قالت دورو: "لا، لقد غادرتنا غرفة الطعام معاً وحضرنا إلى هنا، ولم يبق أي منا بمفرده منذ تلك اللحظة".

ثم أكدوا جميعهم كلامها.
من شأن هذا أن يستبعد كلاً من هاري ودورو وكلاوديا وكيمبتون - إلا إن كانوا يكذبون - من دائرة الشك في الشخص الذي كان يبكي في الحديقة والشخص الذي كان يهمس.

قال بوارو: "أريد أن أطلب منكم جميعكم معروفاً؛ ابقوا هنا في هذه الغرفة حتى أعود وأخبركم بأنه يمكنكم أن تذهبوا".

أمسكت كلاوديا كأسها الفارغة وأعطته لكيمبتون قائلة: "حيث إن هذه الغرفة توجد فيها المشروبات، فأعتقد أنه لا مانع لدينا. املا لي كأساً يا راندال".

سألت دورو وهي توشك على البكاء: "لم ستسجننا هنا؟ ماذا يحدث؟ أنا لم أفعل أي شيء خطأ".

قال بوارو: "لا أعلم بعد ماذا يحدث يا سيدتي، ولكنني أمل أن أكتشفه بسرعة. شكراً لكم على تعاونكم، جميعكم. هيا يا كاتشبول".

تبعته إلى الردهة، وعندما وصلنا إلى قاعدة الدرج قال لي: "ابحث عن رئيس الخدم، السيد هاتون، واطلب منه أن يريك أماكن غرف نوم الجميع. واطرق باب غرفة نوم كل من يبيت الليلة في منزل ليلي أوك وتأكد من أن الجميع آمنون وفي أحسن حال".

قلت: "ولكن، ألن يعني هذا إيقاظ الجميع؟ قد تكون الليدي بلايفورد نامت بالفعل - قد يكون الجميع ناموا".

قال بوارو: "سيغفرون لك إيقاظك إياهم عندما يعلمون أن هذا كان ضروريًا. وبعدها تتأكد من الجميع في أمان، ستكون مهمتك التالية أن تعثر لنفسك على موضع في الممر لتراقب غرفة نوم الليدي بلايفورد. يجب أن تظل في مكانك طوال الليل لتواصل المراقبة، حتى تخرج منها في الصباح". قلت: "ماذا؟ ومتى سأنام؟".

قال: "غداً. سأخذ مكانك في الصباح"، وعندما رأى تعبير الذهول على وجهي، أضاف: "لن يمكنني الاستيقاظ طوال الليل". قلت: "ولا أنا".

قال: "أنا أستيقظ في الصباح الباكر -". قلت: "وأنا. لقد وصلت أنا أيضًا من إنجلترا اليوم، أتذكر؟". قال: "إنك أصغر سنًا مني بعشرين عامًا يا صديقي... ثق ببوارو. إن النظام الذي وضعته سيضمن سلامة الليدي بلايفورد".

قلت: "إنها هي إذن، أليس كذلك؟ عندما قلت إننا قد دُعينا إلى هنا لنمنع حدوث جريمة قتل... أنت تعتقد أن الليدي بلايفورد قد تكون المقصودة". قال: "هذا محتمل".

قلت: "يبدو أنك لست واثقًا".

عبس بوارو وقال: "طبقاً للطبيب كيمبتون، لا يمكن لمن يعمل في مهنة غير موضوعية مثلي أن يكون واثقاً بأي شيء".

telegram @ktabpdf

الفصل ١٠

التابوت المفتوح

بالنسبة لهاتون، لم تكن هناك محنة أكثر قسوة من حمله على إخباري بمن يقطن في كل غرفة من غرف النوم. ولهذا السبب، استغرق الأمر فترة أطول كثيرًا من المطلوب. وتمكنت من التحايل عليه لاستخراج معظم المعلومات التي أحتاج إليها، ولكن لم يبد عليه أنه يرغب في إخباري بمكان غرفة نوم صوفي بورليه - لدرجة أنني بدأت أشعر بشعور غريب. بعد حوالي دقيقتين كاملتين، حصلت أخيرًا على جملة خافتة تقول: "بجوار غرفة الشخص الآخر الذي لا يقطن بالطابق العلوي يا سيدي".

أدركت ما يعنيه على الفور: إن غرفة صوفي بجوار غرفة سكوتشر - الأمر الذي بدا منطقيًا تمامًا، حيث إنها من المفترض أن تكون من يدفع كرسيه المتحرك كل صباح إلى مائدة الإفطار. لم يكن هناك سبب يدعو إلى الاعتقاد أن هناك أمرًا مريبًا يدور بينهما، وكنت أفكر في هذا الاحتمال لو لم يزم هاتون شفتيه ويُرخّهما عدة مرات قبل أن يخبرني، كما لو أن هناك فضيحة مخزية يجب إخفاؤها. يا له من أحمق!

توجهت في البداية نحو جناح الخدم. إن إزعاج الناس عندما يكونون بحاجة إلى الراحة ليس بالأمر المحبب، كما اكتشفت. فقد انتهزت بريجيت مارش، بشبكة شعرها وثوبها ذي الأزوار الوردية الكبيرة، الفرصة لتشن هجوماً لفظياً عليّ كرد على فعلتي. والسبب لم أتمكن من فهمه، ظلت تصرخ في وجهي ذاكرة قائمتي طعام الغداء والعشاء اللتين ستعهما في الغد حتى تراجعت.

كانت فيليس في غرفتها، واستغرقت بعض الوقت لتفتح الباب. كانت هناك طبقة سميكة من مسحوق أبيض على كامل وجهها، ما جعلني أفزع عند رؤيتها. لم يكن مظهرها مؤذياً أو ذا مغزى، ولم يكن كافياً لإخفاء عينيها الدامعتين الحمرانين.

قالت فيليس وهي تشير إلى ذقتها: "أنا أضع المساحيق على وجهي". أومأت برأسي. لقد كانت رغبة شخص ذي بشرة صافية مثل بشرتها في أن يغمر نفسه بهذه المادة – وأن يفتح الباب ليكمل الآخرين يرونه على هذه الحال – أمراً غامضاً بالنسبة لي. كنت على يقين من أن تلك الفتاة الطيبة الساذجة ستبدو في الغد مثلما كانت اليوم تماماً، وإن كانت تعتقد أن ذلك المسحوق الغريب الذي تضعه على بشرتها سيجعل جوزيف سكوتشر يقرر الزواج بها بدلاً من صوفي بورليه، فأنا على يقين من أنها ستصاب بخيبة أمل كبيرة.

حينها اعتذرت على إزعاجها وانصرفت.

كنت قد تحدثت إلى هاتون منذ قليل؛ لذا عدت إلى الجزء الرئيسي من المنزل وطرقت باب جوزيف سكوتشر أولاً. لم أتلق إجابة، فطرقت مرة ثانية، ولكن لا مجيب.

كان جوزيف يبدو مضطرباً في أثناء العشاء، ولم يكن هناك شك في أنه كان بحاجة ماسة إلى الراحة. هل كان بوارو قد يطلب أن أوقفه؟ تساءلت، هل أبحث عنه لأسأله؟

وقررت ترك سكوتشر لحاله؛ فهو لم يكن الشخص الذي يقلق بوارو بشأنه. ولكن، كلما فكرت في الأمر أكثر، زاد رغبتني في التساؤل حول إذا ما كان يجب علينا أن نهتم بسلامة سكوتشر أم لا. إن كان بوارو محقاً فيما يتعلق بدعوة الليدي بلايفورد لنا لكي نمنع حدوث جريمة قتل، فمن الجلي أن الضحية المحتملة ستكون وارث الوصية.

فطرقت الباب مرة أخرى، ففُتح على الفور هذه المرة، وقال سكوتشر بصوت ضعيف: "نعم؟". كان يرتدي بيجامة زرقاء ذات خطوط ذهبية وروباً أزرق، وكان يبدو مريضاً — أكثر مما كان وقت العشاء. قلت: "آسف جداً أنني أيقظتك".

قال: "لا عليك. لقد سمعتك منذ طرقت الباب للمرة الأولى، ولكنني لم أتمكن من النهوض لأجيبك مثلما كنت في الماضي. إن مجرد الوقوف على قدمي...".

قطع كلماته وهو يئن في ألم. قلت: "اسمح لي بمساعدتك". قال سكوتشر وهو يستند عليّ: "لا داعي... أفضل أن أعتمد على نفسي. سأكون أكثر قوة في الصباح؛ فقد زادت الصدمة من حالتي سوءاً. لماذا فعلت ذلك؟".

قلت: "هل تعني الليدي بلايفورد؟ أظن أنني لا أعرف. أنا لا أعرفها على الإطلاق".

قال: "لا، بالطبع لا".

ساعدته على العودة إلى فراشه فشكرني بشدة – لقد كنت منبهراً بهذا العطف النادر وتلك الروح الكريمة. كان إطراؤه مفرطاً، ولكني لم أتمكن من منع نفسي من حب هذا الرجل، فقد كان من النادر أن ألتقي رجلاً مراعيًا لهذه الدرجة.

قال سكوتشر: "ليلة سعيدة يا كاتشبول"، ثم أغمض عينيه وهو يقول: "يجدر بك أن تحصل على قدر من النوم أنت أيضاً، لقد قطعت سفرًا طويلاً – كل تلك المسافة من لندن".

أكدت له أنني بخير، وتوجهت إلى غرفة صوفي بورليه ناظمًا على بوارو بسبب المهمة التي كلفني بها، وعلى ضعفي أمام طلباته وعدم قدرتي على رفضها.

عندما طرقت باب غرفة صوفي، انفتح على مصراعيه؛ حيث بدا أنه لم يكن مغلقًا بإحكام. فصحت قائلاً: "أنسة بورليه؟". كانت جدران الغرفة مكسوة بورق حائط أزرق فاتح منقوش ببعض رسومات الزهور الوردية، وكان هناك حوض غسل الأيدي في أحد أركانها. ولم تكن الستائر مغلقة أو مفتوحة بالكامل. وعندما لم تصلني إجابة من داخل الغرفة، دخلتها؛ فلم أجد صوفي في غرفتها، بل وجدت أشياءها موضوعة في كومة مرتبة كما لو كانت تعدها من أجل فحصها.

فتساءلت مرة أخرى عما يجب فعله: هل أذهب للبحث عن بوارو وأخبره بأن الممرضة ليست في غرفتها؟ هل أفتش المنزل بحثًا عنها؟ إن لم تكن في غرفتها أو في غرفة سكوتشر، فأين تكون؟

في النهاية، قررت أن أطمئن على من في غرف الطابق العلوي قبل أن أعود إلى بوارو، حيث إنني لا أعلم عدد الغرف التي سيتضح أنها خالية من قاطنيها. قد أجد صوفي بورليه ومايكل جاذركول وأثيليندا بلايفورد يلعبون

الورق للتسلية معًا، وكنت أرغب في تقصي الأمر جيدًا قبل أن أحمل تقريرى إلى بوارو.

فتحت الليدى بلايفورد باب غرفتها فور طرقي إياه وقالت: "نعم". فسألتها عما إذا كانت بخير، فأجابتنى بجفاء: "إدوارد، نعم، شكرًا لك. أنا بخير"، ثم صمتت للحظة، وعادت لتقول: "إنك آخر شخص يمكنه مساعدتي إن لم أكن بخير"، هل قالت ذلك بالفعل - أم أنى أتخيل؟.

لا، لم أكن أتخيل. كانت تبدو أكثر عجرفة ونفاد صبر، الأمر الذى جعلنى أفكر، إن كانت تخشى أن يحاول أحد قتلها، فلم تكن تلك نبرة الحديث التى قد يتوقعها منها المرء.

ثم طرقت باب غرفة جاذركول، وما من مجيب؛ فتنهدت، وطرقت مرة أخرى. وجربت مقبض الباب لأرى إن كان يمكننى فتحه، فانفتح الباب بالفعل. دخلت الغرفة، التى كانت حالكة الظلام. وبعدما تعثرت بضع مرات، وجدت نفسى قد وصلت إلى النافذة؛ ففتحت الستائر لأدخل بعض الضوء من الخارج داخل الغرفة لأرى أن فراش جاذركول كان مرتبًا، ولم يكن المحامى فى الغرفة.

غادرت الغرفة وأغلقت الباب، ثم توجهت نحو غرفة أورفيل رولف، المجاورة لغرفة جاذركول. فقد كانت تلك هي الغرفة الأخيرة التى عليّ فحصها، حمدًا لله؛ فقد كان كل من هاري ودورو وكلاوديا وكيমبتون يجلسون معًا فى غرفة الاستقبال فى الطابق السفلى.

فتح أورفيل رولف باب غرفته، وكان يرتدى بيجامة مقلمة، وكانت هناك طبقة لامعة من العرق تكسو جبهته. ولدهشتى، جذبت ذراعى بيده المكتنزة وقال: "كاشبول. الألم... إنى أعذب. لا يمكننى أن أعثر على وضع مريح.

أين ذلك الطبيب، كيمبتون؟ أحضره لي على الفور، هل ستفعل؟ أخبره بأني قد تسممت".

قلت: "يا إلهي. أنا واثق بأنك لم تُسمم يا سيد رولف، ولكن —".
قال: "حقاً؟ لقد تسممت، صدقتي. ماذا سيكون الأمر غير هذا؟ هلا أحضرت كيمبتون قبل أن يفوت الأوان؟".

هل دُعيت وبوارو إلى منزل ليلي أوك لنمنع تسميم أورفيل رولف؟ كل شيء ممكن.

قلت: "حسنًا، حسنًا. انتظر هنا".

قال: "إلى أين سأذهب؟ إنني أعاني آلامًا مبرحة... انظر إلى حالي. إن لم تعثر على كيمبتون، أحضر تلك الممرضة - ستكون أفضل من لا شيء".
قفزت هابطًا الدرج أملًا ألا يكون كيمبتون قد اختفى مثل صوفي بورليه وجاذركول.

هل هما معًا؟ لماذا بدا جاذركول كأنه يعاني في أثناء العشاء كما لو أن هناك ما يقطع أعضاء الداخلية؟ هل هذا بسبب أمر يتعلق بصوفي - أو بعرض سكوتشر الزواج بها؟ لا، لم يحدث هذا إلا في وقت لاحق من الأمسية. لا يمكن أن يكون هذا هو السبب.

كان كيمبتون، لحسن الحظ، لا يزال في غرفة الاستقبال مع بوارو وكلاوديا وهاري ودورو. فصحت قائلاً: "إن أورفيل رولف يعاني آلامًا مبرحة ويقول إنه قد سُمم".

تهددت كلاوديا في ضجر وأطلق كيمبتون ضحكة جذلي وقال: "حقاً؟ أعتقد أنها أمسية استثنائية، ولا يجدر بي أن آخذ أي شيء على أنه أمر مسلم به، ولكنك لم تدقق النظر إليه يا كاتشبول. ألم تر كيف أتى على طبق الدجاج بالكامل؟ لا بد من أنها غازات محتبسة - تجعل المرء يشعر

كأن أمعاؤه تُمزق من الداخل، ولكنني على يقين من أنني قادر على علاجه في لحظات بلكرة قوية من أصبعي في المكان المناسب من جسده".

قالت كلاوديا: "بعد ذلك، أرجوك، تأكد من أن تبعد هذا الأصبع عن جسدي"، فوبختها دورو على سوقيتها.

قال بوارو: "أيها الطبيب كيمبتون، أرجو أن تذهب إلى السيد رولف على الفور. كاتشبول، أذهب معه".

قلت: "سأفعل، ولكن هذا ليس كل شيء: جاذركول وصوفي بورليه - كل منهما ليس في غرفته. ولا أعلم أين يكونان".

قال بوارو: "سأبحث عنهما مع الفيكونت بلايفورد. وأنتما يا سيدتي، أرجو أن تظلا هنا في هذه الغرفة معًا، مفهوم؟".

قالت كلاوديا: "إن كنت مصرًا على ذلك. ولكن، ألا تظن أنك تتصرف بهستيرية؟ لن يتعدى الأمر كون السيد رولف قد تناول الكثير من الطعام. هل هناك أي سبب يدعوك إلى الاعتقاد أن جاذركول وصوفي قد لحق بهما الأذى؟".

قال بوارو: "أرجو ألا يكونا قد تعرضا لأي أذى".

بينما تبع كيمبتون إلى الطابق العلوي، سمعت كلاوديا تقول لدورو: "يجب أن أكون أنا من يفتش الغابة وأن يظل ذلك البلجيكي الأحمق هنا في غرفة الاستقبال ينوح مثل الفتيات".

عندما وصلت إلى أورفيل بصحبة كيمبتون، كانت بشرته قد اصطبغت بلون أصفر مريع. وكان راقداً على ظهره ممداً في فراشه، وإحدى ساقيه متدلية خارجه. فشعرت بالقلق الشديد لدرجة أنني سمعت نفسي أقول: "هل يمكن أن يكون ذلك سماً؟".

أن رولف قائلاً: "وماذا غيره سيسبب لي ذلك؟ لقد هلكت... لا يمكنني التنفس".

قال كيمبتون بحيوية وهو يقيس نبض رولف: "لا يوجد سم، ستكون بخير في خلال ساعة على الأكثر – على ما أعتقد. هل يمكنك أن تتقلب وترقد على جنبك؟ وأن تضم ركبتيك إلى صدرك؟ كلما غيرت من وضعية جسدك كان أفضل".

قال رولف: "أقول لك إنه لا يمكنني الحركة".

فرك كيمبتون ذقنه مفكراً في عمق، ثم قال: "أعتقد أنك لن تسمح لي بأن أجلس على بطنك، أليس كذلك؟".

صرخ رولف مثل حيوان جريح، واتسعت عيناه عن آخرهما وحاول أن يجلس في الفراش، ولكن محاولته باءت بالفشل، وسقط على ظهره مرة أخرى راقداً في الفراش، وقال: "لقد سمعتهم".

قال كيمبتون: "من هم؟". ثم ثنى أصابع يديه الاثنتين بينما كان يتوجه نحو المحامي المستلقي على الفراش، كما لو كان على وشك العزف على بيانو. ثم قال لي: "تكمّن المشكلة في معرفة المكان المناسب للكزة القوية. في حالة المرضى ذوي الحجم الطبيعي، عادة ما يكون الجلد أقرب إلى الأعضاء الداخلية".

غمغم رولف بينما كان العرق الغزير يتساقط من حاجبيه ليفرق الوسادة تحت رأسه: "لقد سمعتهم يتحدثون عن الأمر. لقد قال إنه يجب أن أموت، وأنه لا يوجد خيار آخر، وتحدثوا عن جنازتي".

قال كيمبتون وهو يفحص جانب رولف الأيمن ويثني أصابعه مرة أخرى: "لو كنت قد فكرت في تقليل كمية طعامك، وتناولته ببطء أكبر، لما احتاج أحد إلى التحدث عن جنازتك لفترة طويلة".

قلت: "مهلاً يا سيد رولف. ماذا سمعت بالتحديد، ومن الذي كان يتحدث؟".

صاح رولف في وجهي قائلاً: "حقاً؟ يجب أن يكون تابوتي مفتوحاً، هذا ما قالوه: تابوتاً مفتوحاً، هذا هو السبيل الوحيد... السم، كما ترى. هكذا عرفت. إن سممت شخصاً ما... آه، يا للأسف. افعل شيئاً ما يا كيمبتون – هل أنت طبيب أم ماذا؟".

قال كيمبتون: "بالطبع، أنا طبيب"، قالها وهو يفرس سبابته بسرعة كبيرة في أسفل منتصف بطن رولف.

عندئذ أطلق المحامي صرخة مدوية جعلتني أخطو خطوة إلى الخلف. وكانت هناك أصوات تتصاعد من خارج الغرفة: صوتا شخصين يتحدثان. قال كيمبتون: "حظ المبتدئين كما أعتقد. ستشعر بالراحة في القريب يا صديقي".

فتحت النافذة وبدأت أصبح تحت جناح الظلام: "بوارو؟ هل هذا أنت؟".
أتاني صوت بوارو يقول: "نعم يا صديقي. أنا مع الفيكونت".
صاح هاري بلايفورد بجذل – كرجل نسي أنه خسر للتو ثروة كبيرة: "مرحباً".

قلت: "اصعد على الفور، لقد سُمم رولف".

لم يتمكن المحامي من استكمال جملته، ولكنني أعتقد أنني أعلم ما كان يقصده: إن كنت تريد أن يكون تابوت شخص ما مفتوحاً في جنازته، فسيكون السم هو أداة القتل التي ستترك الوجه دون مساس.

بدا كيمبتون خائب الأمل فيّ وهو يقول: "محض هراء يا كاتشبول. لقد كان تشخيصي صحيحاً. إنها غازات محتبسة، ولن يكون هناك في القريب ألم للتحدث عنه. إنك لست قوي الملاحظة، أليس كذلك؟".

قلت ببرود: "آمل أني كذلك".

قال كيمبتون: "إنك لم تلاحظ ما يلي: لا شيء يحدث لأورفيل رولف يُنسب إلى أورفيل رولف. إن مقعده يئن لأن صناعته رديئة، وقدميه تؤلمانه لأن صناع الأحذية الحديثة يفتقدون للمهارة، وألم معدته بسبب شخص غامض سممه ولكن، لا شيء من هذا يتعلق بإصراره، على النقيض من المنطق السليم، على ابتلاع دجاجة كاملة في لمح البصر. انظر لما آل عليه وضعه الآن".

في الفراش، كان رولف قد غط في نوم عميق. ظهرت دورو وكلاوديا بلايفورد على عتبة الباب في تلك اللحظة، وسألت دورو: "ما هذه الرائحة الكريهة؟ هل هذه رائحة السيانيد؟ أليست رائحة السيانيد تشبه هذه الرائحة الكريهة؟".

قال كيمبتون: "لا يوجد سيانيد، والسيد رولف بخير. وسبابتي هي بطة الساعة، ولكنها متواضعة لدرجة أنها لا ترغب في لفت الانتباه لأدائها الأسطوري"، وبدأ يهز سبابته في الهواء.

ظهر هاري بلايفورد متلاحق الأنفاس وقال لزوجته: "سم، لقد سُمم رولف. كاتشبول قال هذا".

قالت دورو: "ماذا؟، ولكنه نائم كالطفل الصغير".
فخاطبتهم جميعاً قائلاً: "لقد قال أمراً غريباً". بدا كأن تشخيص كيمبتون كان صحيحاً في هذه الحالة، ولكني لم أتخيل كيف يشعر المرء بأنه قد انتصر لأنه أخرج بعض الفازات من بطن رولف بينما كان يتجاهل قصته الغريبة عن الأشخاص الذين كانوا يتحدثون عن موته.

لم يطلب مني أحد أن أواصل الحديث، فقد كانوا جميعاً يضحكون لدعابات كيمبتون عن أصبعه، أو يتظاهرون بالابتعاد عنه في اشمئزاز،

أو (في حالة هاري) ينظرون له في انبهار شديد كما لو كان شاعر البلاط الملكي. ليس الأمر أن هاري يهتم بشعراء البلاط الملكي، إلا في حالة قطع رؤوسهم وتحنيطها وتعليقها على أحد الجدران.
أين بوارو بحق الله؟

الفصل ١١

الأصوات التي سُمعت مصادفة

ظهر بوارو أخيراً وكان وجهه يستحق التصوير، فلم أكن قد رأيت في حياتي تعبيراً يمتلئ بهذا القدر من الأسئلة العاجلة. وقبل أن يبدأ بطرح الأسئلة، بدأت بإخباره بما كان يحتاج لمعرفته: "إنه يتعافى بسرعة، فقد كان يتهم السم في البداية بأنه السبب فيما يحدث له، الأمر الذي أقلقني كثيراً. لماذا قد يحتاج أحد لأن يؤذي أورفيل رولف؟ وتبين في النهاية أنه لا أحد يحتاج لهذا. انظر، لقد استعاد وجهه بعضاً من حمرة. قال كيمبتون إن كل شيء على ما يرام، وهو الطبيب".

قال كيمبتون: "رغم أن المريض تشكك في تشخيصي. يا له من ناكر للجميل!".

اقتربت من بوارو وقلت له هامساً، حتى لا يسمعي أحد: "لقد قال رولف أمراً أقلقني"، وكنت مصراً على أن أقص القصة على شخص يأخذها على محمل الجد.

قال بوارو: "انتظر يا صديقي، هل اطمأنتت على الليدي بلايفورد؟".

قلت: "نعم، لقد كانت بخير ما يرام. وغرفتها على الطرف الآخر من قمة الدرج. ومع وجودنا جميعاً هنا في غرفة رولف، لن يقترب أحد من الليدي بلايفورد ليقتلها، حيث إننا سنلاحظ وجوده على الفور. كما أنني لا أعتقد أن أحداً بقي بمفرده ولو للحظة واحدة".

قال كيمبتون وقد بدت عليه السعادة؛ لأنه تمكن من استراق السمع بنجاح: "بعض القتلة يعملون مع شركاء، أليس كذلك؟".

ثم أضاف قائلاً: "ولكن،ؤكد لك، لا يمكنني تخيل وجود هذا القدر من التعاون وهذا النوع من الهدف المشترك في منزل ليلي أوك".

قابل بوارو عبث الطبيب بنظرة باردة وقال: "أكمل يا كاتشبول".

لم تكن هناك حاجة لخفض صوتي عند ذكر هذا الجزء، فقد سمعه كيمبتون بنفسه: "لقد قال رولف شيئاً ما غريباً عن تابوت مفتوح، قال —".

قال بوارو: "لحظة من فضلك. فيكونت بلايفورد، الطبيب كيمبتون — اخرجنا من فضلكما، وابحثا عن مايكل جاذركول وصوفي بورليه. إننا لا نزال لا نعلم أين يكونان".

قال هاري: "سنفعل يا صديقي". وخرج من الغرفة على الفور.

قالت دورو: "سأذهب لأنام. لقد كانت ليلة مريعة ومرهقة".

قال كيمبتون موجهًا حديثه إلى بوارو: "ربما لا يمكننا العثور على جاذركول وصوفي بالفعل، ولكنهما بالغين يحق لهما أن يفعلوا ما يحلو لهما. مثلي تمامًا. والآن، بعدما حللت مشكلات جهاز السيد رولف الهضمي، فإن ما أريد فعله هو أن آخذ خطيبتي تلك لأتحدث معها قليلاً في أمور تافهة قبل أن أذهب للنوم. هل يمكنني هذا يا بوارو؟ لا أعلم لماذا تتصرف أنت وكاتشبول كما لو أن جريمة قتل على وشك أن تحدث، ولكن لا تتوقعا منا أن نشارككما هذه التمثيلية السخيفة. اعدراني على فظاظتي".

قال بوارو: "يمكنك أن تفعل ما يحلو لك يا سيدي".

قال كيمبتون: "حسنًا، تصبCHAN على خير". ثم أمسك بذراع كلاوديا وجذبها إلى خارج الغرفة.

أصبحت أنا وبوارو بمفردنا في الغرفة مع رولف الذي تصاعدت منه أصوات غطيظ خافتة على فترات منتظمة مع ارتعاش جفنيه.

تمكنت أخيرًا من أن أخبر بوارو بما سمعه رولف عن التابوت المفتوح. فاستمع لي بوارو باهتمام. ثم، ومن دون أن ينطق بكلمة واحدة، توجه على الفور نحو جانب الفراش وصفع وجنة المحامي المكتنزة وردية اللون.

فتح رولف عينيه وقال: "مهلاً يا صديقي".

قال بوارو: "يجب أن تستيقظ على الفور".

أثار هذا الأمر ارتباك المحامي الذي قال: "ألست مستيقظًا الآن؟".

قال بوارو: "أنت كذلك يا صديقي. فلا تتم مجددًا من فضلك، لقد أخبرني كاتشبول بأنك سمعت أشخاصًا يقولون إنه يجب أن تموت، وأن التابوت يجب أن يكون مفتوحًا في جنازتك. هل هذا صحيح؟ هل سمعت هذا الحوار؟".

قال رولف: "هذا صحيح. لهذا السبب اعتقدت أنني تعرضت للتسميم... إلا أن الألم خف كثيرًا؛ لذا يجدر بي أن أنحني شكرًا لقدرات الطبيب كيمبتون. لم أكن مسممًا في نهاية المطاف".

قال بوارو: "كرر من فضلك الكلمات التي سمعتها عن التابوت المفتوح بكل دقة".

قال رولف: "إنه يجب أن أموت، يوجد خيار آخر. كما تحدثنا عن جنازتي — يجب أن يكون التابوت مفتوحًا، هذا ما قاله".

قال بوارو: "مَن هو؟".

قال رولف: "لا أعلم. لم أتمكن من السماع بوضوح كافٍ. رجل ما - هذا كل ما يمكنني أن أخبرك به. رجل يقول إنه يجب أن أموت، وامرأة...". توقف رولف للحظة، وقطب جبينه، ثم عاد ليقول: "نعم، نعم، كانت هناك امرأة تحاول أن تثنيه عن هذا القرار. أعتقد أن الرجل بمفرده هو من أراد قتلي".

سأله بوارو: "هل يمكنك تمييز صوت المرأة؟".

فأجاب: "لا، أظن أنه لا يمكنني ذلك".

قال بوارو: "متى سمعت هذا الحوار؟".

بدا رولف خائفًا من ألا يتمكن من الإجابة مجددًا، ولكنه قال في النهاية: "لا يمكنني أن أعرف بالتحديد. ولكنه دار في وقت ما بعد ظهر اليوم. لقد كانا يتحدثان في غرفة الجلوس هامسين. لم يعلما أنني كنت في المكتبة في ذلك الوقت أقرأ الجريدة".

سأله بوارو: "هل المكتبة قريبة من غرفة الجلوس؟".

قال رولف: "إنهما متجاورتان، وهناك باب يفصل بينهما. وكان الباب مواربًا. كما أنه لم يكن حوارًا، بل كان خلأً بين حبيبين. كانت المرأة غير موافقة على الحاجة إلى تابوت مفتوح. وكانت غاضبة، وغضب الرجل بدوره وقال: هل ستكونين قاسية معها، أم تحبينها كثيرًا؟... ثم قال... يا إلهي". قال بوارو: "لماذا تقول يا إلهي، يا سيدي؟".

قال رولف: "لا عليك - يجب أن أكمل قصتي. بعد ذلك طمأن الرجل المرأة إلى أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأنها حبه الحقيقي الوحيد". عندئذ امتلأ ذهنه بالأسماء - الرجال والنساء المحتملين. وكنت على يقين من أن بوارو فعل المثل أيضًا. هاري ودورو، كلاوديا ورنندال، وجوزيف

سكوتشر وصوفي بورليه. وكان الزوج الرابع الذي فكرت فيهما مجرد فرضية: مايكل جاذركول وصوفي بورليه.

لم أكن أملك سببًا يدعوني إلى الاعتقاد بوجود أية علاقة رومانسية بينهما، بل فكرت في هذا لمجرد كونهما الشخصين الوحيدين المفقودين. قال رولف: "أتذكر العبارة التالية بشكل خاص: حبي الحقيقي الوحيد... ولكني أتساءل... كلما فكرت في الأمر أكثر، ازداد اعتقادي أنني ربما تخيلت الأمر برمته".

خشيت أن يصفعه بوارو على وجهه ثانية، صفقة أقوى هذه المرة. قال بوارو بشراسة: "تخيلت؟".

أجاب رولف: "نعم. إنني أتذكر سماعي لكل ما دار، ولكني لا أفكر في سماعي له. لا أتذكر أنني حادث نفسي قائلاً: مَنْ يكونان؟ هل يمكنني أن أسترق النظر وأرى مَنْ يكونان؟... لا شك في أنني كنت أرغب في معرفة من يكونان، بعد كل هذا الحديث عن القتل. لقد كانت كل تلك الكلمات الرومانسية التافهة شديدة السخافة، وربما تجاهلت الأمر برمته لهذا السبب". بدت الحيرة على وجه رولف وقال: "ماذا لو كنت تخيلت الأمر برمته بسبب آلامي المبرحة؟".

سألته: "هل تعتقد أنك تخيلت الأمر؟".

قال رولف: "ماذا؟ لا أعلم. أعتقد أن هناك أمرًا ما شتت انتباهي. إنني أتساءل لو... نعم، إنني أتذكر ذلك، لقد كنت أشعر بألم شديد في قدمي اليمنى في وقت سابق من اليوم؛ الأمر الذي جعلني أفكر في أن صناع الأحذية هذه الأيام مهملون للغاية... أتذكر فيما مضى أن الأحذية كانت تمنح المرء بعض الدعم. ولكن هذا ليس الآن".

بدا عدم الرضا على وجه بوارو وهو يقول: "ألم تخبر أي أحد بما سمعت؟".

قال رولف: "لا".

سأل بوارو: "كيف علمت أن الرجل والمرأة كانا يتحدثان عنك عندما تحدثا عن التابوت المفتوح؟ هل ذكرنا اسم السيد رولف صراحة؟".

اتسعت عينا المحامي بينما كان يفكر في الإجابة.

ثم قال رولف: "لا أعتقد أنهما فعلا ذلك. ولكني افترضت أنهما كانا يتحدثان عني لأنني كنت الشخص الذي تعرض للتسمم - أو هكذا اعتقدت. لا، ولكن من المؤكد أنهما كانا يتحدثان عن رجل من دون ذكر أسماء. أعتقد أنهما كانا يقصدان أي أحد، أي رجل على الأقل". ثم تئأب رولف وقال: "أنا على وشك السقوط يا سيدي - ليس بسبب السم، بل بسبب التعب. هل يمكنني أن... هل تعتقدان؟".

قال بوارو: "سنتركك في أمان الله، ولكن هناك سؤالين آخرين: بعيداً عن الألم الذي شعرت به في معدتك، هل هناك أي سبب آخر يدعوك إلى الاعتقاد أن هناك من يريد تسميمك؟".

قال رولف: "لا، لماذا؟ هل تعتقد أن هناك من يرغب في تسميمي؟".

قال بوارو: "لا أعلم. كل من يوجدون في هذا المنزل أغراب بالنسبة لي، وأنا غريب بالنسبة لهم أيضاً".

قال رولف ببطء: "أعتقد أن هناك شخصاً ما قد يرغب في قتلي".

قال بوارو: "لماذا؟".

قال رولف: "لا أعرف سبباً محدداً، وكيف لشخصية معروفة أن تعلم! إن الناس مهذبون بوجه عام، خاصة إن كان المرء يمتلك بعض النفوذ، مثلي".

أوماً بوارو برأسه وقال: "سيد رولف، أود أن أسألك عن وصية الفيكونت بلايفورد الراحل. لقد أشارت دورو بلايفورد إليها في أثناء العشاء".

قال رولف: "نعم، لقد فعلت، ولم تكن تلك هي المرة الأولى - لا، لم تكن المرة الأولى على الإطلاق. إنها قصة طويلة جداً. هل تطلب من جاذركول أن يقصها عليك؟ لم أشعر بمثل هذا الإرهاق من قبل...".

قالها وأغمض عينيه مرة أخرى، فقالت: "يجدر بنا تركه لينام".

غادرت مع بوارو الغرفة وأغلقتنا بابها خلفنا. واقترحت على بوارو أن أخرج من المنزل لأساعد هاري على البحث عن جاذركول وصوفي بورليه. فقال بوارو: "قبل أن تفعل، أحضر لي مقعداً - بذراعين وظهر يمكنني أن أرتاح عليه. سأجلس هنا حتى تعود، هنا أمام غرفة السيد رولف. ثم ستأتي لتحل محلي حتى أتمكن من الذهاب للنوم. لا شك في أنني سأنام - ولكن، لا يهم. فإذا كان هناك من يرغب في دخول الغرفة، فسيكون عليه أن يحركني أولاً".

قلت: "يدخل غرفة رولف؟ هل غيرت إذن من رأيك بشأن الضحية المحتملة لجريمة القتل؟ هل تعتقد أنها ستكون أورفيل رولف وليس الليدي بلايفورد؟".

قال بوارو: "لقد سمعت ما قاله السيد رولف يا كاتشبول. إن الشخص المراد قتله رجل. لماذا الحديث عن السم إن لم يتم تسميم أحد؟ من المحتمل أن تكون حياة أورفيل رولف في خطر، ولكنني لست واثقاً. إنني لا أعلم الكثير لأتمكن من التحرك بصورة فعالة. إن الأمر محبط للغاية".

قلت: "ربما كان كيمبتون محقاً وأنه لا أحد في منزل ليلي أوك ينوي إيذاء أي أحد. ربما تخيل رولف موضوع التابوت المفتوح في أثناء وعكته - لقد

كان يهذي كما قال بنفسه. وربما دعنا الليدي بلايفورد لسبب آخر. ربما ستخبرنا في الغد برغبتها في استشارتنا بشأن إحدى أفكار كتبها". قال بوارو: "هذا محتمل، نعم، ربما كان الموقف أقل خطورة مما أتخيل. سأصرف في الغد على أن تكشف الليدي بلايفورد غرضها الحقيقي من إحضارنا إلى هنا. ولكن تذكر: ربما لا يُحْدِق الخطر بشخص واحد، بل اثنين".

أعجبتني طريقته في قول كلمة: "تذكر..."، كما لو أن ما قاله أمر كنت أعرفه بالفعل.

قال بوارو مفسراً: "إن كان أورفيل رولف ضحية محاولة تسميم فاشلة – وهو احتمال لا يزال قائماً – فإنه سيكون في خطر بسبب ما سمعه عندما كان في المكتبة. وإن لم يكن الرجل الذي يريدون وضعه في التابوت المفتوح هو السيد رولف، فسيكون هناك شخص آخر في خطر".

كنت أعلم أن وجود ضحيتين محتملتين لجريمتي قتل يعني عدم حصولي على أي قدر من النوم في وقت قريب. وقد جعلت هذه الفكرة رغبتني في النوم تتضاعف بينما كنت أشق طريقني نحو الحديقة للبحث عن مايكل جاذركول وصوفي بورليه.

الفصل ١٢

صوفي توجه أصابع الاتهام

لم أتمكن من العثور على أحد في الحديقة، وكنت سأعتبر حملة البحث تلك مضيعة للوقت لو لم تتسبب الرياح الباردة والأمطار الغزيرة في جعلني أكثر يقظة.

إن كان هاري لا يزال في الحديقة، فإني لم أره على الإطلاق، ولقد صحت باسمه وباسم جاذركول وباسم صوفي، حتى بُح صوتي. ولكن ما من مجيب. فاستسلمت في النهاية، وعدت أدراجي إلى المنزل. وصعدت إلى الطابق العلوي ورأيت أن بوارو توقع ما سيحدث في المستقبل بقدر كبير من الدقة: لقد سقط نائمًا على المقعد الذي أحضرته له. بدا في البداية وكأنه يشخر مرتين – صوت عالٍ عميق يتبعه صوت أزيز خافت. ولكن، كان يُخيل لي ذلك: كان الصوتان، المرتفع والخافت، يأتيان من خلف باب غرفة أورفيل رولف. استمتعت بهز بوارو حتى فتح عينيه، ورفع يده بطريقة آلية إلى شاربه وسألني: "ماذا حدث؟".

قلت: "أظن أنني لم أعثر على جاذركول أو صوفي بورليه. كما أنني لم أر الفيكونت هاري. هل تعلم إذا ما كان قد عاد للمنزل أم لا؟".

قال بوارو بغموض: "لا يمكنني أن أجزم"، وقررت أنه من المؤكد أنه سقط نائمًا بعد لحظات من تركي إياه.

فاستدرت ونظرت نحو الباب المغلق من خلفه وقلت: "ما تلك الضوضاء الرهيبة التي يصدرها السيد رولف؟ إنها كالكايبوس".

قال بوارو: "يمكنني أن أقول إن هذا الضجيج يعني أنه لا حاجة لأحد بحراسة هذا الباب. فإن توقف عن التنفس - والشخير - فسنعرف على الفور، وسندفع إلى هنا ونمسك بقاتله متلبسًا".

نهض بوارو ودفع المقعد جانبًا، وفتح الباب ودخل غرفة رولف. همست بصوت مسموع قائلاً: "ماذا تفعل؟ اخرج من الغرفة". قال بوارو: "ادخل أنت".

قلت: "لا يمكنك أن تدخل غرفة شخص نائم —". قال: "لقد دخلت بالفعل. لا تتذمر كثيرًا. ادخل".

تبعته مترددًا، وبمجرد أن دخلت، أغلق الباب خلفي وقال: "هنا، لن يسمع حديثنا أحد. ولا أعتقد أن السيد رولف سيمنع لو تحدثنا بجوار فراشه؛ فلا أعتقد أنه من السهل إيقاظه".

قلت: "بوارو، حقًا لا يمكننا أن —".

قاطعني قائلاً: "حسنًا إذن، المحامي، جاذركول، والممرضة صوفي، اختفيا. إنه أمر غريب. أعتقد أن بينهما علاقة غرامية؛ ففي بعض الأحيان يحبك الأحياء المؤامرات معًا...".

قلت بصرامة أكبر مما كنت أقصد: "لا، لست مقتنعًا بهذه الفرضية".

قال بوارو: "لماذا؟ إنك لا تعرف أي شيء عن أي منهما".

قلت: "كل ما أعرفه عنهما أنهما قد يدبران لارتكاب جرائم قتل. أعني هذا، في رأيي، قد لا يكونان حبيبين، ولا يمكنني أن أخبرك بالسبب المحدد

لذلك، ولكن... ألا ينتابك في بعض الأحيان شعور حيال بعض الأشخاص؟
على أية حال، إن صوفي لا يمكنها التحرر من بين براثن جوزيف سكوتشر".
قال بوارو: "لماذا يقلقك الأمر لهذه الدرجة، موضوع جنازة التابوت
المفتوح؟ ما الفارق بين كون التابوت مفتوحًا أم مغلقًا؟".

قلت: "أعتقد أن هذا السبب واحد: حتى يرى شخص ما ممن يحضرون
الجنازة الجثة وأن هذا الرجل قد مات بالفعل، أو أن الشخص المطلوب هو
الموجود في التابوت. فإذا كان التابوت مغلقًا، فلن يكون هذا ممكنًا".

قال بوارو: "ربما قال شخص ما: سأعطيك هذا المبلغ من المال إن
قتلت هذا الرجل – ولكنني أريد أن أراه بعيني لأتأكد من موته".

قلت: "أنا على يقين من أن الأمر سيصبح أكثر وضوحًا عندما نتحدث
مع الليدي بلايفورد في —".

قوطعت بصيحة عالية آتية من تحت قدمي، وسرعان ما تحولت إلى
صرخة مدوية. كان الصوت صوت امرأة.

هرعت نحو الباب وفتحته.

قال بوارو من خلفي: "الطابق السفلي. أسرع! لا تنتظرنني – أنت أكثر
مني سرعة".

عدوت من دون تفكير، وكدت أتعثر. توقفت الصراخ للحظة، ثم بدأ من
جديد. كان الضجيج لا يُحتمل – كما لو كان حيوانًا يُقتلع قلبه من مكانه.
خلال فترة الصمت القصيرة، سمعت أصوات تساؤلات مصدومة وأبوابًا
تُفتح في الطابق العلوي.

عندما وصلت إلى الطابق السفلي، وجدته خاليًا. ثم أدركت أن صوت
الصراخ أصبح أكثر بعدًا مما كان عندما كنت في الغرفة في الطابق العلوي.
وأدركت حينها أن الصراخ آتٍ من الجانب الآخر من المنزل.

عدت إلى الردهة ورأيت بوارو ودورو بلايفورد يسرعان هابطين الدرج. وسمعت بوارو يغمغم: "غرفة الجلوس"، بينما كانا يسرعان نحو غرفة الطعام. فتبعتهما، وسرعان ما تمكنا من تحديد مصدر الصراخ. لقد كانت صوفي بورليه. وكانت ترتدي قبعتها ومعطفها، ولم تكن واقفة أمام غرفة الطعام، بل أمام الغرفة التي تواجهها. فافترضت أنها غرفة الجلوس – التي دار فيها الحوار بين رجل وامرأة حول التابوت المفتوح، كما يعتقد أورفيل رولف.

انهمرت الدموع من صوفي بينما كانت تصرخ وترتجف، كما لو كانت ترى بعينيها رعباً لا يمكن لأحد تخيله. كانت تقف أمام الغرفة ناظرة إلى داخلها. لم أتمكن من رؤية ما تراه، ولكن من التعبير البادي على وجهها والضجيج الذي تصدره، لا بد من أنها ترى مشهداً مروعاً. وسرعان ما وصل بوارو إلى جوارها، وغمغم قائلاً: "يا إلهي!". ثم حاول إبعاد الممرضة المنهارة بعيداً عن عتبة الباب وهو يقول لها: "حاولي ألا تنظري يا آنسة. لا تنظري".

قالت دورو: "ولكن... هذا رهيب. لا يمكنني فهم السبب... أعني، من...؟"، ثم نظرت حولها وقالت: "هاري! هاري! أين أنت؟ لقد حدث أمر رهيب في غرفة الجلوس".

كنت قد وصلت أيضاً إلى غرفة الجلوس دون أن أستطيع تخيل ما قد أراه داخلها. وسأعفي القارئ من وصف ذلك المشهد الرهيب بالتفصيل. يكفي أن أقول إن جوزيف سكوتشر كان يرقد على السجادة بجوار كرسيه المتحرك وقد التوى جسده بصورة غريبة. كان ميتاً، أو بالأصح مقتولاً – بطريقة رهيبة. وكانت هناك هراوة مصنوعة من خشب داكن اللون بجوار جثته، وكان دمه وأجزاء من مخه عالقة بالجزء السميكة منها. كان الدم

يفرق السجادة، إلى جوار القدر الضئيل الذي تبقى من رأس سكوتشر المسكين، التي لم يتبق منها إلا فكه السفلي الذي كشف عن فم ملتوفي ألم. ظهر هاري من خلفي، وقال لدورو: "أنا هنا يا عزيزتي. ما سبب كل هذا الصراخ، هل رأيتم شيطاناً؟".

قال بوارو بهدوء: "شيطان؟ أنت محق يا فيكونت بلايفورد. إن هذا عمله".

انتابني شعور في هذه اللحظة أن جميع من في المنزل قد انضم لنا الآن. وكان هناك الكثيرون من الأشخاص يحيطون بي - من أمامي ومن خلفي وعلى جانبي. كلاوديا وهاري، والليدي بلايفورد في روب ذهبي لامع، ومن خلفها رأيت راندال كيمبتون وأورفيل رولف يقف بجواره. كان يبدو على كيمبتون أنه يريد أن يقول شيئاً ما - ربما كان يحاول الإمساك بزمام الأمر - ولكن، أيًا كانت التعليمات التي كان يوجهها إلى الآخرين، لم تكن مسموعة في وسط تلك الفوضى. وكان كل من بريجيت وهاتون وفيليس، يقف خلف الليدي بلايفورد. وكان مايكل جاذر كول يقف بعيداً في الخلف. وقد لاحظت أنه أيضاً كان يرتدي معطفه. هل كان في الحديقة بصحبة صوفي طوال الوقت؟

غطت الليدي بلايفورد فمها بيدها، ولكن لم يصرخ أحد آخر عدا صوفي.

صرخت صوفي: "جوزيف! لا، لا، حبيبي جوزيف". ثم تحررت من بين يدي بوارو، وعدت نحو جثة سكوتشر ورقدت على الأرض بجوارها وهي تقول: "لا، لا، لا يمكن أن يكون هذا حقيقة، لا يمكن أن يحدث ذلك في الحقيقة". وضعت الليدي بلايفورد يدها على ذراع بوارو وقالت: "هل هو، حقاً يا بوارو؟ هل من المؤكد أنه هو؟ إن رأسه... أعني، كيف يمكن للمرء أن يتأكد من هذا؟".

قال بوارو: "إنه السيد سكوتشريا سيدتي. يمكنني التعرف عليه من وجهه - ما تبقى منه - ومن نحافة بنيانه. لا يوجد أحد غيره في منزل ليلى أوك على هذا القدر من النحافة".

زمجرت الليدي بلايفورد قائلة: "عليك اللعنة"، ثم صمتت للحظة وعادت لتقول: "معدرة يا بوارو. إنه ليس خطأك".

غمغم راندال كيمبتون بشيء ما لم أسمع من بدايته: "... جوهرة الحياة. بيد آثمة، سُرقَت وسُلِبت". مقطع من مسرحية الملك جون لشكسبير دون شك.

بحثت بنظري عن جاذركول ورأيت جاذًا وهادئًا، ومطمئنًا تقريبًا. وفكرت أنه لا يشعر بأي اضطراب. "هي قتلته، لقد رأيتها".

عندما سمعت هذه الكلمات غير المتوقعة، التفت نحو غرفة الجلوس. كانت صوفي جاثية على ركبتها تحقق إلينا بشراسة.

تقدم بوارو خطوة إلى الأمام وقال: "آنستي... كوني حذرة وأنت تجيبين السؤال الذي سأطرحه الآن. من الجلي أنك مضطربة، ولكن، يجب أن تخبريني بالحقيقة، وركزي للحظات على الحقائق. هل تقولين إنك رأيت من قتل السيد سكوتشريا؟".

قالت صوفي: "لقد رأيتها. كانت تمسك بالهراوة في يدها. و... ضربته على رأسه بها، ولم تتوقف. كان يرجوها، ولكنها لم تتوقف. لقد قتلته".

قال بوارو: "من قتله يا آنسة؟ من تتهمينه بالقتل؟".

بيطاء، نهضت صوفي بورليه واقفة على قدميها، ويبد مر تجفة، أشارت.

الجزء الثاني

للحصول على كتبنا قبل الجميع
بروابط تحميل مباشرة
تابعونا
على فيسبوك
مكتبة الرمحي أحمد
facebook.com/ktabpdf
على تيليجرام
[@ktabpdf](https://telegram @ktabpdf)

الفصل ١٣

تدخل الجاردا

في صباح اليوم التالي، وصل محققو جرائم القتل الحقيقيون - أعني بكلمة "حقيقيون" أولئك الذين يملكون سلطة الضبطية القضائية في مقاطعة كورك، وليس المحققين من إنجلترا - ولتحري المزيد من الدقة، من بلجيكا - الذين تصادف وجودهم بالقرب من جريمة القتل متكرين في هيئة ضيوف بالمنزل.

في أيرلندا الحرة، يُطلق على قوات الشرطة اسم جاردا، اختصارًا لعبارة جاردا سيوكانا، وترجمتها الحرفية هي "حراس السلام". وكان أحد الشرطيين اللذين أرسلهما مفوض الشرطة من دبلن للتحقيق في وفاة جوزيف سكوتشر المريبة، يطابق تلك الأوصاف تمامًا. كان الرقيب دانييل أودواير - بوجهه المستدير مثل ساعة الحائط ونظارته التي جلست مستقرة على أنفه - يسهم في تكوين علاقة متناغمة مع الجميع عبر الموافقة على

كل ما يُقال. وبدا كأنه لا يمتلك في مخزون شخصيته شيئاً عدا الموافقة غير المشروطة.

ولكنه كان الضابط الأقل رتبة. وكان الضابط المسئول عن التحقيق، المحقق آرثر كونري، رجلاً أكثر تعقيداً. كان في الخمسينات من عمره، وشعره الذي لم ينحسر رمادي اللون، ولكنه انسدل على جبهته مثل بروز حجري كبير. وكانت لديه عادة أن يضغط بالجزء السفلي من ذقنه على الجزء العلوي من صدره عندما يستمع لشخص يتحدث، وأن يرفع ذقنه قليلاً نحو الأعلى عندما يتحدث.

كان أول ما فعله كونري حال وصوله إلى منزل ليلي أولك أن ألقى محاضرة قصيرة اعتقدت أنها ستكون بهدف التعارف، ولكن تبين أنها عبارة عن توبيخ قاسٍ لنا حين قال لنا: "أنا لم أطلب الحضور إلى هنا، بل كنت أطلب العكس تمامًا، ولكن قيل لي: يجب أن يكون أنت يا آرثر. لا يوجد محقق مناسب للقضية أكثر منك. إنها قضية مهمة - ولا يوجد أهم منها... لذا، تحدثت إلى زوجتي. وأؤكد لكم أنها لم تكن ترغب في أن أسافر كل تلك المسافة إلى كلوناكيلتي مثلما لم أكن أرغب في قطع تلك المسافة أو تحمل مسئولية هذه القضية، بسبب كبر سني وجميع الأعباء الأخرى الملقاة على كاهلي". علق بوارو بهدوء: "غريب إذن أن انتهى بك المطاف هنا أيها المحقق". فأومأ الرقيب أودواير برأسه في تلك اللحظة وقال: "إنه أمر غريب بالفعل - أنت محق يا سيد بوارو".

لم يكن المحقق قد انتهى من حديثه بعد، فتابع حديثه قائلاً: "ولكن، قالت لي زوجتي: آرثر، إنهم يريدونك أنت، وإن كان هذا ما يريدونه، فلا بد أن لديهم أسبابهم. ودعنا نستعرض الحقائق الآن - من سيكون مناسباً لتلك المهمة أكثر منك؟ لا يوجد أحد يمكنه إتمامها أفضل منك... لم أكن

لأزعم أي شيء من هذا القبيل من جانبي، فأنا رجل متواضع تمامًا، وكل ما أذكره هنا هو رأي زوجتي. لذا عرضنا الأمر على أبنائنا الثلاثة، الذين أصبحوا بالغين الآن...".

قُصت حقيقة ما حدث بعد أن أشرك المحقق أبناءه الثلاثة في الأمر بالكامل وبمهابة لا تتناسب إلا مع خطاب يُلقى في جنازة الملك. الأمر باختصار: أن كونري الصغير، مثل السيدة كونري، كان قلقًا من أن كبير عائلتهم قد يُصاب بالضرر بسبب التوتر الناتج عن هذه المهمة، ولكنهم اتفقوا جميعًا على أنه من دون خبراته القيادية، لن يكون هناك حل للقضية ولن تتحقق العدالة.

اختتم كونري حديثه أخيرًا قائلًا: "لذا، هانذا. وسأظل هنا حتى تُحل تلك القضية الرهيبة، ويجب أن أصر على أن يبقى الجميع في المنزل أيضًا. وإذا كان أي منكم لديه أعمال خارجه، فعليه إلغاؤها. وستظلون تحت سقف هذا المنزل طوال الفترة التي أراها ضرورية، وأصر على ذلك. ويجب أن أنبهكم لأمر آخر قبل أن نواصل عملنا"، ثم رفع يده اليمنى وضم أصابعه على شكل مسدس - بحيث أشار أصبع السبابة نحو الأعلى، والإبهام نحو الأسفل. اكتشفنا فيما بعد أنه معتاد استخدام هذه الإشارة كدلالة على التأكيد.

قال المحقق آرثر كونري: "يجب أن أؤكد أنه يجب على الجميع اتباع التعليمات: سأكون المسئول عن سير التحقيقات. وأنا من سيوزع المهام والتكليفات - أنا الوحيد".

تسارعت إيماءات رأس الرقيب أودواير.

وواصل كونري حديثه قائلًا: "يجب ألا يحدث شيء ولا يتم إخباري به. ولا يمكن لأحد فعل أي شيء من دون إذني. ولن يُجري أحد أية تحقيقات جانبية من دون أن أكلفه بها، بناءً على الأفكار اللامعة التي قد تطرأ عليه".

عندما قال عبارة "الأفكار اللامعة"، صنع أغرب إشارة يد رأيتها في حياتي بالقرب من رأسه - كما لو كان يحاول إطلاق قصاصات ورقية خيالية في أذنيه. ثم تابع قائلاً: "إن سمعتك تسبقك يا سيد بوارو، ويسرني التعاون معك في تلك التحقيقات، ولكن يجب أن تتبع تعليماتي بالحرف الواحد. هل هذا واضح؟".

قال بوارو: "بالطبع أيها المحقق". جعلني إظهار بوارو لنفسه بمظهر الشخص الوديع المنصاع قدر إمكانه في وجه تسلط كونري (لقد أطلقت على سلوكه اسم التسلط على الرغم من أنني أعتقد أن تلك هي شخصيته الحقيقية) أشعر بالريبة. ما الذي يخطط له؟

قال كونري: "حسنًا. كما قلت سابقًا، لا رغبة لي في البقاء هنا. أمل إن كان هناك أحد يمكنه أن يتولى تلك القضية البغيضة... ولكن، للأسف، لا يوجد".

سأل بوارو، وكل كلمة وحركة منه تدل على احترام مبالغ فيه لم أفتنع به: "هل لي أن أطرح سؤالاً عليك أيها المحقق؟"، فحاولت أن أمسك نفسي لكي لا أضحك بسبب تمثيله غير المتقن وهو يقول: "هل يمكنني؟ شكرًا لك. هل لي أن أعلم إذا ما كنت ستبدأ بإلقاء القبض على الآنسة كلاوديا بلايفورد؟ أعتقد أنه تم إبلاغك بأن الممرضة صوفي بورليه...".

أشار المحقق نحو بوارو ليتوقف عن مواصلة حديثه كما لو كان يصدر رائحة كريهة وقال: "لا نية لدي لإلقاء القبض على ابنة الفيكونت جاي بلايفورد لأن ممرضة نكرة قد اتهمتها بالقتل".

تقبل بوارو الإجابة عن سؤاله من دون أن يصدر أي تعليق.

لم يكلف كونري نفسه عناء إخبارنا بما ينوي فعله. كان على أودواير أن يبقى في منزل ليلي أوك ليشرف على أفراد الجاردا المحليين، والذين كانوا

على وشك البدء بتفتيش المنزل بحثاً عن بصمات الأصابع أو أي شيء آخر يصلح كدليل. كما سيصل الطبيب الشرعي في أية لحظة ليلقي نظرة على جثة سكوتشر.

كان دوري – من منطلق أنني كنت سأبقى في ليلي أوك أيضاً – أن أبعاد عائلة بلايفورد والضيوف والخدم عن رجال الشرطة، وفي الوقت ذاته، أحصل منهم على أكبر قدر ممكن من المعلومات.

وجدت نفسي أومئ في قبول عندما صدرت لي تلك التعليمات. ثم تساءلت عن كيف كان ذلك الرقيب دانييل أودواير في أول يوم عمل له. أخشى أن مخالطة كونري من شأنها تحويل أي أحد إلى تابع متحمس.

قال كونري: "يا سيد بوارو، ستأتي معي لنصحب تلك الممرضة، صوفي، إلى مركز شرطة الجاردا في باليجورتين، حيث ستطرح عليها بعض الأسئلة وتحاول قدر إمكانك سبر غموض قصتها حول رؤيتها كلاوديا بلايفورد وهي تضرب سكوتشر على رأسه بالهراوة؛ إذ علينا أن نعرف الحقيقة".

قال بوارو وقد رسم البراءة على وجهه: "ربما كانت الممرضة صوفي تقول الحقيقة بشأن ما حدث. ربما وجب علينا أن نضع احتمال صدقها في الاعتبار رغم أنها ليست من النبلاء. إن سمحت لي أيها المحقق... إن الأنسة كلاوديا تنكر التهمة الموجهة إليها تماماً، ولكن هذا لا يثبت كونها مذنبة أو بريئة، ولكن ما يربكني هو ذلك... ما الكلمة المناسبة؟ نعم: طريقة إنكارها. إنها ليست خائفة أو غاضبة. كما لا تبدو عليها أي من أمارات الارتباك. وكل ما تفعله هو أنها تقول وقد ارتسمت ابتسامة عابثة على شفتيها: لم أفعلها... إنها تتحدث كما لو أنها واثقة بأنها ستبرأ – هذا هو اللغز الذي يربكني. لا أعتقد أنها من ارتكب الجريمة. لا، لا أعتقد هذا. لذا، فإنها واثقة لهذه الدرجة، حسناً، ولكن..."، ثم هز رأسه وصمت.

قال كونري بحدة: "يجب علينا ألا نخمن بهذه الطريقة، فلا طائل منها. دعنا نر ما ستقوله لنا الممرضة. سأسمح لك بأن تسألها أية أسئلة تريدها يا بوارو. ولن أفعل شيئاً سوى الاستماع لك".

لذا - فكرت متجهماً - التخمينات ممنوعة. هذا لسوء حظنا، فهناك الكثير من الألفاظ أمامنا. منذ أن أشارت صوفي بأصبعها المرتجف نحو كلاوديا، لم تنبس بكلمة، رافضة أن تكرر اتهامها لها بالقتل أو تتراجع عنه. بدا أن الدموع هي كل ما كانت الممرضة الشابة تستطيع فعله، والكثير منها. يمكنني أن أجزم - إن سمحتم لي بأن أسرع الأحداث قليلاً - بأن بوارو عاد من مركز الشرطة مرهقاً؛ حيث قال لي في وقت لاحق من تلك الليلة: "لم يطرح المحقق أية أسئلة يا كاتشبول، ولم يشترك في أي شيء. لقد طرحت أنا جميع الأسئلة".

قلت: "وهل أزعجك هذا؟ إنك بطبيعتك ترغب في طرح جميع الأسئلة. كما أنك كنت تعلم من البداية أن هذا سيحدث".

قال بوارو: "أنا لا أمانع طرح الأسئلة، ولكني اعترضت بعد ذلك عندما أخبرني كونري بأن الاستماع هو الدور الأكثر أهمية في الأمر برمته. دوراً في بعض الأحيان - كما قال - لا تكون الكلمات في السياق أو المكان المناسب. يا للغباء! إن الكلمات في السياق والمكان المناسب! ولكنه يتحدث من دون أي منطق! إلى ماذا يستمع المرء سوى إلى الكلمات؟ إن كانت أية كلمة مهمة، فمن المؤكد أن غيرها ستكون كذلك أيضاً! كما أنني أمتلك أذنين مثله! هل كان يتخيل أن هيركيول بوارو لا يمكنه الإنصات لأنه من يتحدث؟".

قلت: "عزيزي بوارو".

قال: "ما الأمر؟".

قلت: "برغم كونه مثيراً للغضب والضيق، فإننا عالقين معه؛ لذا عليك أن تهدأ. تعلم أن تومئ برأسك مثلي أنا وأودواير. والآن، توقف عن الشكوى وأخبرني بما حدث في باليجورتين".

أخبرني بوارو بأنه بدأ التحقيق بأن سأل صوفي عددًا من الأسئلة التي من المرجح أنها لم تخش الإجابة عنها:

"هل تعتقدين يا آنسة أنك ستستمرين في العمل كسكرتيرة شخصية لصالح الليدي بلايفورد؟"

بدت الدهشة على وجه صوفي عندما سمعت السؤال وقالت: "أنا... لا أعلم". وكانت هي وبوارو وكونري يجلسون في غرفة ذات سقف منخفض ونوافذ تهتز عندما تهب الرياح (كان هناك إحياء بوجودهم خارج المبنى وليس داخله، ولكن كان كل هذا مجرد إحياء، كما شكّا لي بوارو فيما بعد بمرارة قائلًا: "لقد كان الجو البارد داخلها مثل خارجها تمامًا").

قال بوارو: "لقد لاحظت أنك كنت تؤدين مهام... وظيفية، سكرتارية، لصالح الليدي بلايفورد. أعني، أنك كنت تؤدين تلك المهام قبل موت السيد سكوتشر. بالطبع، أنت لم تقومي بأي عمل منذ موته، ولا أحد يتوقع منك أن تفعلي".

قالت صوفي بصوت مسموع بالكاد: "لقد فهمت ما تعنيه". كانت قد توقفت عن البكاء منذ غادرت السيارة متجهة إلى باليجورتين، كانت تبدو كشبح عالق بين الأحياء، مسلوبة الأمل والحيوية، ولكن مستسلمة لمصيرها. وبدا كأنها نامت بتلك الملابس التي ترتديها، وكان شعرها منتورًا دون نظام جول وجهها. كانت هي الوحيدة التي تغير مظهرها الخارجي.

سألها بوارو: "هل كنت محقًا في تلخيصي لعملك الذي كان مفترضًا بالسيد سكوتشر أن يؤديه لصالح الليدي بلايفورد، قبل أن تتدهور حالته الصحية؟".

قالت: "نعم".

قال: "وفي الوقت نفسه، كنت تمرضين السيد سكوتشر؟ كنت تعملين ممرضة وسكرتيرة في آن واحد؟".

قالت: "لقد كنت قادرة على أداء كلتا المهمتين".

قال: "هل تحدثت معك الليدي بلايفورد إذن حول استمرارك في العمل سكرتيرة لها؟".

"لا"، قالتها صوفي بعد انقضاء حوالي نصف دقيقة كاملة وبدا أنها تبذل جهدًا كبيرًا للسيطرة على نفسها، وتابعت قائلة: "ولن تفعل، لقد اتهمتُ ابنتها بالقتل".

قال: "هل ما زلت مصرة على الاتهام الذي وجهته إلى الأنسة كلاوديا؟".

قالت: "نعم".

قال: "من فضلك، قصي عليّ ما رأيته بالضبط".

قالت: "وما الهدف من ذلك؟ سيقولون جميعًا إنني لم أر الجريمة، وإن كل هذا لم يحدث. وسيقولون إنني من قتل جوزيف - حتى آثي ستقول ذلك، لأنها والدة كلاوديا، ومن أكون أنا مقارنة بابنتها".

طمأنها بوارو قائلاً: "أود الاستمرار في سماع قصتك. هل يمكنني أن أسألك عما كانت ترتديه كلاوديا؟".

قالت: "ماذا كانت ترتدي؟ ... فستان السهرة وعباءة الفستان. لقد رأيته أنت أيضًا، أليس كذلك؟".

قال: "لقد فعلت. لهذا السبب أسألك. كانت رؤيتي الأخيرة لها قبل أن تبدئي بالصراخ في حوالي التاسعة والثلاث أو التاسعة وخمسة وعشرين دقيقة. في ذلك الوقت، كانت ترتدي عباءة المساء الخضراء طوال الليل. لم تجذبنا صرخاتك نحو غرفة الجلوس إلا في العاشرة وعشر دقائق. لذا كان هناك وقت كافٍ أمام كلاوديا لتبدل ملابسها، بالطبع - وقت كافٍ تمامًا. إلا أن العباءة التي كانت ترتديها عندما تجمعنا جميعا في الطابق السفلي كانت بيضاء... بيضاء ناصعة. ولم أر أية دماء عليها - ولا قطرة واحدة. إذا ضرب شخص يرتدي ملابس بيضاء رجلاً على رأسه بهراوة ثقيلة - ما تسبب في تناثر الدماء على كامل السجادة من تحته - فلا شك في أنه ستكون هناك دماء أيضًا على ملابس المهاجم".

قالت صوفي بهدوء: "لا يمكنني تفسير جميع الأمور غير المنطقية. لقد أخبرتك بما رأيته".

قال بوارو: "هل كانت الأنسة كلاوديا ترتدي قفازات؟"

قالت: "لا، لقد كانت يداها عاريتين".

قال: "من يملك تلك الهراوة؟"

قالت: "كانت تخص جاي - زوج الليدي بلايفورد الراحل. لقد أحضرها معه من واحدة من رحلاته إلى إفريقيا. وقد ظلت في مكانها في خزانة غرفة الجلوس منذ بدأت عملي في منزل ليلي أوك".

قال بوارو: "دعينا نعد إلى السؤال الأول. أريد أن أعرف ما حدث بعد العشاء. منذ تركناك بمفردك مع السيد سكوتشر في غرفة الطعام. ومن فضلك، اذكرني أية تفاصيل يمكنك تذكرها. يجب أن نحاول ترتيب الأحداث زمنياً بالترتيب الصحيح".

قالت: "لقد تحدثنا، أنا وجوزيف. وقد كان من الغريب أن نجد أننا بمفردنا، بعد أن عرض عليّ الزواج على الملأ. ونه كان يرغب بشدة في معرفة ردي".

قال: "وهل عرف ردك؟".

قالت: "نعم. لقد قبلت الزواج به دون تردد. ولكن، حينها، كان جوزيف يرغب في التحدث بشأن حفل زفافنا، وترتيباته، ومدى سرعة إتمامنا لها، وأمور أخرى – كل ما كنت أفكر فيه هو أنه يبدو عليه المرض الشديد، وكم هو ضعيف. لقد كان لقرار آثي تأثير كبير عليه. فقد كان بحاجة إلى الراحة. وقد أمكنني رؤية هذا حتى وإن لم يكن راغباً فيه. قلت له إنه يمكننا التحدث مرة أخرى في الغد، دون أن أعلم أنه..."، وصمتت فجأة.

قال بوارو بلطف: "لم تعلمي أنه لن يكون هناك غد بالنسبة له، أليس كذلك؟".

قالت: "نعم".

قال: "هل أقنعتهم إذن بالذهاب للفراش؟".

قالت: "نعم. لقد اطمأنتت إلى أنه قد نام في فراشه ثم خرجت إلى الحديقة".

قال: "لماذا؟".

قالت: "لكي أباعد عن الجميع. كنت أرغب في الفرار بعيداً، بعيداً عن ليلي أوك – ولكن لكي أبعد نفسي عن الألم وليس عن جوزيف. لم أكن لأتركه مطلقاً، ولكن، لم أكن أستطيع تحمل الأمر أكثر".

قال: "هل تعنين مرضه؟".

تهددت صوفي وقالت: "لا، لا يهم".

ألح عليه بوارو قائلاً: "أكملي من فضلك يا آنسة".

قالت: "حتى إن تزوجت من جوزيف، ماذا بعد؟ سرعان ما ستُسلَب منا سعادتنا. إن السعادة الدائمة مستحيلة".

في ركن الغرفة، كان المحقق كونري يظهر كأنه يحاول سحق ربطة عنقه بالجزء السفلي من ذقنه.

سأل بوارو: "اعذريني على تطفلي، ولكن، هل بكيت عندما كنت في الحديقة؟ بصوت مرتفع لدرجة أنه من المحتمل أن يسمعك شخص ما؟".

بدت الدهشة على وجهها ثم قالت: "لا، لقد ظللت أسير وأسير".

قال: "هل التقيت أحداً في الحديقة؟".

قالت: "لا".

قال: "هل تحدثت هامسة مع أي أحد؟".

قالت: "لم أفعل".

قال: "لقد كنت في الحديقة أيضاً مع كاتشبول. وتحدثنا كثيراً".

قالت صوفي: "لم أسمع أي أحد - فقط صوت حفيف... أوراق الشجر

والرياح".

قال بوارو: "متى خرجت، ومتى عدت للمنزل؟ هل تتذكرين؟".

قالت: "خرجت بعد أن غادر الجميع غرفة الطعام بقليل - الجميع عداي

أنا وجوزيف، هذا كل شيء. لا أعلم متى كان هذا بالتحديد".

قال بوارو: "لقد كانت الثامنة إلا خمس دقائق".

قالت: "لذلك اعتقدت أنني وجوزيف غادرنا غرفة الطعام في الساعة

الثامنة وعشر دقائق، وساعدته على الاستعداد للنوم لخمسة عشرة أو

عشرين دقيقة أخرى، ثم خرجت. ربما كانت الساعة الثامنة والنصف

عندما خرجت من المنزل".

قال: "إذن، كنت تخرجين من المنزل بينما كنت عائداً مع كاتشبول إليه من الحديقة. ولكننا لم نرك".

قالت: "لا أعرف الوقت بالتحديد، ربما كان قبل ذلك أو بعده بخمس دقائق".

قال: "ومتى عدت إلى المنزل؟".

قالت صوفي غاضبة: "لماذا تطرح أسئلة تعرف إجابتها مسبقاً؟ لقد سمعتم جميعاً صرخاتي، ولقد حضرتم جميعاً مسرعين".

قال: "ولكني لا أعلم كم من الوقت قضيت داخل المنزل قبل أن تصرخي. لقد بدأت تصرخين في العاشرة وعشر دقائق — هذا ما أعرفه".

قالت: "لم أعد من الحديقة إلا قبل خمس دقائق من ذلك. وسمعت الصياح على الفور. ولم يكن باستطاعة أحد من الطابق العلوي سماعه، ولكنني سمعته، بكل وضوح، بمجرد أن أغلقت الباب الخلفي واختفى صوت الرياح. سمعت جوزيف يتوسل للحفاظ على حياته".

سألها بوارو: "ماذا كان يقول بالضبط؟".

قالت: "لا يمكنني تحمل تذكر كلماته، ولكنني يجب عليّ هذا، أعلم ذلك. كان يقول: توقفي، توقفي أرجوك يا كلاوديا. لست مضطرة لأن — ... كان يعلم أنها ستقتله. كان يجب أن أسرع لأمنعها بمجرد أن رأيته تمسك بالهراوة، ولكن، لم يبد ذلك ممكناً في حينه... بعد ذلك، الضربة. لقد أصبت بشلل يا سيد بوارو. إن خطئي أن جوزيف قد قُتل. لو كنت أسرعت لأمنع كلاوديا لكنت أنقذت حياته".

قال بوارو: "هل كان السيد سكوتشر فقط من سمعته يتحدث؟ هل قالت كلاوديا بلايفورد أي شيء؟".

قطبت صوفي حاجبيها، ثم اتسعت عيناها فجأة وقالت: "نعم، نعم. لقد تحدثت عن امرأة تدعى أيريس وقالت: هذا ما كان يجب أن تفعله أيريس... أو شيء من هذا القبيل. كانت تقول هذا في أثناء هجومها على جوزيف". ألح عليها بوارو قائلاً: "أرجو أن تكوني دقيقة قدر الإمكان، فمن المهم جداً أن أعرف الكلمات التي قالتها بالضبط".

قالت: "هذا ما كان يجب أن تفعله أيريس - أنا على يقين مما قالت، قالت بعد ذلك: ولكنها كانت ضعيفة - وتركتك تعيش، ولكنك قتلتها... أو ربما قالت: تركتك تقتلها... تجمدت في مكاني، ولم أتمكن من فعل أي شيء عدا الصراخ. ولم أفعل...". تهدج صوت صوفي وهي تقول: "لم أحاول أن أنقذ حياة جوزيف".

قال بوارو: "من تكون أيريس؟".

قالت: "لا أعلم. لم يذكرها جوزيف مطلقاً أمامي".

قال بوارو: "ولكن، تعتقد كلاوديا بلايفورد أنه قتلها".

قالت: "لا يمكن لجوزيف أن يؤدي ذبابة. وكلاوديا امرأة شريرة".

قال: "لماذا بقيت كل تلك الفترة في الحديقة رغم برودة الجو؟".

قالت: "كنت أشعر بالخجل ولم أتمكن من العودة للمنزل. فلم أكن على طبيعتي".

"فكثيراً ما رأوني جميعاً صوفي القادرة، صوفي القوية، التي دائماً ما تمد يدها لمساعدة جوزيف والليدي بلايفورد والجميع. فقد كنت بحاجة لبعض الراحة من كوني الشخص الذي يراني الجميع عليه خلافاً للحقيقة".

قال بوارو: "أفهمك جيداً. ماذا فعلت كلاوديا بلايفورد بمجرد أن أنهت هجومها على السيد سكوتشر؟".

قالت: "ألقت بالهراوة على الأرض وأسرعت خارجة من الغرفة".

رفع المحقق كونري ذقنه وقال: "ولكن، كلاوديا بلايفورد ورناندال كيمبتون يقصان قصة مختلفة. لقد قالوا إنهما كانا معاً في غرفة الطبيب كيمبتون منذ غادرا غرفة أورفيل رولف حتى بدأت أنت الصراخ في الطابق السفلي".

قالت صوفي ببساطة: "لقد كذبا عليك إذن".

الفصل ١٤

قائمتا الليدي بلايفورد

بينما كان بوارو والمحقق كونري في باليجورتين مع صوفي بورليه، كنت بصحبة الرقيب أودواير في غرفة مكتب الليدي بلايفورد في منزل ليلي أوك. كانت الليدي بلايفورد ترفض النزول إلى الطابق السفلي منذ موت سكوتشر. ولاحظت أن الصينية التي تحمل الغداء كانت موضوعة على مكتبها دون أن تمسها، وبدا وجهها أكثر نحافة مما كان قبل الساعات الأربع والعشرين التي مرت منذ المأساة.

قالت الليدي بلايفورد للرقيب أودواير: "لقد خرجت من غرفة الطعام وتوجهت مباشرة إلى غرفة نومي". ومن أسلوب حديثها، بدا لنا أن سؤاله وأية أسئلة أخرى قد تتبعه كانت عبارة عن إلهاء. كنت أشعر بأنها تحاول أن تبقى بمفردها، وأنها تعتبر أية تدخلات من الآخرين شيئاً مزعجاً. قالت الليدي بلايفورد: "أنا لم أتناول عشاءي في ذلك اليوم. وستعرف ذلك على أية حال؛ لذا من الأفضل أن تسمعه مني. ربما أخبرك السيد كاتشبول بالفعل". أشرت لها بأني لم أفعل.

قالت الليدي بلايفورد: "لقد قالت زوجة ابني، دورو أمراً جعلني أشعر بالكثير من الاستياء. لا تظن بها سوءاً. إنها إنسانة رحيمة، ولكنها مفرطة القلق، هذا كل ما في الأمر. لا يوجد أحد في هذا المنزل شرير أو غير عطوف أيها الرقيب. حتى ابنتي كلاوديا، والتي قد تكون كلماتها قاسية في بعض الأحيان..."، ثم عدلت الليدي بلايفورد من جلستها للاستعداد لما ستقول: "إن كانت كلاوديا قاتلة فأنا قرصانة في أعالي البحار. وهذا محال".

قلت: "هل تعتقدين إذن أن صوفي بورليه كاذبة؟"

قالت الليدي بلايفورد: "لا. صوفي لن تتهم أحداً بالقتل جزافاً. إنها طيبة القلب".

قلت: "ماذا إذن...؟"

قالت: "لا أعلم، صدقتي، فأنا أرى المشكلة مثلما تراها! ولكني أؤكد أمرين - أن ابنتي ليست قاتلة، وأن صوفي بورليه لن تتهمها بالقتل جزافاً - وكلاهما أمر متناقض".

قال الرقيب أودواير كأنه يطرح جميع أسئلته في جملة واحدة: "إن سمحت لي بطرح بعض الأسئلة يا سيدتي... لقد قلت إنك عدت لغرفتك، هل غادرتها مرة أخرى، أم بقيت بها، وماذا فعلت بعد ذلك؟"

قالت: "لقد بقيت في غرفتي بمفردي، حتى سمعت صراخ صوفي من بعيد وأصوات ركض في الرواق. وطوال تلك الفترة لم يزعجني أحد سوى السيد كاتشبول الذي طرق باب غرفتي؛ فقد كان يريد الاطمئنان على أن خطباً ما لم يلم بي".

قلت لأودواير: "لقد طلب مني بوارو أن أتأكد من سلامة الجميع، فوجدت أن الجميع بخير عدا صوفي بورليه ومايكل جاذركول، اللذين لم أعثر عليهما

في أي مكان من المنزل، إلى جانب جوزيف سكوتشر وأورفيل رولف، اللذين كانا في غرفتيهما، ولكنهما لم يكونا بخير".

قال أودواير: "إن سمحت لي بسؤالك أيتها الليدي... كان سكوتشر يحتضر بسبب مرض الفشل الكلوي، أليس كذلك؟".
قالت: "نعم، هذا صحيح".

قال: "ماذا عن ذلك التعليق المسيء الذي قالته زوجة ابنك؟ أود سماعها إن لم يكن لديك مانع".

قالت: "قالت إنني أحاول التظاهر بأن جوزيف سكوتشر هو ابني نيكولاس، الذي مات في سن صغيرة. ووصفت جوزيف بأنه: جثة هامة، وهو كذلك بالفعل. أعلم هذا جيداً. ما أزعجني ليس الواقع المرير، الذي تقبلته منذ أمد بعيد، بل أن دورو قالت تلك الكلمات لي".

لم أتمكن من منع نفسي من قول: "ولكنها ندمت على ما قالت بعد قليل. لقد شعرت بضيق شديد فيما بعد عندما كنا في غرفة الاستقبال، وتمنت لو تمكنت من التراجع عما قالت".

قالت الليدي بلايفورد في تأن: "يجب ألا يلقي المرء بالكلمات جزافاً، أو عفوياً. فبمجرد أن تخرج الكلمات من فم المرء، لن يمكنه إرجاعها ثانية. لقد كنت تعسة في الكثير من الأحيان، ولكني لم أستخدم مطلقاً كلمة أو كلمات لا أختارها بعناية فائقة".

قال أودواير: "أتفق معك تماماً أيتها الليدي. إن كان هناك من يمكنه اختيار الكلمات بعناية، فسيكون أنت بلا شك".

لمعت الدموع في عينيها وهي تقول: "ولكن، بسببي مات المسكين جوزيف".

قلت لها: "يجب ألا تلومي نفسك".

قال أودواير: "أتفق مع المحقق كاتشبول تمامًا. إن كان هناك من يجب أن يُلقى عليه اللوم فيما يتعلق بموت السيد سكوتشر، فسيكون الشخص الذي حطم رأسه بالهراوة".

قالت الليدي بلايفورد: "من اللطيف منكما أن تحاولا التسرية عني، ولكنكما لن تتمكنوا من إقناعي أبدًا بأن الأمر برمته ليس خطئي. لقد غيرت وصيتي بطريقة صُممت خصيصًا لزيادة الإثارة. لقد كنت أقدم مشهدًا مسرحيًا في أثناء إعلاني عنها خلال العشاء".

قلت: "ولكنك لم تتوقعي أن يُقتل جوزيف سكوتشر بعد بضع ساعات من إعلان وصيتك".

قالت: "كلا، لو كنت فكرت في هذا الاحتمال، لم أكن لأقرر الإقدام عليه من الأساس. هل أخبرك بالسبب؟ لأن الدوافع الوحيدة المنطقية لهذه الجريمة ستشير إلى الشخصين الوحيديين الذين لن يقدموا على ارتكابها: ابني هاري - أمر غير وارد على الإطلاق، أما بالنسبة لابنتي كلاوديا... فقد لا تصدق هذا يا إدوارد - هل لي أن أدعوك إدوارد؟ - ولكن علم النفس مخطئ. لا يمكن أن تكون كلاوديا".

قلت: "وما الذي يجعلك متيقنة لهذه الدرجة؟".

قالت: "إن القتل العنيف لهذه الدرجة هو الملاذ الأخير لشخص كبت غضبه الشديد أو استياءه الملتهب لفترة طويلة - طوال حياته - من دون أي مفر واضح، وأخيرًا، ينفجر، وينكسر الوعاء الذي يحوي روحه. إن ابنتي دائمة الثورة - الأمر الذي لازمها منذ طفولتها من دون أي سبب واضح - ويمكن للجميع أن يشهدوا على ما قالوه؛ فقد عاملوها اليوم تلو الآخر. بعيدًا عن تسبب سلوكها هذا في تعطيل حياتها، فهي تتعامل بذلك الأسلوب نفسه مع الجميع، مع أي شخص يمر بطريقها. إن المرارة تشع منها بينما

تسير في جنبات المنزل، وهي تشعر بأنها مضطهدة، وتحاول التنفيس عن غضبها. أنا على يقين من ملاحظة سلوكها يا إدوارد".
قلت: "حسنًا...".

قالت: "أعلم أنك رجل مهذب جدًا ولا يمكنك تكرار كلماتي. يمكن لكلاوديا أن تهزم جيشًا كاملاً بمجرد أن تفتح فمها وتحدث. أما أن تحمل هراوة وتضرب بها رأس رجل... يجب أن تخذلها كلماتها أولاً، وأؤكد لك أن هذا مستحيل".
قلت: "وماذا عن دورو؟".

قالت: "هل تسألني عما إذا كانت قد قتلت جوزيف؟ مستحيل. لقد دخلت في شجار علني مع الجميع لمجرد أنها فكرت أنها لن تترك شيئاً، ولكنها امرأة جبانة. وما يهم في الأمر، أنها متشائمة، ولن يمكنها أن ترتكب جريمة قتل على أمل ألا يكتشفها أحد، والمحاكمة والإعدام سيكونان أمرين مؤكدين بالنسبة لها، وتلك العواقب الوخيمة المتوقعة ستثنيها عن التفكير في الأمر من الأساس. على أية حال، ما السبب في قول صوفي إنها رأت كلاوديا ترتكب الجريمة إن كانت رأت دورو وهي تفعلها؟".
سألتها: "وماذا عن خطيب ابنتك - راندال كيمبتون؟".

بدأت الدهشة على وجه الليدي بلايفورد وقالت: "لماذا قد يرغب راندال في قتل جوزيف؟ ربما يكون دافعه الوحيد هو المال، ولكنه يملك الكثير جداً منه".

كان من الجيد الاستماع لها وهي تؤكد أن ذلك الشخص أو ذاك لا يمكنه قتل سكوتشر. ولكن، هناك من فعل ذلك، وهذا مؤكد، فسألتها: "فيمن تشكين؟".
قالت: "لا أحد. تقترح كلمة الشك: الاعتقاد القوي. وليس لدي اعتقاد قوي. فهناك قائمتان أعددتهم في ذهني، ولا أكثر".

قلت: "قائمتان؟".

قالت: "أولئك الذين من المؤكد أنهم أبرياء، والبقية".

قلت: "عندما تقولين: من المؤكد أنهم —".

قالت: "من منطلق معرفتي بشخصياتهم".

سأل أودواير: "هل يمكن أن تطلعيني على قائمتك أيتها الليدي؟".

قالت: "إن كنت مصرًّا. الأبرياء هم: هاري، كلاوديا، دورو، مايكل جاذركول، صوفي بورليه. والبقية هم — معذرة يا إدوارد — إدوارد كاتشبول، هيركيول بوارو —".

قلت: "معذرة! هل حلت أنا وبوارو في قائمتك للقائتين المحتملين؟".

قالت وقد بدا عليها نفاذ الصبر: "أنا واثقة بأن أيًا منكما لم يقتل جوزيف، ولكني لست على يقين تام. لا يمكنني أن أقول إنك أو بوارو من المستحيل أن ترتكبا جريمة قتل. وإن جعلك هذا تشعر بجال أفضل، فلا يمكنني أن أقول المثل عن نفسي. وفي ظل الظروف المناسبة... على سبيل المثال، إن علمت من قتل جوزيف، فقد أبحث عن أكبر وأحد سكين في المنزل وأغرسه في قلبه، بل وسأستمتع بذلك".

سمعنا في تلك اللحظة طرقًا على الباب.

فقالت الليدي بلايفورد في سرعة، كما لو كانت تقول إنني والرفيق أودواير نسبب لها الإزعاج الكافي: "لا أريد التحدث إلى أي أحد آخر. فليبعدهم أحدكما، أيًا كان الطارق".

كان هاتون، رئيس الخدم. وقد بدا كأن الوضع الكارثي في منزل ليلي أوك قد أعاد له قدرته على التحدث عند الضرورة: "هناك رسالة من أجلك يا سيد كاتشبول من السيد بوارو"، ثم مال نحوي ليهمس في أذني مباشرة:

"لقد اتصل هاتفيًا، ويرغب في أن يسأل الجميع إذا ما كان أحدهم يعرف امرأة تُدعى أيريس".

تساءلت عما إذا كان المحقق كوني يتشارك الرغبة نفسها مع بوارو. قالت الليدي بلايفورد بمجرد أن انصرف رئيس الخدم: "هاتون، بريجيت وأورفيل رولف - ورنالد كيمبتون في بعض الأحيان، ولكن ليس من أجل المال. إنهم جميعًا يحلون في قائمتي عن القتلة المحتملين. الوحيدة التي تمثل مشكلة كبيرة بالنسبة لي هي فيليس، فقد كانت مفرمة بجوزيف - وكانت تتشبث بكل كلمة يقولها. ولا أعتقد أنها من الممكن أن تؤذيه. ومن جانب آخر، إنها ساذجة، وليس من الصعب إقناع هذا النوع من البشر بارتكاب الأمور الخطأ".

قال أودواير: "إن سمحت لي بإزعاجك بطرح سؤال آخر أيتها الليدي. إنه بشأن وصيتك الجديدة".

قالت: "كنت واثقة بأنه سيكون عنها".

قال: "لماذا قررت تغييرها مثلما فعلت، مع اقتراب السيد سكوتشر من الموت؟ ألم تكوني تعتقدين أنه سيموت قبلك؟".

قالت الليدي بلايفورد بقلق: "لقد أجبت عن هذا السؤال بالفعل، ولا أحب تكرار نفسي. سيخبرك إدوارد بما قلت".

أومأت برأسي، متذكرًا أدها الرائع في غرفة الطعام. إن الصحة الجسدية تتأثر بالحالة النفسية، لذا يمكن إقناع سكوتشر بأن يظل على قيد الحياة لفترة أطول إن علم أنه سيرث أموالًا طائلة ذات يوم. لكنني لم أفتنع بتلك الحجة في حينها، وما زلت غير مقتنع بها الآن.

قلت في تردد: "أتساءل إذا ما كنت تمانعين التحدث قليلاً عن وصية زوجك الراحل أيتها الليدي بلايفورد"، كنت أتوقع أن تصيح في وجهي أن أصمت وأن ألتزم بالموضوع الذي نتحدث بشأنه.

ولكنها قالت: "جاي؟ هل تعني بسبب ما قالته دورو في أثناء العشاء؟ لا، لا يوجد أي مانع لدي. لم يكن اتخاذ هذا القرار بالأمر السهل، ولكني كنت واثقة أنا وزوجي بأنه القرار الصحيح. لقد التقيت هاري. فإن آلت مزرعة ليلي أوك وكل ما يملك جاي إليه بالطريقة المعتادة، فلن يكون هو من يتخذ القرارات ويدير الأمور، بل ستكون دورو، و—".

قطعت الليدي بلايفورد حديثها فجأة، وبعدما أطلقت صوتاً ينم عن نفاذ الصبر، عادت لتقول: "سيكون عليّ أن أكمل حديثي الآن، فبعدما بدأت التحدث عن الأمر، كيف ستروني الآن؟ أنا أحب دورو كثيراً، ولكني لا أثق بها، وكذلك لا تثق بها كلاوديا — ويلي أوك هو منزل عائلتها مثلما هو منزل عائلة هاري. ولا تعني حقيقة أنه من المعتاد أن تسير الأمور بشكل ما أنه يجب أن تسير دوماً بهذا الشكل. أنا أرملة جاي — صراحة، ولا أرى سبباً لتحيتي جانباً أنا أو كلاوديا. لماذا أترك منزلي الذي أحبه وأتركه إلى دورو لتستولي عليه؟ ويحصل كل من هاري وكلاوديا على أموال تكفيهما وتغطي نفقاتهما بنصرف النظر عما تعتقده دورو. ووافقت جاي على ذلك".

كنت سعيداً بأنني لن أواجه مثل هذه المشكلة أبداً. سألت الليدي بلايفورد: "هل تعرفين امرأة تُدعى أيريس؟".

قالت: "أيريس؟ لا، من تقصد؟".

كنت أتمنى لو أنني أعرف.

قالت: "لا، لا أعرف أية أيريس".

كان إنكارها مقنعاً. ولكنني لم أتمكن من منع نفسي من التفكير في أنه إن كان هناك من يمكنه أن يكذب ويجعل العالم بأسره يصدق كذبه فستكون أثيليندا بلايفورد، بكل تأكيد.

الفصل ١٥

الرؤية والسمع والنظر

بينما كان الرقيب أودواير يتناقش مع طبيب الشرطة، وينظم أمور رجال الشرطة المحليين المكلفين بتفتيش منزل ليلي أوك، ذهبت لأبحث عن جاذركول. وقد كنت أرغب في التحدث إليه على انفراد، وخبنت أنه لن يفوتني أي شيء مهم إن تركت أودواير بمفرده مع أجهزته في الوقت الحالي. بعد إتمام تنظيمه لرجال الشرطة، كان أورفيل رولف هو التالي على قائمته. كان رولف هو الشخص الوحيد الذي لا سبيل لكونه القاتل، في اعتقادي على الأقل. فخلال الفترة ما بين طريقي باب غرفة سكوتشر والاطمئنان عليه وكان لا يزال حيًا، ووصولي إلى غرفة رولف لأجده يعاني وعكة صحية، لم يكن ممكنًا بأية حال من الأحوال أن يتمكن من الهبوط إلى الطابق السفلي من دون المرور بي، ولا شك في أنني كنت سأراه لو كان فعل. إنه لم يفعلها. وبعد ذلك، كنت أنا وبوارو معه، أو بالأصح، كنا نحرسه من خارج غرفته بواسطة ذلك المقعد الكبير حتى سمعنا صرخة صوفي بورليه. وكان هذا بلا شك دليلًا دامغًا يبرئه من جريمة القتل.

بحثت في أنحاء المنزل عن جاذركول، ولكني لم أجده؛ لذا خرجت إلى الحديقة. وبعد حوالي عشر دقائق سيرًا على الأقدام على غير هدى، رأيته من بعيد. لقد كان يقف واضعًا يديه في جيبه يحدق إلى صف من شجيرات الورود. فاقتربت منه ببطء حتى لا أفزع.

نظر نحوي، وظهر شبح ابتسامة على وجهه، ثم رفع بصره في سرعة ليحدق إلى المنزل. هل كان ينظر نحو نافذة بعينها، أم إلى المنزل بالكامل؟ لم أتمكن من التخمين.

ظل يحدق إلى المنزل لبضع ثوان قبل أن يعود لينظر نحوي. في تلك اللحظة، راودتني فكرة مثيرة للاهتمام، وكانت مراقبتي لجاذركول هي ما جعلتها تطرأ على ذهني. سألني: "هل أنت بخير؟".

قلت له: "هل تمنع لو جربت فكرة ما عليك؟ لقد واتتني تلك الفكرة منذ لحظات فحسب، وقد أجد صعوبة كبيرة في التفكير في أي شيء آخر حتى أناقشها مع شخص ما". قال: "تفضل".

قلت: "عندما نظرت أنت إلى المنزل الآن، تذكرت أمرًا قالته الليدي بلايفورد عندما كنت أتحدث معها والرقيب أودواير". قال: "أكمل".

قلت: "لقد كان سؤالًا: لماذا قد تتظاهر صوفي بورليه بأنها رأت كلاوديا بلايفورد تقتل سكوتشر إن كانت دورو بلايفورد هي من رأتها صوفي؟". قال: "دورو؟ لا أفهم. هل اقترحت أن دورو هي —".

طمأنته قائلًا: "لا، بل على النقيض تمامًا. كانت الليدي بلايفورد تخبرنا بأن دورو ضمن القائمة التي أعدتها وضمت جميع الأبرياء دون أدنى شك.

ولكي تدعم حجتها، طرحت سؤالها: لماذا تقول صوفي إنها رأت كلاوديا تضرب سكوتشر على رأسه حتى الموت رغم حقيقة أنها رأت دورو؟ طرحت الليدي بلايفورد هذا السؤال بفرض أن إجابته جلية ولا تحتاج إلى الإفصاح عنها: بالطبع لن تفعل... هذا ما افترضته وأودواير، هي واقتنعت به، حتى قبل لحظات".

سألني جاذركول: "وماذا تعتقد الآن؟".

اقترحت عليه قائلًا: "هل يمكننا السير قليلًا؟"، فhez كتفيه في لامبالاة ولكنه تبعني عندما بدأت أسير.

رأيت أنه لا ضرر من مشاركته أفكارى. وقد أخبر بوارو فيما بعد بأني فعلت. قلت: "دعنا نفترض أن صوفي رأت شخصًا ما – لا نعرف من يكون – يرفع الهراوة ويهوى بها مرة، ومرتين، وثلاث مرات، وربما أكثر، على رأس سكوتشر المسكين. قد تكون قد شعرت بالرعب من المشهد لدرجة أنها صرخت: ما جعل جميع من في المنزل يهرعون نحوها ليروا ما الأمر". وافقني جاذركول بينما كنا نسير بين صفين من أشجار الليمون قائلًا: "هذا ما تقول إنه حدث".

قلت: "تخيل مدى الرعب الذي شعرت به بسبب رؤيتها لذلك الأمر الرهيب الذي يحدث لمن تحب. أي شخص سيصرخ من أعماق قلبه". قال: "أعتقد ذلك".

قلت: "تخيل ما يلي أيضًا: في ظل شعورك بالصدمة، تثير الكثير من الجلبة، رغمًا عنك. وعلى الفور، تسمع صوت خطوات وصيحات تقول: "ما الأمر؟"، وسرعان ما أصبح الجميع يحيطون بك، وسيكون عليك حينها أن تقول لهم إنك قد رأيت جريمة قتل تحدث... حينها ستفكر فيما يجب عليك فعله".

قال: "ماذا؟".

قلت: "إن الشخص الذي رأيته يهشم رأس سكوتشر بالهراوة ليس الشخص الذي يمكنك أن تتهمه بالقتل - شخص ترغب في حمايته، بصرف النظر عما فعل. ماذا ستفعل؟ تقول أكبر قدر ممكن من الحقائق، ولكنك تستبدل الشخص الذي تريد حمايته بشخص تكرهه وترغب في التخلص منه - كلاوديا بلايفورد - وتتهمه بالقتل؛ وتلك هي الفكرة التي طرأت على ذهني عندما رأيته تتطلع إلى نافذة غرفة مكتب الليدي بلايفورد. لقد رأيته. ولا فائدة من إنكار أنك لم تفعل؛ لأنني أعلم جيدًا أنك فعلت".

تساءلت، لماذا فعل ذلك؟ هل كان يرغب في التأكد من أن الليدي بلايفورد لا تنظر من نافذتها قبل أن يبدأ الحديث معي؟

تابعت حديثي قائلاً: "وبالطريقة نفسها، سمعنا جميعًا صوفي بورلي وهي تقص شهادتها عن مقتل جوزيف سكوتشر. لقد صرخت لأنها لم تتمكن من منع نفسها من ذلك - ولكن، بعدما فعلت، لم تتمكن من التظاهر بأنها رأت شخصًا ما يقتل سكوتشر فحسب. لقد كانت تقف هناك مشلولة من الرعب بجوار الباب وأمامها جثته. وإن لم تتمكن من الإفصاح عن المجرم الحقيقي، وقررت أن تكذب وتقول إنها كانت كلاوديا، حسنًا، ربما كان أيًا ما كان. والإجابة عن سؤال الليدي بلايفورد - لم قد تتهم كلاوديا رغم أنها رأت دورو تفعلها؟ - ستكون غاية في البساطة: كانت صوفي ترغب في حماية المجرم الحقيقي من العقاب".

توقف جاذر كول فجأة وقال: "هل يمكنني أن أوضح خطأ صغيرًا في فكرتك؟".

قلت: "من فضلك".

قال: "إن كانت صوفي ترغب في حماية قاتل سكوتشر، فلم تكن بحاجة إلى أن تقر برؤيتها لما حدث. كانت صرخاتها كافية بتفسير كونها من عثر على جثة الرجل الذي تحبه. وكنا قد نتقبل جميعاً الأمر من دون المزيد من الأسئلة".

قلت: "بالطبع كنا سنفعل. ولكن، في ظل حالة الصدمة والألم التي تعرضت لها، ربما لم تفكر في الأمر جيداً".

أقر جاذركول بالأمر دون حماس قائلاً: "ربما لم تفعل". سألته عندما بدأنا نسير مجدداً: "هل هبطت إلى الطابق السفلي من الطابق العلوي؟".

قال: "معذرة؟، لم أفهم".

قلت: "عندما بدأت صوفي الصراخ – هل هبطت من الطابق العلوي مثل بقيتنا؟ لقد ظهرت هناك فجأة، ولكنك كنت ترتدي ملابس الخروج، على ما أتذكر. وقبل هذا، لم أتمكن من العثور عليك في كامل المنزل".

قال: "لقد خرجت، وسرت إلى النهر وعدت؛ فأنا أرتاح عندما أنظر إلى الماء. لقد كانت تلك الأمسية...".

قلت: "إن لم تمنع في سؤالي، أين كنت عندما بدأت صوفي تصرخ؟". قال: "عند الباب الرئيسي للمنزل، وكنت قد عدت للمنزل قبل ذلك بلحظات. وتوجهت من فوري إلى مصدر الضوضاء ووجدتكم جميعكم هناك. أعتقد أنني كنت آخر من يصل".

كنت أشعر بالكثير من العصبية بشأن ما كنت أريد قوله تالياً؛ لذا، بذلت قصارى جهدي لكي أبدها دأً وأنا أفعل: "هل تمنع لو سألتك سؤالاً آخر؟ لقد ظل هذا السؤال يدور في ذهني منذ جلسنا جميعاً حول طاولة العشاء في تلك الليلة معاً".

قال: "ماذا تريد أن تعرف؟".

قلت: "بعدما غادرت الليدي بلايفورد غرفة الطعام، مرت لحظة عندما كنت تبدو... حسنًا، تشعر باستياء شديد. أو بالأصح كنت تبدو بائسًا. كان الأمر يبدو كأن هناك ما جعلك تشعر بالاستياء أو الغضب. كنت أتساءل...". قال جاذركول: "كنت أشعر بالقلق بشأن الليدي بلايفورد. لقد غادرت الغرفة بسبب الكلمات الرهيبة التي قالتها دورو — وهذا لا يُغتفر".

لم أصدق، فقد تحول صوته ليصبح أكثر زيفًا مما كان من قبل. قلت: "لا يُغتفر؟ لقد ندمت دورو على ما قالت بعد ذلك بقليل. لقد كانت هي أيضًا في حالة صدمة، وكانت تخشى على مستقبلها ومستقبل هاري". قال جاذركول بحدة: "نعم. ربما حكمت عليها ببعض القسوة". كان يخفي أمرًا مهمًا. وكلما زادت سرعة سيره ومحاولته ألا تلتقي نظراتنا، زاد يقيني بأني محق.

قررت أن أخاطر، فقلت: "اسمع. أنا أعمل في شرطة سكوتلاند يارد. ووظيفتي، بصرف النظر عن نوع الجريمة، أن أشك في الجميع. وفي هذه القضية بالذات، أعترف بالإهمال: أشك في الجميع عداك أنت". قال: "أنت أحق إذن. إنك لا تعلم أي شيء عني".

قلت: "أعتقد أنني أعرف. وأعرف أن هناك ما تحاول إخفاءه، أمر يتعلق باليأس الذي بدا عليك في غرفة الطعام —". قال: "اليأس الذي بدا عليّ إنك واهم. هل يمكننا تغيير الموضوع من فضلك؟".

قررت أنه يجدر بنا ذلك، فلم أكن قادرًا على تحقيق أي من أهدافي، فسألته: "هل تعرف امرأة تُدعى أيريس؟".

فأخرج منديلاً من جيبه ومسح به وجهه وقال: "لا، لا أعرف".

الفصل ١٦

الاكتئاب

كان من المرهق سؤال الجميع عن تلك المرأة أيريس التي طلب مني بوارو سؤالهم عن تكون، أو التفكير في سبب اعتقاده أنها مهمة. وعندما جلست والرفيق أودواير مع هاري ودورو بلايفورد في المكتبة، قررت البحث عن تلك المرأة أولاً.

قال هاري بلايفورد: "أيريس اسم جميل لامرأة. لست واثقاً بأنني أعرف أية أيريس، هل تعرفين أحداً بهذا الاسم يا دورو؟ ولكن، مهلاً ماذا عن تلك المرأة التي صنعت القبعة من أجل أمي؟ تلك القبعة ذات الشريط الوردية. كانت تمتلك كلباً صغيراً أبيض اللون من فصيلة الترير – كان اسمه برنس، أليس كذلك؟ لقد كان جميلاً". كان سلوك هاري ينم عن الاسترخاء والمرح. وبدا الأمر كأن جريمة قتل وقعت في منزله لم تتسبب في تعكير مزاجه على الإطلاق. إن كان يخشى الدخول في دائرة الشبهات، أو إن كان حزيناً على موت جوزيف سكوتشر، فلا دلالة هناك على أي من الأمرين.

أما زوجته فكانت، على النقيض منه، ترتجف كالقار المذخور. ولم تتمكن من تثبيت عينيها لدرجة أنك قد تشعر بالدوار بمجرد النظر إليها. قالت دورو: "كان اسم المرأة التي صنعت تلك القبعة أجنس. هل تعني أجنس يا سيد كاتشبول أم أنك تعني أيريس؟ من تكون؟ لا يمكنني تذكر أنني أعرف أية امرأة تحمل هذا الاسم. هل تحدثت آني عن امرأة تدعى أيريس؟ هل كانت امرأة من معارف جوزيف سكوتشر؟".

قلت لها: "أظن أنني لا أعرف أكثر مما تعرفين". كان اسم أجنس يقارب في نقطه اسم أيريس. هل يمكن أن يكون هاتون قد أخطأ سماع ما قاله بوارو، أو أن بوارو أخطأ سماع ما قاله شخص آخر؟ من الأفضل ألا أترك نفسي للافتراضات.

قال هاري: "كان اسم الكلب برنس، أليس كذلك؟ أم كان دوك؟". لم تجبه دورو، وانهاالت عليّ بسيل من الأسئلة: "هل صحيح ما قالته صوفي - أنها رأت كلاوديا تقتل جوزيف سكوتشر؟ لا يمكنني تخيل أن كلاوديا قد تفعل مثل هذا الأمر على الإطلاق. وإن كانت تريد قتل أحد، فلن تفعل ذلك في مكان يمكن لأي شخص أن يدخل ويراه. أخبرهما يا هاري". قال هاري: "أخبرهما بماذا يا عزيزتي؟".

قالت: "إن كلاوديا بريئة! وأنه لا بد من أن صوفي كاذبة". قال هاري جاداً: "ولكنني لم أر صوفي تكذب مطلقاً. ولا أعتقد أن شقيقتي قد تقتل أحداً أيضاً"، واختتم حديثه قائلاً: "كل من الأمرين ليس من طبيعة أي منهما".

قالت دورو: "هناك أمر يبدو أن الجميع لم يلاحظوه".

قلت: "أخبرينا به".

قالت: "إن شُنت كلاوديا بسبب جريمة القتل تلك، فسيرث هاري كامل ممتلكات آثي. وأخشى أن يقع له حادث ما. فقد يصبح هدف القاتل التالي. ألا يمكنكما حقاً رؤية ما يحدث هنا؟".

فتح أودواير فمه ليحببها، ولكنه قوطع بالمزيد من الكلمات الغاضبة التي خرجت من فم دورو: "كان جوزيف سكوتشر سيصبح الوارث الوحيد، لولا أنه قُتل - بعد ساعات قليلة من تغيير آثي لوصيتها في صالحه. ثم إن الأمر الآخر الذي نسمعه هو أن كلاوديا، من بين الجميع، هي من هشمت رأسه بالهراوة. حاولت أن تتم الأمر بنفسها، هذا ما في الأمر. وإن أفلحت، من سيتبقى؟ هاري! لا شك لديّ في أن القاتل سيعثر على طريقة للتخلص منه دون أي تأخير - وما أريد معرفته هو، لماذا لا تحاولان معرفة من سيرث جميع الممتلكات إن مات كل من هاري وكلاوديا وجوزيف سكوتشر؟".

بدا هاري مذهولاً وهو يقول: "هوني عليك يا عزيزتي".

بدت دورو أكثر تماسكاً وهي تقول: "أسألاً مايكل جاذركول واحصلا على الإجابات منه. إنه لا يعجبني كثيراً، ولن أتعجب إن وجدته الوارث التالي. إن آثي تحبه كثيراً. ولا أعرف السبب، ولكن، هكذا ستمكنان من العثور على القاتل. ولن أندesh إن تبين أنه جاذركول نفسه، أو ذلك البدين أورفيل رولف. إن البدناء يشعرون بالجشع تجاه المال مثلما يشعرون بالجشع تجاه الطعام، في الغالب. لا بد أن أحد هذين المحاميين هو من ارتكب جريمة القتل، وستكونان بحاجة لإثبات هذا. لا يمكنني فعل هذا - ما الموارد التي بين يديّ لأفعل؟ وفي الوقت ذاته، يجب إثبات براءة كلاوديا. فبمجرد أن يدرك القاتل أنه لا توجد عقبة بينه وبين الثروة سوى هاري..."، دفنت دورو وجهها بين كفيها وبدأت تبكي، وأخيراً، حصلنا على بعض الراحة من الكلمات التي انهمرت من فمها كالسيل.

كان إصرارها على الحفاظ على حياة كلاوديا كضمانة لبقاء هاري على قيد الحياة يعني أنها ستصر على براءة كلاوديا سواءً كانت واثقة بذلك أو العكس. ولكن، فكرت أن نظريتها ينقصها الكثير. لست قاتلاً طموحاً، ولكن لو كنت كذلك، من المؤكد أنني كنت لأقتل هاري قبل كلاوديا، حيث إنها شديدة الحذر دوماً، في حين أمكنني تخيل أن أي شخص يمكنه الاقتراب من هاري ويقول له: "هل تمانع أن أقتلك يا صديقي؟". وسيقابله هاري بكل ترحاب.

وضع هاري يده على ذراع زوجته وقال: "ذكر ذلك الكلب برنس جعلني أفكر: ألن يكون من الرائع أن نحصل على كلب صغير يركض في الأنحاء؟ أعتقد أن هذا سيكون رائعاً". ألقى دورو بيده بعيداً.

سألتهما: "أين كنتما ليلة مقتل سكوتشر – في الفترة ما بين خروجنا من غرفة الطعام وحتى العثور على الجثة؟". قالت دورو بسخط: "كنا معك".

ذكرتها قائلاً: "ليس طوال الوقت". قال هاري: "دعني أتذكر. حسناً، أولاً، صعقتنا أمي بأخبارها، ولم يتمكن أحد من فهم ما تريد. ثم حدث بعض الهياج، كما قد تتوقعان، ثم أجهز سكوتشر علينا بطلبه الزواج من صوفي. كانت هذه مفاجأة مذهلة. لم يكن أمام الرجل سوى بضعة أشهر ليعيشها وها هو يفكر في الزواج. أعتقد أن هذا ما يفعله الحب بالناس".

قلت: "بضعة أشهر؟ لقد سمعت أنه ليس أمامه سوى بضعة أسابيع". قال هاري: "أعتقد أنك محق. من يدري ما قد يفعله المرض".

سأل أودواير: "هل يمكنك أن تصف لي ذلك الهياج يا فيكونت بلايفورد؟".

قال هاري: "حسنًا... دعني أتذكر... كان سكوتشر يبدو شديد الاستياء".
قالت دورو: "لقد كان يتظاهر بالاستياء. هل تريد أن تعرف سبب تحمله كل هذا العناء، دومًا، ليبدو كأنه يراعي سعادة الآخرين؟ لقد كانت أنايته الخالصة هي التي تدفعه لفعل ذلك. لم تتمكن آثي من اكتشاف هذا، ولكني اكتشفته".

قال هاري: "مهلا يا حبيبتي، لست واثقًا بما —".
قاطعت دورو قائلة: "ولكني اكتشفت الأمر يا هاري. وباعتبارك زوجي، يجب أن تثق برأيي في هذا الأمر. إن جوزيف سكوتشر أكثر شخص متصنع قابلية في حياتي. لقد رتب لكل ما حدث، كما ترى: بدا كأنه لا يريد شيئًا وأن الآخرين يرغبون في منحه كل شيء. لقد انطلى الأمر على آثي، كالسحر. بالطبع كان يجب أن يبدو مصدومًا ومستاءً بسبب الإعلان عن الوصية الجديدة. ماذا كان يمكنه أن يقول غير هذا؟ يا إلهي، هل هذا ما ظللت أخطئ له طوال الوقت؟... وهناك شخص آخر لا يختلف كثيرًا عن سكوتشر: مايكل جاذركول! جميع تلك الخدمات التي قدمها طوال السنوات — أنا واثقة بأن أهدافه كانت شخصية".

قال هاري بحزم: "دورو، يجب ألا تتوقعي الأسوأ من الجميع".
قالت: "ليس الجميع يا هاري. إليك بريجيت مارش كمثال، فيمكنني أن أؤمن بريجيت على حياتي دون تردد. أما هاتون، رئيس الخدم، وتلك القذرة فيليس — فإنهما مختلفان تمامًا، ولكن بريجيت، نادرة الوجود. كما أنني قلت بالفعل إن كلاوديا بريئة. ولكن لا يمكنني أن أجزم بالمثل بالنسبة لراندا ل كيمبتون. هل نعلم كم من ثروة آل كيمبتون يعود له؟ يمكنني أن أقر

بأنني قادرة على تخيل راندال يرتكب جريمة قتل من دون تردد. فقد كانت عائلتي، آل سويريدج - ملاك أراضٍ أثرياء في الماضي. هل كنتما تعلمان هذا أيها الرقيب، سيد كاتشبول؟".

هززنا رأساً نفيّاً في صمت.

قالت دورو: "لقد خسر والدي ثروته، كم كان أحقاً! كان يمكن أن يفسخ هاري خطبته لي لو كان يملك أي منطق —".

قال هاري: "يكفي هذا"، ثم قال موجّهاً حديثه لي ولأودواير: "ليس من الممكن أن يكون راندال كيمبتون هو من قتل سكوتشر. لقد كان معي أنا ودورو وكلاوديا طوال الوقت. لقد غادر غرفة الطعام معنا، وذهبنا إلى غرفة الاستقبال معاً. ولم يتركنا إلا عندما طلبته أنت يا كاتشبول ليرى ما ألم بالسيد رولف".

قالت دورو: "ولكن، من يعلم بعد أن ذهب هو وكلاوديا للنوم؟ كان يمكنه بكل سهولة أن يهبط إلى الطابق السفلي ويقتل جوزيف سكوتشر".

ابتسم هاري وهو يقول: "وكان يمكنكِ أنتِ أيضاً فعل هذا يا عزيزتي". قالها بفخر كما لو أنه تمكن من تحقيق الفوز في لعبة نمارسها معاً.

قالت دورو: "هاري، هل جُنت؟ لا يمكنك أن تعتقد أنني قد —".

قال هاري: "تحطمين رأس رجل بهراوة؟ لا، أبداً! أعني بما قلت ما كان يمكنك فعله عندما قلت إنك ستنامين، لقد خرجت من المنزل لبعض الوقت. وقد طلب مني بوارو أن أفعل. ربما هبطت إلى الطابق السفلي وقتلت سكوتشر المسكين. لا أعتقد أنك فعلت، ولكني أرى أنك تملكين الفرصة نفسها التي توافرت لـراندال".

امتقع وجه دورو وقالت: "كيف سنتحمل هذا؟ الشك في بعضنا البعض مثل... مثل..."، ثم بدأت تفرك يديها معاً كما لو كانت ترغب في إزالة الجلد

عنهما وقالت: "أتمنى لو تمكنت من التراجع عن كل كلمة قلتها! يجب ألا تعيراني اهتماماً أيها الرقيب ويا سيد كاتشبول، على الإطلاق. إن هاري محق دون شك. راندال! العزيز راندال! إنني أشعر بشعور رهيب، لقد اتهمت نصف من في المنزل على الرغم من أنني لا أعتقد أن أيًا منهم فعلها. السيد جاذركول اللطيف الحساس – لا بد من أنني جُننت لأفكر في أنه القاتل. الأمر كله أنني أشعر بخوف شديد. ولست على طبيعتي على الإطلاق. ليست لديكما فكرة عما أشعر به. إن آثي هي الليدي بلايفورد الوحيدة التي تعاملت أو فكرت في مثل هذه الأمور. أنا الليدي بلايفورد أيضًا، ولكن لا أحد يدعوني بذلك – لا، في هذا المنزل، أنا مجرد دورو. لا أطفال لدي؛ لذا فإنني لا أحصل على أي احترام أو تقدير. كان يجب أن يكون منزل ليلي أوك ملكنا، أنا وهاري. لقد رتبنا للأمر برمته لكي تتصدى لنا. لم يكن جاي ليفكر مطلقاً في فعل أمر كهذا – أن يهيننا بذلك الشكل. إن آثي تستخف بقدرات هاري – وكثيراً ما فعلت. إنها تتحمل مسؤولية موت جاي المسكين. وهذا آخر شيء سأقوله عن أي أحد – أنا طيبة القلب، كما تريان، ولا يمكنني أن أفكر بصورة سيئة فيمن ظللت أحبهم لفترة طويلة. من فضلكما، انسيا كل ما سمعتماه مني".

قال هاري: "من المستحيل الاعتقاد أن أيًا ممن يعيشون في هذا المنزل قاتل".

قال أودواير: "ولكن جوزيف سكوتشر قُتل يا فيكونت بلايفورد. ولا بد من أن أحداً قتله – شخص كان متواجداً هنا في ليلي أوك ليلة مقتله".

بدا شبح شعور ما – ربما كان الغضب أو القلق أو أي شعور آخر – على وجه هاري وهو يقول أخيراً متنهداً: "نعم، لأن سكوتشر كان حياً عندما جلسنا جميعاً معاً إلى طاولة العشاء"، ثم أوماً برأسه كما لو كان يحاول

معالجة تلك الحقيقة في ذهنه بطريقة أفضل: "ثم بعد ساعات قليلة، كان قد... حسنًا، مات".

قلت: "بالضبط، الأمر الذي يعني أن شخصًا ما من داخل المنزل قد قتله".

وافقني هاري قائلاً: "هذا صحيح. عندما ينظر المرء للأمر من هذه الزاوية، من الصعب ألا يشعر بالاستياء بسببه. علينا جميعًا أن نحصل على بعض المرح بعد انتهاء هذا الأمر"، ثم التفت إلى دورو وقال: "ماذا عن فكرة الكلب يا عزيزتي؟ كلب مثل برنس – أم كان اسمه دوك؟ منزل مثل هذا يحتاج إلى كلب، إنه يبدو خاويًا. لا أعلم لماذا لم تفكر أُمي... حسنًا، أعتقد أنها منشغلة الآن. ولكن، عندما كنت طفلًا كان هناك دومًا كلب يعدو في الأنحاء – يمكننا تكرار هذا الأمر".

الفصل ١٧

الساعة الأثرية

قضيت أنا والرفيق أودواير الساعتين التاليتين في محاولة معرفة من تكون أيريس. لم يكن بواروقد عاد بعد من باليجورتين ليوضح لنا أين علينا أن نبحث عنها: لم يكن أورفيل رولف يعرف امرأة أو فتاة تحمل هذا الاسم، وكذلك بريجيت وهاتون.

ولكن، كان حديثنا مع أقدم خادمين في منزل ليلي أوك أكثر الأحاديث فائدة بالنسبة لنا حتى تلك اللحظة. وسنحت لي فرصة الاتفاق مع الرفيق أودواير، أكثر مما فعل هو عندما قال: "أتمنى لو كنا تحدثنا مع هاتون والسيدة مارش قبل الجميع. فقد رسما لنا صورة واضحة عن التحركات التي حدثت في الليلة المشؤمة".

قلت: "لقد فعلا - بفرض أنه يمكننا الاعتماد على شهادتهما". قال: "أعتقد أن بريجيت مارش أكثر شخصية مبهرة التقيتها"، ثم ربت فوق بطنه وقال: "إن كانت كلماتها في جودة حساء لحم الضأن الذي تعده، فسأعتمد عليها تمامًا".

لم أقل شيئاً. ربما كان حساء لحم الضأن لا تشوبه شائبة، ولكن، الكلمات... لقد قالت لي بريجيت أمراً في وقت سابق من اليوم لم أتمكن من تفسيره. فعندما التقنتي في بهو المنزل، ركزت بصرها عليّ وقالت: "كنت أعلم أنني محقة - إنك تبدو مثلما توقعت تماماً"، فسألتها عما تعني، فأجابت: "إنك تبدو كرجل يشرب الماء طوال الليل"، قالتها بشراسة كما لو كانت تتهمني بقتل الأطفال أو ما يشابهه من الجرائم المريعة، ثم أشارت إلى فمها وقالت: "إن شفئك جافتان - يمكنني رؤيتهما من مكاني هذا".

كما لو أن ما قالته لم يكن مزعجاً بما يكفي، أجبرتني بعد ذلك على سماع قصة طويلة ومربكة عن ابن أخيها الذي سرق بعضاً من حلوى النعناع من وعاء كان من إرثها العائلي، وكسر الوعاء في أثناء ذلك. ثم اضطر للكذب بشأن كسر الوعاء - حيث قال إنه كان رغباً عنه - لأنه لو كان قد أقر بفعله، لكانت بريجيت ستعلم أنه سرق الحلوى - الأمر الذي كان متعمداً وشريراً.

لم أشرب قط الماء خلال الليل، ولم أتمكن من فهم ما كانت تعنيه بتشبيهها هذا، ولكن قبل أن أخبرها بأي من هذا، بدأت تسير بخطواتها الثقيلة في اتجاه المطبخ.

سألت أودواير: "ماذا عن هاتون؟ هل تصدقه أيضاً؟". كان طرح الأسئلة هو السبيل الوحيد لإخراج ما يدور في عقل أودواير. إن قلت تصريحاً، فسبوافقك عليه، ولكن ا طرح سؤالاً وسيقول رأي الشخص بكل ترحاب، كما يفعل الآن.

قال: "حسنًا، رأيي، أيها المحقق كاتشبول —".

قلت: "ادعني إدوارد من فضلك".

قال: "في رأيي يا إدوارد، لم يخبرنا رئيس الخدم بشيء قد يفيدنا في تحديد المذنب. وإن كان هو القاتل، فمن المؤكد أنه كان سيستفيد من صنع ضباب من الشكوك حول شخص آخر".

قلت: "لقد لاحظ بصورة استثنائية بعضًا من الأمور التي حدثت في تلك الليلة. أعتقد أن مهمته في المنزل هي أن يراقب ما يدور في المنزل".

بدأت في إعداد قائمة، لتفيديني بصورة شخصية، بجميع الأمور التي زعم هاتون أنه رآها في ليلة حدوث الجريمة. فقد جعلني العمل مع بوارو في لندن في وقت سابق من هذا العام أعتاد إعداد قوائم لكل شيء. وكطريقة لتصفية ذهن المرء، وجدت أنها ساعدتني كثيرًا.

الأمور التي رآها هاتون ليلة وقوع الجريمة:

١. تركت الليدي بلايفورد العشاء في منتصفه. وبدا أنها كانت متأثرة عاطفيًا بشكل كبير. ثم عادت نحو الطابق العلوي إلى غرفة نومها وأغلقت بابها وظلت في الغرفة.
٢. كان الأشخاص التالون الذين غادروا غرفة الطعام هم كلاوديا بلايفورد وراندا كيمبتون، ومن خلفهما هاري ودورو بلايفورد. وتوجه أربعتهم مباشرة نحو غرفة الاستقبال.
٣. بعد ذلك، غادر غرفة الطعام كل من مايكل جاذركول وأورفيل رولف، اللذان غادرا الغرفة أيضًا معًا. وكان الأخير يشكو من أنه لا يشعر بأنه بخير. قال جاذركول شيئًا عن أنه سيكون بخير بعد أن يرتاح قليلًا. دخل الرجلان غرفة الاستقبال لفترة وجيزة، قبل أن يغادراها ويصعدا الدرج. وذهب كل منهما إلى غرفته.

٤. ثم بعد ذلك، غادر الغرفة كل من هيركيول بوارو وإدوارد كاتشبول، وخرجا من المنزل معاً.

٥. خرج جاذركول من غرفته بعد ١٠ دقائق، وهبط إلى الطابق السفلي مرتدياً معطفه، وخرج من المنزل من بابه الخلفي.

٦. بعد حوالي ٥ دقائق من خروج جاذركول من المنزل، خرج كل من جوزيف سكوتشر وصوفي بورليه من غرفة الطعام. وبدا عدم الراحة على وجه سكوتشر بينما كانت صوفي تدفع كرسيه المتحرك نحو غرفته. وبمجرد أن هياته للنوم، ذهبت إلى غرفتها وارتدت معطفها وخرجت إلى الحديقة.

٧. بعد حوالي ١٥ دقيقة، عاد بوارو وكاتشبول إلى المنزل وتوجها إلى غرفة الاستقبال.

٨. في حوالي الساعة العاشرة إلا الثلث، ذهب هاتون لينام. بينما كانت الساعة الأثرية في ردهة المنزل تدق العاشرة، وهو موعد نومه، نظر هاتون عبر نافذة غرفته ورأى صوفي بورليه تسير في الحديقة في اتجاه المنزل.

٩. بعد عشر دقائق، بدأ الصراخ. فارتدى هاتون روبه، وغادر غرفة نومه وذهب في اتجاه الصراخ. وعندما وصل إلى ردهة المنزل، التقى مايكل جاذركول، الذي كان يدخل عبر باب المنزل الأمامي في تلك اللحظة. وتوجها معاً نحو غرفة الجلوس ليكتشفا سبب الضوضاء.

قال أودواير: "لا يمكننا أن نخرج صوفي بورليه أو مايكل جاذركول من دائرة الشكوك؛ فكل منهما كان يمكنه أن يرتكب الجرم، ثم يخرج من المنزل، ويتأكد من أن يراه الجميع وهو يعود مرة أخرى إليه".

قلت: "ماذا عن كلاوديا بلايفورد؟ إن بريجيت مارش تقسم أنها عندما كانت تعدو من سكن الخدم نحو غرفة الجلوس، رأتها على قمة الدرج مع راندال كيمبتون، خارج غرفة مكتب الليدي بلايفورد، في طريقيهما إلى الطابق السفلي مثلما فعل الجميع. إن الأمر محير".

سأل أودواير: "ما الأمر المحير؟".

قلت: "جعلني ذكر هاتون للساعة الأثرية في الردهة أفكر في الترتيب الزمني للأحداث – ولا أرى ترتيبها منطقيًا. اسمع: صوفي بورليه خارج المنزل... وتعود إلى المنزل – يراها هاتون تفعل... وفور دخولها تقريبًا، ترى كلاوديا بلايفورد تهشم رأس جوزيف سكوتشر بهراوة. وتبدأ الصراخ. وتلقي كلاوديا الهراوة وتعدو إلى الطابق العلوي نحو قمة الدرج حيث تراها بريجيت مارش وهي تهبطه. كيف يمكن أن تشق كلاوديا طريقها من غرفة الجلوس وصولًا إلى قمة الدرج من دون استخدام السلم الرئيسي؟ لا يوجد طريق آخر يؤدي إلى قمة الدرج المواجهة لغرفة مكتب الليدي بلايفورد".

قال أودواير: "هذا صحيح، لا يوجد طريق آخر".

قلت: "تذكر، لا تزال صوفي تصرخ طوال الوقت. وفي الأعلى، نفتح أنا وبقارو وجميع من في المنزل أبواب غرف نومنا ونهرع نحو هذا الدرج. أعتقد أنني كنت أول من يصل إليه – ولكني لم أر كلاوديا بلايفورد تصعد الدرج أو أي أحد آخر عند قمته. سؤالي هو: هل تمكنت كلاوديا بلايفورد من الوصول إلى غرفة نوم راندال كيمبتون، أو إلى غرفتها، في الفترة ما بين بدء الصراخ وحتى لحظة فتحي لباب غرفة أورفيل رولف والخروج منها إلى قمة الدرج؟".

قال أودواير مترقبًا: "هل يمكنها هذا؟ أنت وحدك من يمكنه الإجابة عن هذا السؤال. هل تفكر في أن هذا مستحيل، وبالتالي، فهي لم تكن في الطابق السفلي ولم تقتل السيد سكوتشر من الأساس؟".

قلت: "على الرغم من أن ذكرياتي عما حدث مشوهة... نعم. أقول إنه مستحيل. يعني هذا أنه إما أن بريجيت مخطئة بشأن رؤية كلاوديا على قمة الدرج في أثناء صراخ صوفي، أو...".

قال أودواير: "أو أن صوفي تكذب".

قلت: "ربما قتلت سكوتشر، ثم خرجت إلى الحديقة – وأخفت الملابس التي ارتدتها في أثناء ارتكاب الجريمة، والتي لا بد أنها ستكون ملطخة بالدماء – وتعمدت أن تُرى وهي تعود إلى المنزل، وتتظاهر بأنها تصرخ صرخاتها المصدومة الزائفة، مثلما قد يفعل أي إنسان بريء يكتشف جثة الإنسان الذي يحبه". مكتبة الرمحي أحمد

قال أودواير: "ماذا عن الخادمة فيليس؟ هل تعلم أنها كانت مفرمة بالسيد سكوتشر؟ تعتقد بريجيت أن فيليس هي من قتله. لقد قالت لي ذلك صراحة. ويمكنني القول إنني مقتنع بما قالت عن شغف فيليس بالقتل مثلما أنا مقتنع بروعة كمكاتها، اللذيذة للغاية. فإن أدركت فيليس أن سكوتشر يحب صوفي ولا يحبها هي، فلا شك في أنها قد تقتله، كما قالت بريجيت. كان لديها أمر آخر لتقوله: ما نوع تلك المرأة الحمقاء التي تقع في حب رجل يشارف على الموت في حين أن مقاطعة كلوناكيلتي مليئة بالرجال ضخام البنية الأقوياء؟... وهي محقة في ذلك. وما أريد أن أعرفه هو إن لم تكن فيليس متواجدة في المطبخ عندما كان من المفترض بها أن تساعد بريجيت فأين كانت إذن؟ لم يذكر السيد هاتون رؤيته لها بأية حال من الأحوال".

قلت: "دعنا نبحث عنها ونسألها".

الفصل ١٨

من دون مقابل

انتظرنا في بهو المنزل حتى أحضرها تون فيليس. وقد ذكرني مظهرها بمجالد متردد – مجبر وخائف، يُزج به في ساحة القتال. ثم تشقت فيليس وحركت قدميها وقالت: "لم أفعلها... لم أفعل قط أي شيء خطأ. لم أكن لأؤذي جوزيف مطلقاً".

قال أودواير: "لسنا هنا لنتهمك بارتكاب الجريمة يا آنسة. إننا بحاجة للحديث معك ليس أكثر".

اعترضت فيليس قائلة: "أنا بريئة... أنا، قاتلة؟ هل هذا ما أخبرتك به الطاهية؟ اسأل أي شخص يعرفني وسيقسم لك أنني لن أستطيع فعل أي شيء من هذا القبيل".

قلت: "هل يمكننا الذهاب إلى مكان أكثر خصوصية لنجلس ونتحدث؟". انتفضت فيليس كما لو أنني أعد فخاً لها وقالت: "لا. لدي عمل لأؤديه. ليس هذا ما أفعله دومًا؟ اسألني عما تريد وسأجيبك؛ فأنا أريد الانتهاء من هذا الأمر في أقرب وقت".

قلت: "هل تعرفين امرأة تُدعى أيريس؟".

نظرت فيليس حولها بطريقة عشوائية وقالت: "أيريس؟ أيريس؟ لا أعرف أحداً يُدعى أيريس. أعرف إيلين من تيبيراري، كانت – وأعرف مافيس، كانت تعمل في منزل ليلي أوك. من التي تتحدث عنها؟ من هي أيريس؟". قلت: "لا عليك".

قال أودواير: "لا داعي للذعر يا آنسة. إننا نريد أن نعرف تحركاتك في الليلة التي قُتل فيها السيد سكوتشر المسكين".

امتقع وجه فيليس، وبدأت تبكي، وسقطت على الأرض. جلس أودواير بجوارها على الأرض وقال: "هوني عليك يا آنسة. لقد كنت مغرمة بالسيد سكوتشر، أليس كذلك؟".

قالت: "لقد كان الشخص الوحيد الذي يهتم لأمرى. أتمنى لو كنت مت بدلا منه – أتمنى هذا كثيرا. أريد أن أدفن معه في قبر واحد".

قال أودواير: "مهلاً، مهلاً يا آنسة. إنك شابة جميلة، وأعتقد أن هناك الكثيرين من الرجال قد —".

ناحت فيليس قائلة: "لا تقل هذا. لا تفعل. لا تتحدث معي عن أي رجل آخر. كما لو أن صياح الطاهية في أذني ليس سيئاً بما يكفي! لقد كنت حمقاء مثلما كانت تقول لي دوماً. كان جوزيف لطيفاً معي – كان يعاملني بلطف ليس أكثر، ولكن لم يوجد في حياتي من هو ألطف منه – ولكني فسرت تعامله معي بالشكل الخطأ... كان يجب أن أعلم أنني مجرد خادمة وهو رجل متعلم. فقد كنت أريد أن أصدق أنه من الممكن أن يحبني مثلما أحببته. ثم سمعته يطلب الزواج من صوفي، و... و"، ثم انهارت باكية.

حاول أودواير أن يهدئ من روعها وظل يربت ظهرها. فخمنت أنه رجل متزوج؛ فكثيراً ما كان والدي يربت ظهر أُمي بالطريقة ذاتها.

سألت فيليس: "هل تقولين إنك سمعت سكوتشر يطلب الزواج من صوفي؟".

كانت شديدة الانزعاج لتتمكن من الإجابة عن هذا السؤال، إلا أن إيماءتها الواضحة منحنتني الإجابة.

قلت: "ولكنك لم تكوني في غرفة الطعام عندما عرض سكوتشر الزواج على صوفي يا فيليس؛ فقد كنت أنا جالساً إلى الطاولة حينذاك. لقد غادرت الغرفة قبل فترة من عرضه هذا. لذا إن لم تمانعي سؤالاً، كيف سمعت ما قيل داخل الغرفة؟".

قالت: "لقد كنت أتصت من خارج باب الغرفة، ولا شيء أكثر من هذا، وهذا لا يعني أنني قتلت أحداً. فتاة رائعة مثل صوفي – لا شك في أنه سيتزوجها دون تردد وليست فتاة على شاكلي، امرأة كادحة مثلي لا تملك أية أموال".

قال أودواير: "إن سمحت لي يا آنسة... عندما كنت تتنصتين من خارج الغرفة، هل تصادف وسمعت تغيير الليدي بلايفورد لوصيتها؟".

هزت فيليس رأسها نفياً وقالت: "لقد سمعت كل ما دار بعد ذلك، ولكني لم أسمعها تقول هذا. لم أذهب للتصت من خلف الباب إلا بعد أن سمعته يُقفل ورأيت الليدي آثي تصعد إلى الطابق العلوي. كانت تحاول ألا تبكي – وهي من أقوى الشخصيات التي أعرفها على الإطلاق".

قلت: "هل تساءلت إذن عما حدث وجعلها تترك العشاء وضيوفها؟".
قالت: "هذا صحيح. وعندما سمعتهم يتحدثون لم أصدق ما سمعت. كان جوزيف سيرث جميع أملاكها، كل ما ستركه الليدي آثي. لم يكن أحد سعيداً بشأن هذا الأمر – وكان هو أكثرهم استياءً. ما المنطق وراء ترك جميع الممتلكات إلى رجل يُحتضر؟".

وافقتها قائلاً: "لا منطق على الإطلاق".

قالت: "ثم سمعت جوزيف يطرح السؤال الذي فطر قلبي. كنت أعلم أنه مفرم بصوفي، ولكنني لم أعلم أنه كان يحبها لهذه الدرجة. كنت أعتقد أنني المفضلة لديه. فعندما كان يراني آتية من آخر الردهة، كان يقول: ها هي ذي - فيليس، نور حياتي". كانت قد خلعت مريلتها وبدأت تمسح بها عينيها. قال أودواير بجدية: "ليس جميع الرجال يتعاملون بمسئولية مع النساء مثلما يفترض بهم أن يفعلوا".

قلت: "فيليس، هل يمكنني أن أسألك عن شيء ما؟ بعدما سمعت ما دار، هل فررت مسرعة؟".

قالت: "نعم، لقد فعلت. لم أكن أرغب في أن يراني أحد وأنا أتنصت، وكان السيد كيمبتون يتحدث عن كون شخص ما يتسمع من وراء الباب، ففررت".

فسر هذا بالنسبة لي صوت البكاء الذي سمعناه، وصوت خطوات الأقدام الفارة.

قلت: "إلى أين ذهبت؟".

قالت: "إلى المطبخ، ولكن قالت الطاهية الكثير من الأمور التي لم أطق سماعها. لقد كانت توبخني على حماقتي وكانت تحاول إقناعي بالارتباط بابن أخيها دينيس. كانت هذه خططها من أجلي، ولكنني لا أحب دينيس. إن رائحة أنفاسه كريهة للغاية. لذا خرجت مسرعة من المطبخ، ومن باب المنزل الخلفي وذهبت نحو النهر. فكرت في إلقاء نفسي في النهر، وقد أفعّل ذلك ذات يوم. فلو امتلكت بعض الشجاعة، لكان هذا ما فعلت. أتمنى لو أنني فعلت".

سألته: "ماذا فعلت بدلاً من هذا؟".

قالت: "ظللت أسير على غير هدى قليلاً، ثم عدت إلى الحديقة. وجلست على العشب بجوار البركة الكبيرة متمنية أن أبتل وأصاب بنزلة برد تقتلني". قلت: "عندما كنت في الحديقة، هل سمعت رجلين يتحدثان معاً؟". قالت: "هل تعني أنت والسيد بوارو. نعم، لقد سمعتكما بوضوح". قلت براحة بالغة: "رائع. ها هو لغز آخر قد انكشف. و... هل كنت تبكين في ذلك الوقت؟".

أكدت فيليس ما قال: "وكنت أظن أنني لن أتمكن من التوقف عن البكاء أبداً".

قلت: "هل كنت بمفردك؟ فبنفس طريقة سماعك لنا، سمعناك نحن أيضاً، ثم سمعنا صوت هسهسة أو همس".

قالت: "كنت أنا أتحدث إلى نفسي قائلة: اهدئي يا فيليس، أيتها الحمقاء... ولكن هذا لم يفلح. لم يكن هناك شيء يمكنه أن يوقفني عن البكاء. سمعتكما تقولان إنكما ستأتيان للبحث عني، فعدت أدراجي إلى المنزل. وذهبت مباشرة إلى غرفتي، وأغلقت بابها ورقدت على الفراش وظللت أبكي وأبكي. وكان ذلك هو الأمر الأسوأ على الإطلاق...". التوى فم فيليس واندفعت المزيد من الدموع من عينيها وهي تقول: "كان جوزيف لا يزال على قيد الحياة حينها، وكنت مستاءة من فكرة أنه سيتزوج بأخرى، والآن... أنا على استعداد لفعل أي شيء لاستعادته ولكي تعود الأمور كما كانت، حتى إن كان هذا يعني أن يتزوج بها وليس بي".

رأيت أن ندمها حقيقي، وقلت هذا لأودواير بمجرد أن غادرتنا. لم يضيع أودواير وقتاً في الموافقة على ما قلت، حيث قال: "هل ستزيل اسمها من القائمة إذن؟".

قلت: "لا، على الإطلاق".

قال: "لا؟ أقسم أنني سمعتك منذ لحظات تقول —".
قلت: "إن المرء يندم لهذه الدرجة على أمر اقترفته يداه ولا يمكنه
الرجعة فيه — أليس كذلك؟".
وعلى الفور، شعرت بأنني قد اتهمت فيليس بالقتل، في حين أنني كنت
أحاول التملص من محوها من قائمة المتهمين في ذهني.
ثم شعرت بأنه يجب عليّ أن أقول: "أنا واثق بأن فيليس ليست القاتلة"،
رغم أنني في الحقيقة لم أكن واثقاً بأي شيء.

الفصل ١٩

امراتان تدعيان أيريس

بعد مرور ساعة من الوقت، وبعدما لم أتمكن من العثور على كلاوديا بلايفورد في المنزل أو في الحدائق المحيطة به، صعدت إلى أعلى نقطة تمكنت من العثور عليها في الأراضي المحيطة بمنزل ليلي أوك، والتي كانت أكثر منطقة مكشوفة بها أيضاً. على هذا الارتفاع، كانت الرياح تضرب بشرتي كشيء صلب ومؤلم. ولسبب ما، وجدت نفسي أفكر مرة أخرى في ادعاء فيليس بأن راندال كيمبتون كان يحاكي أسلوب تعامل سكوتشر. فقد كنت متحيراً بين استنتاج أن تلك المحاكاة كانت ظاهرة للعيان لدرجة أن فيليس لاحظتها، وقد لاحظتها بالفعل، والتفكير في أن كيمبتون إن حاول محاكاة أسلوب أي شخص، فمن المؤكد أنه سيفعله بطريقة ناجحة.

في واقع الأمر، لم يكن كيمبتون وسكوتشر متشابهين بأية حال من الأحوال، بل على العكس، كانا متناقضين تماماً. كانت السمة المميزة لسكوتشر، من وجهة نظري، أنه كان يحاول جاهداً أن يجعل الآخرين

يشعرون بشعور أفضل حيال أنفسهم وحيال الحياة بوجه عام، في حين كان كيمبتون يسعى دومًا لأن يجعل نفسه يشعر بشعور أفضل وأن يبدو أكثر تفوقًا. لا أعلم كم من الوقت ظللت واقفًا في مكاني أفكر، ولكنني سمعت خلال وقوفي صوتًا من خلفي: صوت كلاوديا تسألني: "هل كنت تبحث عني؟". قفزت من مكاني جفلاً وقلت: "أوه". كيف وصلت إلى هنا من دون أن أراها؟ هل كانت في هذا المكان قبل وصولي إليه؟ قلت: "نعم، كنت أنا والرقيب أودواير نرغب في التحدث إليك".

قالت: "لماذا تختبئ هنا إذن حيث تحاول الرياح أن تقتلعك من مكانك؟ إنني أفترض أنك ترغب في معرفة إذا ما كانت صوفي بورليه تقول الحقيقة فيما يتعلق بما تقول إنها رأيتني فعلته. ربما سمعت بالفعل ما أخبرت به الآخرين، ولكنك ترغب في طرح الأسئلة بنفسك، ومراقبة تعبيرات وجهي بينما تفعل". قلت: "نعم".

ابتسمت كلاوديا... وبدا كأنها تستمتع برؤيتي أتحرق شوقًا لمعرفة إجابتها، وقالت: "صوفي لا تقول الحقيقة. إنها كاذبة – إلا إن كان هناك شخص آخر ارتدى ملابس سي وشعرًا مستعارًا، ولم يمكّنها من رؤية وجهه، ورأت صوفي هذا الشخص يهاجم جوزيف وافترضت أنه أنا. هل فكرت في هذا الاحتمال؟".

قلت: "لا، هل كان جوزيف سكوتشر يعجبك يا آنسة بلايفورد؟". فضحكت قائلة: "يعجبني؟ مطلقًا. ولكنني كنت في الواقع، أستمع بوجوده. لقد كنت أرى أن وجوده في منزل ليلي أوك كان مسليًا للغاية. كان المكان سيصبح أكثر مللاً لولاه". قلت: "هل تعنين أنه كان راوي قصص موهوبًا؟".

قالت: "كانت لديه طريقة مميزة في الحديث – ولكن، لا، بل أعني أن الجميع كانوا يحبونه، وكان الأمر غريباً لمراقبته. لقد وقعت فيليبس في حبه كما لو كانت مخلوقة لا حول لها ولا قوة، وكانت صوفي تفقد وعيها من فرط الرغبة كلما نظر نحوها. ثم أمي، بالطبع. كان من المذهل مراقبة كيفية فعل جوزيف لذلك، كيف تمكن من وضعهم جميعهم في أصبعه وجعلهم يقيمون في حبه على الرغم من عدم شعوره بأي شيء تجاه أي منهم. كان يحب فكرة أن الجميع واقعون في حب جوزيف سكوتشر أكثر من حبه للناس أنفسهم".

قلت: "لقد عددت والدتك من بين المعجبين بسكوتشر. لا شك في أنك تعين أنها كانت تحبه كوالدته".

قالت: "يا إلهي، ليس أنت أيضاً. عليك ألا تعير اهتماماً لدورو أو نظرية بديل الابن الميت السخيفة تلك. كل شيء يتعلق بالأطفال من وجهة نظر دورو أنها لم تتمكن من إنجاب أي منهم. إن سمعت ما تقول، ستبدو البيضة المسلوقة كطفل بالنسبة لها. ربما كانت أمي امرأة عجوزاً، ولكنها لا تزال تمتلك رونقاً. لقد كانت تحب جوزيف مثلما كانت تحبه فيليبس وصوفي. ولكنها تفضل الموت على الاعتراف بذلك. كانت تعلم أن المشاعر التي يجب أن تكنها له يجب ألا تتعدى مشاعر أم لولدها؛ لذا تظاهرت بذلك. ليس مراعاة للتقاليد – إن أمي تحب أن تكون غير تقليدية – بل لتجنب انتقادها والسخرية منها. إنها امرأة ذات كبرياء كبير"، ثم ركزت كلاوديا بصرها علي وقالت: "أرى أنك لست مقتنعاً بما أقول".

قلت: "حسناً...".

قالت: "أنت تعلم أنني لا أحبها بنفس قدر حب أية ابنه لوالدتها، وقد تتساءل عما إذا كنت قاسية أم لا. وأنت على حق لأنني كنت سأفعل المثل لو

كنت مكانك. ولكني أؤكد لك أن هذا تقييمي الموضوعي للحقائق. سأكون أكثر قسوة على والدتي فيما سأقوله تاليًا، ربما – وأنا أستمع بذلك، وهي تستحق هذا تمامًا – ولكني أحاول مساعدتك الآن على الفهم. لقد كانت والدتي مغرمة بجوزيف. لماذا في اعتقادك غيرت من وصيتها لتترك له جميع ممتلكاتها؟ سرعان ما كان سيموت بسبب الفشل الكلوي".

قلت: "لم يتقبل سكوتشر خبر الوصية الجديدة بشكل جيد، لقد انزعج كثيرًا".

أصدرت كلاوديا صوتًا ينم عن نفاد الصبر وقالت: "لقد تظاهر بذلك، ولكن كان كل ما فعله: مجرد تمثيلية. ماذا كنت تتوقع منه أن يفعل: أن يقفز ويصبح طربًا ويقول: "مرحى، سأصبح فاحش الثراء".

قلت: "لم يكن ليصبح ثريًا إلا إن توفت الليدي بلايفورد قبله، وحتى إن ماتت قبله، فإنه لن يظل ثريًا إلا لبضعة أسابيع أو أشهر فقط".

ضحكت كلاوديا وقالت: "أيهما – أسابيع أم أشهر؟ أعتقد أنك خبير في مرض الفشل الكلوي، أليس كذلك؟".

قلت: "لا، على الإطلاق".

قالت: "حسنًا، إذن".

قلت: "لقد كان انزعاج سكوتشر الذي تقولين إنه مجرد تظاهر مقنع بالنسبة لي مثل جميع حالات الانزعاج الحقيقية التي رأيته".

قالت: "بالطبع كان كذلك. ولهذا السبب أشعر بالأسف على عدم وجوده، لقد كان مبهرًا".

قلت: "هل تعنين أنه كان دائم الكذب؟".

قالت: "لا – هذا أمر عادي بالنسبة له؛ فالجميع دائمو الكذب. انظر –

لقد وصل السيد بوارو".

نظرت نحو الأسفل من بين أغصان الأشجار المتشابكة لأرى مدخل حديقة ليلي أوك. وكانت كلاوديا محقة: لقد عاد بوارو والمحقق كونري وصوفي بورليه من باليجورتين".

تابعت كلاوديا حديثها قائلة: "لقد كان جوزيف رائعاً... كان يلقي بسحر فتنته عبر بضع كلمات. ولو كان هنا الآن، لأمكنه أن يقنعك في ظرف خمس دقائق بأنك لست شرطياً من سكوتلاند يارد، بل مدرب أسود هاربياً من سيرك متجول. ولم يستغرق الأمر كثيراً حتى تقع أمني في حبه. إنها أيضاً شخص يهوى الكلمات كما تعرف. حتى التقت جوزيف - لم تكن قد التقت بأحد بارع في استخدام الكلمات مثلها".

سألتها: "هل تعرفين امرأة تدعى أيريس؟".

قالت على الفور: "أيريس جيلو، أم أيريس مورفيت؟".

طرفت عيناها بضع مرات قبل أن أقول: "هل تعرفين امرأتين تدعيان أيريس؟ لم يعرف أي من الآخرين أية أيريس".

قالت: "إنك لم تسأل راندال إذن؟".

قلت: "لا ليس بعد".

قالت: "فهمت. أيريس مورفيت وأيريس جيلو هما الشخص نفسه. كانتا الشخص نفسه بالأصح. لقد ماتت. يمكن لراندال أن يخبرك بكل شيء عنها. ويمكنني أن أخبرك بنفسه، ولكنها قصته هو؛ وعليك أن تسمعها منه. انظر، ها هو قادم هناك". أشارت نبرة الفرح في صوتها إلى أن هناك منقذاً قد أتى لينقذها مني. وكان كيمبتون لا يزال بعيداً عنا؛ إلا أن مجرد رؤيته من بعيد جعلت كلاوديا تطرب جذلاً.

نظرت لي بشك وقالت: "ما الذي تعتقده بشأنني؟ ربما تجد صعوبة في تصديق أنني أحب راندال مثلما أبدو في الحقيقة، في حين أنني أعامل جميع الآخرين باحتقار وازدراء".

قلت: "لا شك لدي في أنك مغرمة به بالطريقة التي تعينها. وبدو جلياً أنك تحببته كثيراً. أفترض أن...".

أمالت كلاوديا رأسها وارسم شبح ابتسامة على وجهها وقالت: "هل هناك ما ترغب في سؤالي عنه؟".

قلت: "عندما التقيتك للمرة الأولى، قلت إن الطبيب كيمبتون قد فاز بقلبك مرتين".

قالت: "نعم، ولا يزال من الصعب الفوز بقلبي".

قلت: "أنا واثق بهذا".

قالت: "لقد استغرق الأمر منه سنوات في المرة الأولى. كنت أعلم أنني سأقبله في النهاية – لقد أغرمت به من لقائنا الأول – ولكنني خشيت إن وقعت في حبه بسرعة، أن يتوقف عن محاولة التقرب مني. وأن يحاول راندال – رجل في ذكائه واعتداده بنفسه – أن يفوز بقلبي... حسناً، لا شيء أكثر إرضاءً من رؤيته يبذل قصارى جهده في محاولة الفوز بقلبي".

اختفت ابتسامتها، وظهر مكانها تعبير أكثر جموداً وهي تقول: "ولكن، كان يجب علي أن أجعله ينجح في مسعاه، وقد فعلت. ثم، منذ حوالي خمس أو ست سنوات مضت – تغير تعامله معي فجأة. وبدا كأنه قد فقد ثقته بنفسه – كان الأمر بشعاً إن الثقة هي الطبيعة التي يعيشها رجل مثل راندال. إنها جوهر شخصيته، ولم أكن أريده من دونها – لم يعد على طبيعته معي – لذا طلبت منه عودتها".

قلت: "وماذا حدث؟".

قالت: "لقد اعترف لي بعدم ثقته بحقيقة رغبته في الزواج بي - مجرد شكوك راودته". ثم لوحت بخاتمها الألماسي أمام وجهي وهي تقول: "خلعت هذا الخاتم وألقيته في وجهه. وبالطبع، قلت له إنني لا أريد رؤيته مرة أخرى أبدًا ما دمت على قيد الحياة. ولكن، في اليوم التالي، كان يقف تحت نافذتي، ولكن ليس هنا في ليلي أوك، فقد كنت أعيش في أوكسفورد حينها. كنت واحدة من أوليات النساء اللاتي سيتخرجن في الجامعة هناك - لا أعتقد أن أحدًا قد أخبرك بهذا، أليس كذلك؟ لا أحد يهتم بإنجازاتي سواي. عدت إلى هنا لكي أبتعد عن راندال - الذي كان نادمًا وآسفًا بدرجة كبيرة على الشكوك التي راودته... فكرت في نفسي حينها: حسنًا. سأجعلك تدم على هذا مائة ضعف ما قد تشعر به الآن... كان هذا عندما عدت إلى ليلي أوك. ولكن هذا لم يثن راندال. فكثيرًا ما كنت أجده في غرفة الاستقبال في المنزل يبكي ويرجوني أن أسامحه، ملوحًا بخاتمته الألماسي على أمل أن يجعلني أراجع".

حدقت كلاوديا إلى خاتمها وقالت: "كان الأمر مثيرًا للشفقة. نعم كان مثيرًا للشفقة، وقد أخبرته بذلك. لقد كنت أعامله بقسوة، الأمر الذي جعله يغضب ويصر على أنني سأذبل وأنتهي من دون حبه. وقال إنه عليّ اختياره هو أو لا أحد على الإطلاق؛ لأنه سيقتل أي رجل آخر قد أختاره. لقد أحببته أكثر عندما توقف عن البكاء والرجاء وبدأ يضع قواعده الخاصة. وأصر على أنني سأتزوج به سواء رغبت أم لم أرغب. وشعرت بأنني أرغب في الزواج منه بالفعل، في واقع الأمر. إن راندال يكون رائعًا عندما يكون صارمًا، وكان في ذلك الوقت أكثر صرامة من أي وقت آخر".

لم تبتد القسوة المتبادلة التي كانت تقصها عليّ حبًا بالنسبة لي على الإطلاق، ولكنني كنت حكيماً بما يكفي لأقول: "لذا، سامحته وعدت للارتباط به للمرة الثانية؟".

قالت: "بعد سنوات من المعاناة بسبب ما فعل، نعم. ولا يزال يعاني حتى الآن، يومياً. لم أحدد بعد موعد الزفاف، وربما لن أفعل أبداً. إن المرء قد لا يكون بحاجة لهذا على الإطلاق"، ضحكت كلاوديا عندما رأت الدهول بادياً على وجهي، ويبدو أنني لم أتمكن من إخفائه جيداً.

من دون مراعاة لتقبلي ما تقول من عدمه، واصلت كلاوديا حديثها قائلة: "يمكن للمرء أن يعبت ويظل واقعاً في الحب في آن واحد من دون أن يخشى أن الحب قد يتأثر بالسلب. كما أنه لا يمكنني الزواج من راندال حتى نقرر أين سنعيش. أعني، أين سنعيش في الغالب - سيكون لدينا أكثر من منزل بالطبع. إن راندال لا يطيق صبراً على أن يخرج من أوكسفورد، ويؤكد أنه سيعثر على وظيفة جديدة في مقاطعة كورك ويعيش معي هنا في ليلي أوك، ولكني أفضل العيش في أوكسفورد. ففي أوكسفورد، هناك أمور أخرى لفعلها غير التحديق إلى الأشجار والأغنام. أو ربما نجرب العيش في لندن - سيكون هذا مثيراً. هل ستستمتع بالعيش في لندن يا حبيبي؟ ها أنت ذا قد وصلت أخيراً".

سار كيمبتون نحونا وقال: "مرحباً يا حبيبتي. أتمنى لو تمكنت من إبطاء الوقت وقضاء اليوم بأكمله في تغطية وجهك الجميل بالقبلات، ولكن لا يمكنني هذا. كاتشبول، أسرع - هناك من أرسلني في طلبك". سألته، فقد بدا من نبرة صوته أن هناك أمراً مهماً: "من أرسلك في طلبي؟".

قال: "أنا، ولكنني أفترض أن من أرسلني في الأساس هو جوزيف سكوتشر. إن بوارو وكونري وأودواير في انتظارنا في غرفة الجلوس - أو سيفعلون بعد قليل، عندما نصل إلى هناك".

قلت: "غرفة الجلوس؟".

استدار كيمبتون وهو يقول: "نعم". أسرعت خلفه في اتجاه المنزل. قال من دون أن ينظر نحوي: "اعتبر نفسك محظوظًا لأنك دُعيت. لقد بذل ذلك المفرور كونري كل ما بوسعه من أجل إقناعي بأنه يجب إخراجك وبوارو من الأمر برمته والتحدث معه ومع تابعه الأحمق فحسب. ولكني قلت له: إن كان يرغب في سماع ما عليّ قوله، فيجب ألا يمنعك أنت أو بوارو من سماعه أيضًا. إن كنت سأؤدي دوري، فسأرغب في وجود رجلين ذكيين على الأقل بين الجمهور".

قلت: "تؤدي دورك؟ كيمبتون، ما الأمر؟". قال: "ما الأمر؟ مقتل جوزيف سكوتشر بالطبع. إنكم مخطئون في كل ما فعلتموه حتى الآن – أنتم المنوط بكم كشف غموض الجرائم. مخطئون تمامًا – وسأثبت هذا لكم".

الفصل ٢٠

سبب الوفاة

كانت جثة سكوتشر قد أزيلت من غرفة الجلوس. وافترضت أنها قد حُملت إلى أقرب مشرحة، على الرغم من أن كل ما أخبرنا كونري به هو أن الجثة قد "أزيلت". وبسبب إجبار كيمبتون له لكي ننضم أنا وبوارو لهم في هذا التجمع الصغير، كان ينتقم منا عبر إخفاء أكبر قدر ممكن من المعلومات عنا - كما لو كان قد أصبح قريناً لرئيس الخدم هاتون.

على الرغم من إزالة جثة سكوتشر، فإن كرسيه المتحرك ظل في مكانه مهجوراً بسبب غياب صاحبه. وكان هناك أثر لبقعة دماء على السجادة الشرقية تشير إلى مكان رأسه أو ما تبقى منها بالأصح.

جلس بوارو والمحقق كونري والرقيب أودواير على المقاعد البعيدة عن بقعة الدم، مترقبين كما لو كنا جمهوراً متوتراً ينتظر بداية العرض.

قال كونري لحظة دخول كيمبتون الغرفة: "أنا واثق بما يدور حوله هذا الاجتماع. وأعطيك إذني بأن تثير الموضوع أيها الطبيب كيمبتون. بوارو، كاتشبول، أمل أن أتمكن من الثقة بأنكما ستحريان السرية".

خطا كيمبتون من فوق بقعة الدم مباشرة وتوجه نحو كرسي سكوتشر المتحرك ووضع يده عليه وغغم قائلاً: "هنا أجلس وأسفي. ها هو عرشي، هنا حيث يأتي الملوك لينحنوا أمامه".

سأله بوارو: "هل هذا اقتباس من مسرحية الملك جون لشكسبير؟". قال كيمبتون: "في موقف مثل هذا يا صديقي، لن يمكنني الاقتباس من أي عمل درامي آخر".

قال بوارو: "هل ترى كرسي سكوتشر على أنه عرش؟". قال كيمبتون: "ليس بالضبط. لا تكن محدود الخيال"، ولمعت عينا كيمبتون ليؤكد سخريته: "لا شك في أنني أفضل من يمكنه التحدث". أصر بوارو قائلاً: "ولكنك كنت تنظر إلى جوزيف سكوتشر على أنه ملك — ملك ليلي أوك، أليس كذلك؟".

ظهر شبح ابتسامة على وجه كيمبتون، وقال: "وريث مملكة آثي... نعم. الملك المنتظر؛ أحب وقع هذه الكلمات. ربما كنت محقاً يا بوارو. جريمة قتل الملك، ولكن، لن تكتب أية صحيفة عن هذا".

قال بوارو بصوت عالٍ ساخرًا: "إنني أتساءل، هل كنت من أتباع الملك جوزيف المخلصين؟".

قال كيمبتون: "تساءل كما يحلو لك أيها العجوز. استمتع بالاعبيك النفسية. ما الضرر الذي قد تسببه؟ ولكني جمعتكم جميعاً اليوم لأتحدث عن أمر أكثر واقعية".

قال المحقق كونري أمراً: "فلتدخل في صلب الموضوع". قال كيمبتون: "سأفعل. بقعة الدم — انظروا إليها... هل تجعلكم تفكرون في شيء ما؟".

قال أودواير: "حسنًا، يمكنك أن تتهمني بأني خائف منها إن كنت ترغب، ولكنني أعلم أنها لن تخرج من السجادة. سيكون على الليدي بلايفورد أن تستبدل بها واحدة جديدة".

صاح به كونري: "أصمت يا أودواير".

قال الرقيب في خنوع: "نعم"، كما لو أن الصمت هو النشاط التالي الذي كان سيقدم عليه، وكثيرًا ما كان كذلك.

قال كيمبتون وهو ينقل بصره ما بيني وبين بوارو: "هل هناك شيء آخر؟ هل أخبركم به؟ حسنًا إذن. أنا على يقين من أن كمية الدم لا تكفي لتصف جريمة القتل التي ارتكبت بتلك الطريقة الرهيبة. لقد سألت نفسي عن هذه النقطة بمجرد أن رأيت جثة سكوتشر ترقد هنا. ولكنني لم أتأكد إلا بعد إزالة جثته من المكان".

قال بوارو: "تأكد من ماذا؟".

قال كيمبتون: "إن سكوتشر لم يمت بتأثير تهشيم رأسه بالهراوة. نعم، هناك من هشم رأسه بالهراوة بالفعل، ولكن ليس هذا ما قتله، بل كان ميتًا عندما حدث هذا".

قال أودواير بهدوء: "حسنًا، لم أفكر مطلقًا في هذا".

قال كيمبتون: "إن كان عليّ أن أخمن، سأقول إنه كان قد قُتل قبل ساعة من تهشيم رأسه بالهراوة. أيها الرقيب أودواير، هل قال طبيب الشرطة أي شيء مشابه لما أقول؟ لقد رأيتك تتحدث معه. صراحة، لا يمكنني أن أصدق أي رجل من رجال الطب قد يفوته أمر جلي مثل هذا".

نفخ المحقق كونري: "ليس من اللائق بالطبيب كلاودر أن يفصح عن أية نتائج قبل إجراء التشريح". وكان مزاجه يزداد سوءًا بسرعة في ظل محاولة إمساك كيمبتون بزمام الأمور، وبدا هذا جليًا وهو يقول: "لقد منعته

من التخمين. سيكون هناك تحقيق، وحيث إننا لسنا قادرين على توقع الحكم، فسيكون من غير اللائق أن يحاول أي منا التخمين".

قهقهه كيمبتون ساخراً من إعلان المحقق الهزلي قائلاً: "من غير اللائق؟ هذا هراء - إلا إن كنت تعترض سير تحقیقاتك أيها المحقق".

دار كيمبتون حول الكرسي المتحرك ووقف مواجهًا بوارو وقال: "لو كان سكوتشر قُتل بضربات الهراوة، لكانت هناك ضعف كمية الدماء التي نراها هنا على السجادة".

سأله أودواير: "هل تعني أنه مات بسبب مرضه، ولم يعلم قاتله أنه كان قد مات بالفعل؟ والآن، إن سمحت لي - سأكون أول من يؤكد أن تلك الحالات أكثر شيوعاً مما يعتقد الناس، ولكن بعد أن قلت ذلك -".

قاطعه كيمبتون في نفاذ صبر قائلاً: "لا أعتقد أن سكوتشر مات بسبب المرض. بوارو، ما الذي تتذكره من مسرح الجريمة الذي رأيناه ليلة وقوعها؟ لقد هبطنا الدرج عدوًا ليفاجئنا هذا المشهد المريع. لقد تحطم رأس سكوتشر بسبب ضربات الهراوة. ولم يبق الكثير منها، ولكنه لم يتحطم بالكامل، إن كنت تتذكر".

قلت: "كان الجزء السفلي من الوجه سليمًا لم يُمس، وكان فمه ملتويًا مشيرًا إلى أنه كان يعاني ألماً رهيباً".

قال كيمبتون: "إليك العلامة الكاملة يا كاتشبول. يسعدني أنك ذكرت التواء الفم".

قال بوارو هامسًا: "يا إلهي، لقد كنت أحق - شديد الحماسة".

قال كيمبتون: "إليك تخميني أيها السادة. إنه يقوم على ملاحظات معينة أخذتها بنفسني عندما كنت أدرس الباثولوجيا. لقد أجريت الكثير من عمليات التشريح لحالات تشبه هذه الحالة في أسباب وفاتها، لصالح الشرطة.

وفي واحدة من تلك الحالات - جريمة قتل - كان سبب الوفاة هو السم.
سم الإستركنين".

انتفض المحقق كونري واقفاً على قدميه، وقد أحمر وجهه كالجمر وهو يقول: "يجب أن نوقف هذه المهزلة على الفور. أنا المسئول عن —".
قال بوارو متجاهلاً كونري تماماً: "إن ضحية سم الإستركنين يموت وقد ارتسمت تلك الابتسامة المقيتة على وجهه، ولكنني لم أفكر في هذا. يا لي من أحمق!".

قال كيمبتون: "بالطبع. إن عضلات الوجه تتقلص. وهذا ما يسبب شكل الابتسامة أو الالتواء هذا. ويُقال إنه في حالات الموت بالإستركنين، ينحني الظهر بدرجة مفرطة لدرجة أن الرأس والقدمين يكونان على مستوى واحد على الأرض. إنها مبالغة، ولكنها لا تخلو من حقيقة".

قال بوارو: "كان وضع جثة سكوتشر غير طبيعي بالمرة. كلا المرضين كانا متوافرين: الظهر المنحني والابتسامة. أنا خجل من عدم ملاحظتي ما حدث على الفور".

قال كيمبتون: "لم أفكر فيه أنا أيضاً، مع أنني طبيب. ولكن، عندما أزيلت الجثة، وتمكنت من رؤية كمية الدم المتبقية، أصبحت واثقاً بفكرتي".

قال كونري: "هيا يا أودواير. لن نكون، أنا وأنت، جزءاً من هذه المسرحية الهزلية"، قالها وخرج من الغرفة، بعدما ضغط بأسفل ذقنه على قمة صدره. هز أودواير كتفيه في عجز قبل أن يتبعه.

صاح بهما كيمبتون قائلاً: "افحصا جميع السوائل التي تجدانها في غرفة نوم سكوتشر". ثم قال مخاطباً إياي وبوارو: "يا لهما من شخصين بغضين. ربما يقطع الرقيب أودواير رأس ذلك الرجل بفأس، هل تعتقدان أنه قد يفعلها؟ أنا أمل هذا. فلنعد للحديث عن سكوتشر، بعدما أصبح

بإمكاننا الحديث بحرية. سيخبرنا تشريح الجثة بأنه قد مات بتأثير جرعة من سم الإستركنين، ولكن، ما لن يخبرنا به هو سبب ضرب شخص ما له على رأسه بهراوة بعد موته. يا لها من مضيعة للوقت وهدر لكل هذه الطاقة في محاولة لقتل شخص ميت بالفعل. هل لديك أية نظريات بشأن هذا الأمر يا بوارو؟ لدي واحدة إن رغبت في سماعها".

قال بوارو: "يسعدني سماعها يا سيدي".

ابتسم كيمبتون وقال: "عدني بالأ تعاليني إن تبين خطئي".

قال بوارو: "حتى بوارو نفسه، في حالات نادرة، يخطئ".

توجه كيمبتون نحو النافذة ونظر خارجها وقال: "أعتقد أن القاتل الذي استخدم الهراوة هو صوفي بورليه؛ وهذا يفسر رغبتها في اتهام كلاوديا. ربما اعتقدت أنها قد تتمكن من خداع طبيب الشرطة، وربما اعتقدت خطأ أنه سيرى تلك الفوضى المكونة من الدم وأجزاء من المخ، ويستنتج أن سبب الجريمة واضح، وأنه لا حاجة لإجراء أي تشريح. يا لها من حمقاء! كمبرضة تمتلك بعضاً من المعرفة الطبية، كان يجب أن تعلم أنه يجب عليها ألا تترك الجزء السفلي من وجه سكوتشر سليماً. إن الابتسامة الناتجة عن التسمم بالإستركنين ظاهرة معروفة".

سألته: "لماذا قد ترغب في تضليلنا عن سبب الوفاة الحقيقي؟".

بدأ كيمبتون إجابته بزفرة، كما لو كان سؤالي غيباً وأن إجابته واضحة وضوح الشمس: "لأن... كان من المعروف أن صوفي هي المسؤولة عن جميع أدوية سكوتشر وعقاقيره وأي شيء يتناوله. وإن كانت ترغب في قتله، فسيكون من السهل بالنسبة لها أن تضع شيئاً ما في إحدى زجاجات الدواء. وإن مات، وكان سبب الوفاة واضحاً أنه تسمم، فسيطراً اسم صوفي كأول اسم في دائرة المشتبه فيهم. لقد توافرت لها الفرصة عدة مرات كل يوم".

قال بوارو: "إن كنت محمًا، فقد فعلت صوفي بورليه أمرين لتبعد الشبهة عنها. أولاً، حطمت رأس سكوتشر بالهراوة بعدما سممته، لكي تضلل العملية التي قد ترجح أنها القاتلة. وثانيًا، راعت أن تتظاهر بأنها رأت الآنسة كلاوديا تضرب سكوتشر بالهراوة".

قال كيمبتون: "هذا صحيح".

قال بوارو: "تدعي صوفي أنها سمعت ورأت أمورًا معينة".

قال كيمبتون: "سمعت؟".

قال بوارو: "نعم. سمعت حوارًا دار بين الآنسة كلاوديا والسيد سكوتشر، مباشرة قبل أن تضربه بالهراوة".

زفر كيمبتون زفرة طويلة وقال: "وستكون هذه كذبة أخرى لأن سكوتشر كان ميتًا عندما ضُرب بالهراوة. أكمل يا بوارو".

قال بوارو: "إن صوفي تقسم أنها سمعت السيد سكوتشر يرجو كلاوديا ألا تقتله، وردت عليه كلاوديا قائلة: هذا ما كان يجب على أيريس أن تفعله".

التفت كيمبتون ليواجهها وقال: "أيريس؟ أيريس جيلو؟".

كان هذا الاسم نفسه الذي أخبرتي به كلاوديا بلايفورد. من تكون تلك المرأة؟

قال بوارو: "لا أعرف أية أيريس، وأخبرتني صوفي بورليه بأنها لا تعرف أيضًا".

سأل كيمبتون: "ماذا سمعت أيضًا؟".

قال بوارو: "إنها لا تذكر الكلمات التي قيلت بالضبط: هذا ما كان على أيريس أن تفعله... ثم: ولكنها كانت ضعيفة وتركتك تعيش؛ لذا قتلتها... أو شيء من هذا القبيل. هل تعني تلك الكلمات شيئًا بالنسبة لك أيها الطبيب كيمبتون؟ من تكون أيريس جيلو؟".

جلس كيمبتون على أحد المقاعد ودفن رأسه بين كفيه وقال: "سأخبركما، ولكن... من فضلكما. امنحاني لحظات لأجمع شتات أفكاري"، ثم غمغم قائلاً: "أيريس. بعد كل تلك السنوات... ولكن، هذا مستحيل". بدا في تلك اللحظة، وللمرة الأولى منذ التقيته، مهزوزاً ومرتبكاً. وقال: "لقد كانت كلاوديا معي في الطابق العلوي، وأياً ما كان الذي سمعته صوفي بورليه يتحدث عن أيريس، لا يمكن أن تكون هي. لا بد من أنه شخص آخر".

داعب بوارو شاربه بسبابة وإبهام يده اليمنى وقال: "أنت لا تعتقد إذن أن صوفي كذبت بشأن الكلمات التي سمعتها؟ إن كانت هي من وضعت السم المميت وكذبت بشأن رؤية كلاوديا تقتل جوزيف سكوتشر، فلا بد من أنها تكذب بشأن تلك الكلمات أيضاً، أليس كذلك؟".

قال كيمبتون متجهماً: "إن الكلمات التي تزعم صوفي أنها سمعتها تحمل بعض الحقائق"، ثم حاول تجميع أفكاره وهو يقول: "ولكن هذا لا يعني شيئاً بالطبع. إن أبرع الأكاذيب تبدو حقيقة دوماً".

انتظرت لفترة أن أثير موضوعاً كان يؤرقه. وبدت تلك اللحظة هي اللحظة المثالية لإثارته، فقلت: "أيها الطبيب كيمبتون، إن كانت شكوكك حول صوفي بورليه صحيحة، ألن يكون تهوُّراً منها أن تترك الجزء السفلي من وجهه سكوتشر سليماً؟".

فقال: "ربما كانت ترغب في محو الابتسامة الناتجة عن سم الإستركنين، إلا أن أمراً ما منعها من ذلك. ماذا لو أنها سمعت صوت خطوات أقدام تقترب واكتشفت أنها لا تمتلك الوقت الكافي لتكمل المشهد كما كانت تأمل؟".

وافق بوارو على ما قال، ثم قال: "هذا محتمل. تكمن المشكلة في أن كل شيء محتمل. أيها الطبيب كيمبتون، إن كنت تعتقد أن صوفي بورليه قتلت جوزيف سكوتشر، فأخبرني من فضلك: ما دافعها؟".

زمجر كيمبتون، كما لو أن تلك المحادثة لا تستحق أن ينخرط فيها وقال: "الدافع؟".

قال بوارو: "نعم، الدافع. لقد طلب سكوتشر الزواج بها في تلك الليلة نفسها. لماذا قد تقتل الرجل الذي تحبه، أو كانت تحبه، أيًا ما كان، والذي سيموت بسبب مرضه؟".

قال كيمبتون: "لا أعلم، ولا أكثرث لهذا كثيرًا. اجعلها تعترف ثم اسألها عن السبب. الدافع! إنك ما زلت تصر على ذلك الهراء الخيالي بأن البشر قد خلُقوا ليكونوا منطقيين يا بوارو".

قال بوارو: "بالفعل يا سيدي".

قال كيمبتون: "لا يوجد منطق في الأمر، ولا يوجد ترابط بين الأمور، وأنا مثال حي لذلك: لقد اتهمت صوفي بورليه بالكذب على الرغم من أنني مقتنع، ومن دون سبب وجيه، بأنها سمعت الكلمات التي تزعم أنها سمعتها عن أيريس. ورغم أنني رجل أكثر عقلانية من غالبية الناس، أؤكد لك هذا".

سألته: "من تكون أيريس جيلو؟".

زم كيمبتون شفثيه وقال: "أود كثيرًا أن أخبرك بها. وقلت لك إنني سأفعل — ولكن بعد انتهاء التحقيق مباشرة".

سأله بوارو: "ولماذا ليس الآن؟".

قال كيمبتون: "من الأسهل أن تنتظر". ثم نهض ليفادر غرفة الجلوس، ولكنه توقف بجوار الباب وقال: "جهز نفسك كما لمفاجأة أيها السيدان... مفاجأة صاعقة".

سألته: "هل تعني مفاجأة اكتشاف أن سبب الوفاة الحقيقي هو السم؟".
قال كيمبتون: "لا، مفاجأة أخرى. ولن أفصح عن المزيد؛ لأنني قد أكون
مخطئاً، ولكنني لا أعتقد أنني مخطئ"، قالها راندال كيمبتون ثم غادر الغرفة.

الفصل ٢١

سؤال عن التابوت

في صباح اليوم التالي، وبعد انتهاء الإفطار، أبدى بوارو رغبته في أن يتحدث معي على انفراد، واقترح أن نذهب للتنزه على ضفة النهر. وقد افترضت بحماقة أننا سنسير أولاً نحو النهر، ولكنني اكتشفت أن هذا لم يكن ما يفكر فيه بوارو. كانت هناك سيارة ستحملنا نحو ضفة نهر أرجيدين، وكان هاتون قد أعدها لنا بالفعل، وسنكون هناك في خلال ساعة واحدة.

عرفنا السائق بنفسه وانطلقنا. وبينما كانت السيارة تتطلق في طريقها، حيث كان الطريق ملتقاً في البداية بعد الخروج من المنزل مباشرة ثم اتجهت نحو الوجهة التي اعتقدت أنها خطأ؛ لأننا كنا نخرج من الباب الرئيسي لمنزل الليدي بلايفورد ونسير في خط مستقيم وصولاً إلى النهر، كنت أقول لبوارو: "أعتقد أنه لا علاقة بين مقتل جوزيف سكوتشر ووصية الليدي بلايفورد الجديدة. لقد تم الإعلان عن الوصية خلال العشاء، ومن المؤكد أنه قد تم وضع السم في واحدة من زجاجات الدواء قبل العشاء".

قال بوارو: "لا يجب بالضرورة أن يوضع السم في الدواء يا صديقي، ربما كان في طبق حساء لحم الضأن الذي تناوله. لا يمكننا أن نعرف".

قلت: "حتى إن كان هذا صحيحًا، لقد تناولنا الحساء قبل أن نخبرنا الليدي بلايفورد بالخبر. لا بد من أن دافع القتل بعيد عن الوصية، إلا إذا كان القاتل إما جاذركول أو الليدي بلايفورد، فقد كانا هما فقط من يعلم بشأن الوصية الجديدة قبل العشاء. وإليك أمرًا آخر لنفكر فيه: لا يجب أن نكون واثقين ببراءة أورفيل رولف؛ فقد كان يمكنه أن يضع السم مثله مثل أي شخص آخر. كما أنه هو - وقد تعتقد أنني أبالغ في التخمين - من أثار فكرة السم من الأساس. لقد كانت الفكرة تدور في ذهنه - وهو أمر غريب".

ابتسم بوارو وقال: "لقد فكرت في كل ما تقوله الآن بالفعل". أعتقد أنه قال هذا من قبيل المجاملة. "ولكنك لم تذكر اللفز الرئيسي في هذا الأمر".

قلت: "وما هو؟".

أشار لي بوارو بأنه لا يريد أن يفصح عن الكثير من أفكاره إلا عندما نصبح بمفردنا؛ لذا قضينا ما تبقى من الرحلة صامتين.

وصلنا أخيرًا إلى وجهتنا، حين قال السائق وهو ينظر لنا من خلف مقعده: "هذا هونهر أرجيدين. كان يمكنكما الوصول إليه سيرًا على الأقدام في ربع الفترة التي قضيناها في الطريق. هل أنتظر هنا لأعيدكما إلى المنزل عندما ترغبان في ذلك؟".

شكرناه وترجلنا من السيارة في ذلك الصباح العاصف. كان النهر رمادي اللون لامعًا، وصاخبًا، هائجًا. بدأت السير، ولكن سرعان ما عدت أدراجي. كان بوارو يقف متسمرًا في مكانه محدقًا إلى مياه النهر - يبدو أن تلك هي فكرته عن التزه.

قال بوارو: "فكريا كاتشبول في القصة التي وصلتنا عبر أورفيل رولف – ذلك الجدل الذي سمعه مصادفة عن الجنازة، وإذا ما كان يجب أن يكون التابوت مفتوحاً أم مغلقاً. ربما كان صحيحاً أنه تخيل الأمر برمته بسبب شعوره بالآلام المبرحة، أو أنه كان يكذب علينا، ولكني لا أعتقد ذلك. إن الأمر أكثر من مجرد مصادفة".

قلت: "لا أفهم. أية مصادفة؟".

بدا بوارو الآن مبتهجاً لأنني لم أتمكن من فهم ما يعنيه بنفس درجة سروره السابقة لأنني فكرت في مثل ما فكر فيه. وتمنيت لو أنه قرر إذا ما كان يفضلني ذكياً أم غيبياً.

قال بوارو: "لقد كان جوزيف سكوتشر ميتاً بالفعل بفعل السم. لماذا إذن ضُرب بالهراوة على رأسه حتى لم يتبق شيء منها؟ هناك تفسير وحيد لهذا – ذلك الذي قاله راندال كيمبتون – وهو أن الشكوك كانت ستحوم حول صوفي بورليه المسئولة عن عقاقير جوزيف سكوتشر. حسناً، هذا محتمل، ولكني... أفضل احتمالاً آخر".

قلت: "أعتقد أنني أعلم ما أنت بصدد قوله. إن تم تسميمك، فسيظل وجهك ورأسك دون مساس، وسيكون من الممكن أن يكون التابوت مفتوحاً في الجنازة. لقد قال أورفيل رولف الأمر ذاته بنفسه، بينما كان يتألم، عندما كان يعتقد أنه تعرض للتسمم. ولكن، إن تحطم الرأس باستخدام الهراوة، فسيكون الخيار الوحيد هو تابوت مغلق".

قال: "بالضبط. وأخبرنا أورفيل رولف بأنه سمع رجلاً يقول إن التابوت سيكون مفتوحاً – وكانت تلك هي الطريقة الوحيدة للقتل، إلا أن المرأة عارضته. ألا ترى الرابط بين الأمرين؟".

قلت: "نعم، نعم، أرى الرابط بالفعل. لهذا السبب أخذت المرأة - التي ربما كانت كلاوديا بلايفورد - الهراوة وضربت رأس رجل ميت بالفعل بفعل السم؛ لأنها لم تكن تريد أن يكون التابوت مفتوحاً في جنازته".

بدا على بوارو الشرود والتفكير العميق وهو يقول: "هل تذكر عندما كنا نسير في الحديقة بعد العشاء؟ لقد تخيلنا حينها: ماذا لو كانت الليدي بلايفورد تظن أن أحد ابنيها ينوي قتلها؟".

قلت: "أتذكر هذا بوضوح".

قال: "دعنا الآن نغير تلك الفرضية قليلاً. ماذا لو كانت الليدي بلايفورد قد عرفت منذ فترة أن ابنها أو ابنتها، أو كليهما معاً، يخطط لقتل جوزيف سكوتشر، أو كانا يرغبان في رؤيته ميتاً؟ سيفسر هذا وصيتها الجديدة، أليس كذلك؟ وتظاهرت بأنها تترك جميع ممتلكاتها إلى سكوتشر وتحرم ابنيها من الميراث، وفعلت هذا أمام محاميين، وشرطي من سكوتلاند يارد والشهير هيركيول بوارو"، رفع ذراعيه لأعلى في أثناء قوله الكلمات الأخيرة. ابتسمت في نفسي متوقعاً أن يتوقف النهر عن هديره وثورته ليقف منبهراً أمام عظمة هيركيول بوارو.

قال بوارو: "كما سيفسر هذا بشكل جيد تصرفات الليدي بلايفورد الأخرى غير المفهومة". بدأ بوارو حينها يدور في مكانه، جيئةً وذهاباً، بخطوات صغيرة. وحاولت السير بجواره ولكن تبين أن الأمر شديد الصعوبة، فتوقفت.

تابع بوارو حديثه قائلاً: "إن جوزيف سكوتشر لن يعيش حتى يرث المال - كانت الليدي بلايفورد تعلم هذا جيداً. لماذا إذن غيرت وصيتها؟ هل كانت تمنح ابنيها دافعاً قوياً للقتل - في ظل وجود ممثلين عن القانون والشرطة وخبير في حل ألفاظ الجرائم الفاضلة؟ وفجأة يجد كل من هاري

وكلاوديا بلايفورد نفسه في وضع لا يُحسد عليه. فإن واصلا خطتهما لقتل سكوتشر، فسيكونان المشتبه فيهما الرئيسيين بسبب الدافع الجديد الذي مررته لهما والدتهما والذي لن يفشل في ملاحظته أحد. وينطبق الأمر ذاته على دورو بلايفورد، وكذلك على راندال كيمبتون إلى حد ما".

قلت: "ألم يكن من الأسهل بالنسبة لليدي بلايفورد أن تستدعي رجال شرطة الجاردا وتقول لهم: أعتقد أن ابني وابنتي يخططان لقتل سكرتيري". قال: "لا أعتقد هذا، لا. إن لم تكن تملك دليلاً دامغاً، فهل من الممكن أن تخاطر باتهامهما بذلك؟ أعتقد أنه من الأكثر ذكاءً أن تلف الدليل الدامغ حول عنقي هاري وكلاوديا أمام الكثير من الناس - من أجل ردعهما عن خطتهما".

قلت: "ولكن هذا لم يردعهما، لقد قُتل جوزيف سكوتشر - لا تنس هذا. بالإضافة لهذا، لماذا قد يتكلف هاري وكلاوديا، أو أيًا كان، العناء أو المخاطرة بقتل رجل على وشك الموت بسبب كليتيه المريضتين؟ ولماذا قد يهتم أحد بأن يكون تابوت سكوتشر في جنازته مفتوحاً أم مغلقاً؟".

استدار بوارو معطياً ظهره إلى النهر وبدأ يسير إلى حيث تنتظرنا السيارة. كان يحاول أن يريح نفسه في جلسته داخل السيارة عندما دخلتها بعده بحوالي دقيقة، وعندما بدأت السيارة تشق طريقها عائداً إلى ليلى أوك، قال بصوت سمعته بالكاد: "بمجرد أن نحصل على إجابة لهذا السؤال عن التابوت، سنعرف كل شيء".

الفصل ٢٢

في بستان البرتقال

عندما عدنا إلى المنزل، كان هاتون في انتظاري ليخبرني برسالة: "السيد جاذركول ينتظرك في بستان البرتقال يا سيدي". فتساءلت عما إذا كانت قدرته على التحدث بحرية ستستمر بعد حل لغز مقتل سكوتشر أم لا. شعرت بالقلق عندما فكرت في أن القضية قد لا تُحل أبدًا، وتساءلت عما إذا كان بوارو يشاركني المخاوف نفسها.

قلت: "بستان البرتقال؟". لم أكن قد رأيت مثل هذا المكان في ليلي أوك من قبل. وإن كان هذا المكان موجودًا بالفعل، فلا أعرف كيفية الوصول إليه، وأخبرت هاتون بذلك. يا له من مكان غريب ليختاره جاذركول!

قال هاتون: "اتبعني". وعبرت تلك الكلمة عن أن قدرته على الحديث ليس وحدها التي تحسنت بسبب الحدث المأساوي الذي وقع، بل قدرته على الإرشاد أيضًا منذ أن كان يرشدني لأماكن غرف نوم الضيوف.

تبين أن بستان البرتقال كان مبنى خشبيًا كبير ملحقا بخلفية المنزل، وكان يمتلئ بأشجار البرتقال والليمون. وعلى الرغم من الطقس البارد

العاصف، كان كل شيء داخل البستان دافئاً ومنعشاً. لم يعجبني هذا الدفء في البداية، ثم بعد لحظات قليلة، من الشعور بعدم الراحة، رأيت جاذركول يمسح حاجبيه بمنديل.

قال جاذركول: "هل عرفت ما أن التحقيق بشأن مقتل سكوتشر سيُجرى يوم الأربعاء القادم؟"

قلت: "لا، من قال لك هذا؟"

قال: "أودواير".

قلت: "و... هل تزعجك تلك الأخبار؟". كان يبدو جلياً أمامي أنها تزعجه بالفعل؛ فقد كان جاذركول يشعر بعدم راحة تفوق شعوري بها، وكنت واثقاً بأن درجة الحرارة ليست هي السبب الوحيد.

قال جاذركول: "إن المحقق كونري مصر على ألا يفادر أحد منزل ليلى أوك. ولن يكون من الجيد أن نُحبس جميعاً تحت سقف واحد، بعدما حدث. ليس آمناً. أخشى أن..."، ثم صمت وهز رأسه.

قررت أن أتحدث بجرأة، فقلت: "هل تخشى أن تظهر الحقيقة خلال التحقيق فيما يتعلق بالسم؟ ربما لم تكن تعتمد على ظهور تلك الحقيقة بهذه السرعة". لقد كنت جريئاً وأفصحت عن الكثير. ولو كان المحقق كونري هنا، لاستشاط مني غضباً.

بدا الارتباك على وجه جاذركول، ولا شك في أن ارتبأك قد أفصح عن هياج أعصابه.

حدثت نفسي بحزم: "إن كان السبب هو أداة القتل الحقيقية، فلن يكون مايكل جاذركول هو قاتل جوزيف سكوتشر".

قال جاذركول: "ما الذي تعنيه؟ هل تقصد أن سكوتشر قد سُمم وضرب على رأسه بالهراوة؟ هذا أمر غريب".

ابتسمت قائلاً: "نعم، نادراً ما يُقتل الناس مرتين. سيكون علينا انتظار نتيجة التحقيق لمعرفة سبب وفاة سكوتشر. هل تريد أن تحدثني عن أمر ما؟ لقد قال لي هاتون إن...".

قال: "نعم، بالفعل. هناك أمر يجب أن أخبرك به في أقرب وقت ممكن". قلت: "هل يمكنني أن أسألك عن سبب كوني الشخص الذي ترغب في إخباره. أنا على يقين من أن المحقق كونري أو الرقيب أودواير سيكونان خياراً أفضل بكثير، أليس كذلك؟".

نظر لي جاذركول نظرة ثاقبة وقال: "ليس بالنسبة لي. لا يعجبني اعتقادك أنني كاذب يا كاتشبول. فهناك أمور، أمور مهمة تتعلق بهذا الموضوع. هل حاول أي أحد آخر التحدث معك؟". قلت: "فيمن تفكر؟ ويحدثني بشأن ماذا؟".

كان يبدو كأنه لم يسمع سؤالتي حين قال: "ربما كان من الأفضل أن نتحدث بعد تشريح الجثة. معلوماتي ليست مؤكدة. لا أعلم يقيناً، رغم أن لدي شعوراً قوياً".

ألححت عليه قائلاً: "أخبرني من فضلك بما يؤرقك. أود أن أساعدك قدر إمكاني".

لقد قطع الآن شخصان وعداً بالإفصاح عما يعلمان بعد انتهاء تشريح الجثة: جاذركول ورائدال كيمبتون. من المؤكد أنه سيكون من العقلانية بالنسبة لهما أن يفصحا عما يعلمان قبل أن يُجبرا على هذا بعد تكشف الأمور.

بدأ جاذركول يذرع المكان جيئة وذهاباً غير قادر على الوقوف في مكانه. ثم قال: "لقد سألتني عما إذا كان هناك ما جعلني أساء - في غرفة الطعام، ليلة مقتل سكوتشر. لقد تجنبنا الإجابة عن السؤال خشية أن

تظن أني أحقق لأنني أفلق كثيرًا على عائلة لا أنتمي إليها. ربما لا أمت بصلة قرابة إلى أثيليندا بلايفورد، فأنا لا شيء بالنسبة لها عدا كوني محاميها. حسنًا، ربما كنت أكثر من ذلك قليلًا. بناءً على الترتيبات الجديدة التي أعدتها. لقد أصبحت الآن الوصي على أعمالها الأدبية".

قلت: "لم أفكر مطلقًا في أنك أحقق. الكثير منا يكون روابط قوية مع من ليسوا من لحمهم ودمهم".

قال جاذركول باقتضاب: "أنت تعلم أنه لا عائلة لي. وعلى أية حال، ما جعلني أشعر بالاستياء في أثناء العشاء - ما جعلني أشعر برغبة جامحة في الإمساك بالسكين وطعن غالبية المتواجدين بطعنات غائرة - أنه لا أحد فكر في صحة الليدي بلايفورد".

قلت: "لا أفهم"، ثم سمعت صوت تكسر عالٍ من تحت قدمي. فنظرت ورأيت أنني قد تراجعت خطوة للخلف ودست جاروفًا كان موضوعًا على أرضية بستان البرتقال وملئيًا بقطع من الزجاج المكسور. وكان ما تبقى من الوعاء الزجاجي يقف متفأخرًا بجوار الجاروف. أدركت في هذه اللحظة أنني لا أحب بساتين البرتقال والمشائل لهذا السبب بالتحديد: بأسمائها الطنانة، واعتبارها ملحقات مرغوبًا فيها بالمنازل، إلا أنها في الحقيقة أماكن لتوضع فيها النفايات التي لا يكلف أحد نفسه عناء التخلص منها بعيدًا عن المنزل. داخل المنزل، إن انكسر وعاء زجاجي، فسينظف المرء بقاياه، لا أن يتركها على الأرض بهذه الطريقة ليدوسها الزوار دون قصد.

قال جاذركول: "لماذا قد تترك امرأة لا تشعر بأي مرض ثروتها لرجل تعلم جيدًا أنه سيموت في خلال أسابيع؟ السبب الأكثر ترجيحًا، من وجهة نظري، هو أنها علمت مؤخرًا أن الوقت المتبقي لها على قيد الحياة أقل من وقته. كان هذا ما أفلقني عندما طلبت مني الليدي بلايفورد في غرفة

مكتبها في عصر ذلك اليوم كتابة وصية جديدة. ولم أتمكن من السيطرة على قلقي، وسألتها صراحة إذا ما كانت تعتقد أنها ستموت قبل سكوتشر. ولكنها أكدت لي أنها سليمة معافاة، وصدقته. ولقد شعرت براحة كبيرة، ولكن لا أحد منهم خطرت تلك الفكرة على ذهنه."

صدرت تلك الكلمات من فم جاذركول عالية وقوية: "لم يسأل أحد منهم! ولم أتحمل هذا يا كاتشبول. لقد ظهر أمامي جلياً الدليل الدامغ على الأنانية وعدم أحقية أي منهم في أي شيء. إنهم لا يستحقون كرم الليدي بلايفورد أو حسن ضيافتها. وسكوتشر...". نطق جاذركول اسمه بكراهية: "في تلك اللحظة، كنت سأستمع كثيراً بقتله بلا أدنى شك".

قلت: "ما استمتعت به كان التخيل. ستجد أن حقيقة ارتكاب جريمة قتل أقل إمتاعاً بكثير".

قال: "وكانت كلاوديا كما توقعته تماماً، تلك الشريرة الصغيرة، أو هاري، الذي أعلم جيداً أنه متبلد الإحساس، ولكن، كان سكوتشر رجلاً ذكياً، جعلنا نمتدح جميعاً أنه مخلص لليدي بلايفورد، ولكنه لم يسأل أيضاً السؤال الواجب عن صحتها. أنا لست رجلاً سريع الغضب، ولكني كنت أشعر بأنني على وشك الانفجار في تلك اللحظة. لم يكن أي منهم يستحقها"، ثم أضاف بعد لحظات: "ولكنه استحق ما حدث له، أعني سكوتشر".

قلت: "شكراً لك على التحدث معي".

أخرجته امتناني فقال: "نعم، لا عليك. السبب الوحيد في أنني لم أخبرك بهذا على الفور، هو أنه سيكشف عن... حسدي لهم، على ما أعتقد".

قلت: "لقد تخيلت نفسك أنك لو كنت ابن الليدي بلايفورد، لاهتممت لأمرها أكثر مما تهتم بما سترثه منها".

قال: "أعلم أنني كنت سأفعل. أتمنى لو كنت ابنها، أوفي هذه الحالة سكرتيرها. إن السبب الوحيد لكوني لست سكرتيرها هو وجود جوزيف سكوتشر".

ضحكت قائلاً: "معدرة؟"، اعتقدت أنني لم أسمع ما قاله بالشكل الصحيح: "أنت، سكرتيرها؟ ولكنك شريك في واحدة من شركات المحاماة الكبيرة".

قال: "نعم، لا تهتم بما قلت من فضلك".

قلت: "مهلاً، هل تعني —".

قال: "إن لديك أموراً لتفكر فيها أكثر أهمية من مناقشة شعوري تجاه مهنتي. لقد كذبت عليكم جميعاً، أنت وبوارو والجاردا".

قلت: "أية كذبة؟".

التفت جاذركول نحوي وضحك قائلاً: "إن التعبير على وجهك يستحق أن يُرسم. هل تنتظر أن أعترف بأني القاتل؟ لا تقلق — أنا لم أقتل سكوتشر. إن الكذبة التي قلتها تتعلق بحجة غيابي".

قلت: "إنك كنت تسير في الحديقة بمفردك ولا يوجد من يدعم صدق حجتك؟".

قال: "لم أكن في الحديقة، ولم أكن بمفردك، كما أن هناك من يمكنه أن يدعم صدق حجتي: أثيليندا بلايفورد. لقد كنت معها في غرفة نومها".

قلت: "غرفة نومها؟ متى بالتحديد؟".

قال: "بعدما صعدت مع رولف إلى الطابق العلوي... تمنيت له ليلة سعيدة عند باب غرفته، وبمجرد أن تأكدت من أنه لن يراني، توجهت نحو غرفة الليدي بلايفورد".

قلت: "لكي تطمئن على حالها، أليس كذلك؟ وأنها لم تتأثر كثيرًا بكلمات دورو القاسية؟"، كنت أعلم أنه يجب عليّ ألا ألقنه الكلمات.

قال: "لا، لقد ذهبت إلى غرفتها بناءً على اتفاق مسبق بيننا، وقبل أن تقول دورو تلك الكلمات". قبض جاذركول على برتقالة، وبدأ أنه يفكر في جذبها من الشجرة، لكنه تركها على حالها. وكانت رائحة الموالح القوية ممزوجة بالحرارة تجعلني أشعر بالدوار.

قال جاذركول: "كان هذا آخر شيء طلبته مني في عصر ذلك اليوم. لقد أخبرتني بأنه في وقت لاحق من تلك الليلة، هناك من سيحاول قتلها. كانت خطتها – الخطة التي كانت تتضمن مشاركتي رغم أنها لم تشركني في وضعها – أنها كانت ستأوي إلى الفراش كالمعتاد، في حين أختبئ أنا خلف الستائر مستعدًا لأن أقفز على أي أحد قد يدخل الغرفة – وأن أظل مستيقظًا أحرصها طوال الليل".

قلت: "مستحيل"، كنت أظن أنه يتلاعب بي، "لقد رآك هاتون تخرج إلى الحديقة بعد ١٠ دقائق من دخول أورفيل رولف غرفته".

قال جاذركول: "إنه لم ير شيئًا. لقد أخبرته الليدي بلايفورد بأنني كنت معها في غرفتها في ذلك الوقت، وإذا سأله أحد سيقول إنه رأياني أخرج إلى الحديقة. كان الأمر برمته مرتبًا".

لم أعلم ما عليّ أن أفكر فيه. كنت أرغب في تصديقه. قلت: "أعتقد أنني استفدت من هذا رغم أنه لا يجدر بي أن أعتد على ما يقول رئيس الخدم".

قال: "إن كلمات هاتون جديرة بالثقة، إلا إن أمرته الليدي بلايفورد بفعل العكس، إنه يقول الحقيقة دومًا. إنه..."، ثم صمت وابتسم، ثم قال: "من الغريب أنني لم أفكر فيه عندما تحدثت عن الأشخاص الأنانيين في

ليلي أوك. أعتقد أن هاتون يهتم لأمر الليدي بلايفورد أكثر مما يفعل ابناها، ولكن بطريقته الخاصة".

قلت: "إنه يستحق الثناء على ذلك، ولكني أتمنى لو وجدت شخصاً واحداً على الأقل يهتم بحل غموض مقتل جوزيف سكوتشر".

قال: "أعلم أنه لا يحق لي أن أطلب منك ذلك، ولكن، إن تمكنت من تجنب ذكر ما فعله هاتون... ألا تخبر به أيّاً من المحقق كونري أو الرقيب أودواير، فسأكون ممتناً لك، وكذلك ستكون الليدي بلايفورد دون شك".

كنت سعيداً أنه لم يطلب مني إخفاء الأمر عن بوارو، ثم قلت: "ماذا عن معطفك؟ عندما تجمعنا جميعاً لنرى المشهد المريع في غرفة الجلوس، كنت ترتدي معطفك".

قال: "نعم، بالفعل".

قلت: "ولكنك قلت إنك لم تخرج من المنزل؟".

زفر زفرة تدل على الملل في أثناء تنفسه وبدأ يسير في دائرة من حولي وقال: "هل تعلم مدى برودة المكان بجوار نافذة غرفة الليدي بلايفورد؟".

أخبرته بأنني لم أكن أعلم ذلك، وأضفت بجفاء: "إنها لا تدعو جميع ضيوفها للاختباء خلف ستائر غرفتها في أثناء نومها".

قال بتأثر: "محظوظ من لم يُدع ليفعل؛ أن تعلق في دوامة من الهواء البارد والتراب يدخل أذنيك. لم أفكر في طقس شهر أكتوبر العاصف، ولكن فعلت الليدي بلايفورد عندما وضعت خطتها، وقالت لي إنني قد أصاب بالتهاب رئوي، إن لم أرتد معطفي، وفعلت، وكنت ممتناً للغاية على ذلك".

قلت: "لقد فهمت. وهل دخل أحد غرفة الليدي بلايفورد بينما كنت مختبئاً خلف الستائر؟".

قال وهو يتسم في حزن: "أعتقد أنه كان يجدر بي أن أتوقع أنك ستختبر صدقي. في نهاية المطاف، لقد اعترفت بأنني كاذب - لم يجب عليك أن تصدقني الآن؟ نعم، هناك من حضر إلى غرفة الليدي بلايفورد: أنت".

قلت: "لا أفهم ما حدث. لقد كنت مختبئاً خلف ستائر غرفة نوم الليدي بلايفورد مستعداً للقفز على أي شخص قد يدخلها، ولكن عندما فتحت أنا باب غرفتها، لم تفعل شيئاً. كيف كنت لتعلم أنني لم أغرس سكيناً في قلبها؟".

أشاح جاذركول بوجهه بعيداً.

قلت: "لقد فهمت الآن. كنت تعلم أنني لست من يحاول قتلها، وهذا يعني أنها كانت تتوقع شخصاً بعينه سيحاول قتلها - وأنت تعلم اسم ذلك الشخص، أليس كذلك؟".

امتقع وجه جاذركول بشدة.

ألححت عليه قائلاً: "أخبرني باسم ذلك الشخص على الفور، أرجوك".

ولكنه قال: "عليك أن تتحدث في هذا الأمر مع الليدي بلايفورد"، كرر تلك الكلمات عدة مرات ولم يخبرني بالمزيد.

الفصل ٢٣

التحقيق

أُجري التحقيق في مبنى محكمة كلوناكيلتي، وهو مبنى ضخم ومن أقبج ما رأيت في حياتي. وكانت رائحته تشبه رائحة الأشياء العتيقة التي ظلت مهملة لوقت طويل. ونوافذه ضيقة والماء يسيل على زجاجها الذي يكسوه الضباب. ظللت واقفاً خارج المبنى لأطول فترة ممكنة متأملاً التناقض بين هذا المبنى ومنزل ليلي أوك، الذي كنت على استعداد تام للإقامة فيه بصفة مؤقتة، على الرغم من جريمة القتل التي وقعت فيه. ولكنني لم أكن لأطبق قضاء ليلة واحدة حتى في تلك المحكمة.

لم تكن هناك أية مقاعد، بل كانت هناك أرائك خشبية ملأت قاعة كبيرة. مر كل من هاري ودورو من بيني أنا وبوارو بينما كانا يهرعان نحو الداخل. وبدلاً من انتظاري لألحق به، استغل بوارو فرصة أن يتركني خلفه. وقد أزعجني ما فعل حتى فهمت خطته. لقد كان يشق طريقه نحو الليدي بلايفورد... يا إلهي، لقد دفع راندال كيمبتون جانباً حتى يتمكن من الوقوف بجوارها. لم أعتد رؤيته يتحرك بهذه السرعة من قبل.

ابتسمت لنفسي مدرّكاً نيته جيداً. كنت قد أخبرته بكل ما أخبرني به جاذركول، بما فيه نصيحته بأن أتحدث مع الليدي بلايفورد إن كنت أرغب في معرفة المزيد. ولكن، كان هذا مستحيلاً، فقد تمكنت بشكل رائع من إخفاء نفسها عنا خلال الأيام الماضية. والآن، ها هي ذي تقف بيننا - حيث يمكننا أخيراً أن نقرب منها. تساءلت عن الاستجواب المفصل الذي قد يجريه بوارو خلال تلك الفترة القصيرة قبل بدء التحقيق.

كان هناك رجل، افترضت أنه محقق الوفيات، ذو رأس صغير منبعج ذكرني بثمره البندق، دخل قبل لحظات مبنى المحكمة بجوار المحقق كونري ومن خلفهما الرقيب أودواير، وكانوا يتحدثون مع رجل ذي أشعر أشقر خفيف والذي لم يتعد كونه خصلة أفقية صغيرة فوق رأسه، وكانت شفته السفلى تتحني نحو الأسفل عندما لا يتحدث، وكما لو كان يقول: "انظر إلى تلك القرحة على لثتي"، وكان يحاول أن يريها للجميع.

لم يلحظ كيمبتون بالكاد بوارو عندما حشر نفسه بجوار الليدي بلايفورد. قبل لحظات، وصلت السيارة التي تقل كلاوديا، وكان كيمبتون ينظر نحوها فاتحاً لها ذراعيه وهو يقول: "أهلاً يا حبيبتي"، فركضت هي نحوه كما لو كانا مفترقين منذ أسابيع وليس ٣٠ دقيقة فحسب.

أمنت لنفسني مكاناً لأجلس فيه على الأريكة التي خلف بوارو، على أمل أن أتمكن من سماع الحوار الذي يحاول أن يجريه مع الليدي بلايفورد.

لم يضع بوارو المزيد من الوقت، وقال على الفور: "ليدي بلايفورد...". قالت الليدي بلايفورد: "ليدي بلايفورد، ليدي بلايفورد. تلك عبارة طويلة للغاية. هل تمنعني أن تدعوني آثي؟".

قال بوارو: "بالطبع سيدتي. اقبلي اعتذاري أرجوك".

قالت: "ما الذي تريد قوله؟".

قال: "هل صحيح ما سمعته عن السيد جاذركول ليلة مقتل جوزيف سكوتشر؟".

قالت: "ماذا سمعت، وممن؟".

قال: "من السيد جاذركول نفسه، ولكنني لم أسمع ذلك بنفسي، بل مرت كلماته عبر أكثر من وسيط حتى وصلتني".

قالت: "عبر أكثر من وسيط ليست الكلمة المناسبة على الإطلاق. ربما عليك أن تقول: وصلتني بطريقة غير مباشرة، ولكن يمكنك أن تقول عبر الوسطاء لتعبر عن أن الكلمات وصلتك عبر طريقة غير مناسبة، مثل تلك المحادثة التي تدور بيننا. ما الذي تريد أن تعرفه؟".

قال: "يزعم السيد جاذركول أنه قضى معظم الوقت ليلة مقتل جوزيف سكوتشر يختبئ خلف ستائر غرفة نومك تحسباً لدخول شخص ما إليها ليحاول قتلك. والفترة ما بين مغادرته غرفة الطعام بصحبة أورفيل رولف، وحتى لحظة صراخ صوفي بورليه في الطابق السفلي، هي الفترة التي يصر على أنه كان يختبئ خلف ستائر غرفة نومك. كما قال إنك طلبت من هاتون، رئيس الخدم، أن يكذب قائلاً إنه رأى السيد جاذركول يدخل المنزل من الخارج".

قالت: "نعم، كل ما قلته صحيح. لا تلق باللوم على هاتون المسكين - إنه وفي لدرجة أنه قد يضر نفسه. كنت أرغب في حماية مايكل الذي لم يقترب أي خطأ. لقد كانت لديه حجة غياب، وقررت أن حجة الغياب التي تصل للشرطة لن تكون مهمة. إن ما يهم حقيقة هو أننا نعلم جيداً أنه لم يكن يستطيع قتل جوزيف". ثم ابتسمت الليدي بلايفورد ولكن من دون حماس. كان هناك ما يقلقها، كما لو كانت مستاءة من اضطرابها لتفسير الأمر.

صمت بوارو. وتخيلت أنه، مثلما فعلت، قد نظر إلى تفسيرها المجرد من المبادئ للأمر بنظرة سيئة. فكرت أنها قد تكون روائية شهيرة وخصبة الخيال، ولكنها لم تتمكن من إدراك أن شهادتها أصبحت عديمة القيمة الآن بعدما أبدت استعدادها التام للكذب. وفكرت في أن شهرتها أثرت على سلامة تفكيرها، فقد كانت معتادة أن تكون المتحكم الوحيد فيما تفعله وتقوله وتفكر فيه جميع شخصيات رواياتها.

سألها بوارو: "هل كنت تشكين إذن، بعد الأخبار التي أعلنت عنها خلال العشاء، أنك قد قُتلتين؟".

ضحكت كما لو أنها سمعت فكرة غريبة: "لا".

قال: "لا أفهم إذن لم قال السيد جاذركول —".

لوحث الليدي بلايفورد لبوارو قائلة: "توقف، توقف! بدلاً من أن تمطرني بهذا السيل من الأسئلة، دعني أخبرك بالأمر. وسأراعي أن أذكر جميع التفاصيل ذات الصلة بالأمر، كما أنني سأكون كريمة بما يكفي لأضعها في ترتيبها الزمني الصحيح".

في مقدمة الغرفة، كان الرجل ذو الشفة السفلى المنحنية والشعر الأشقر يجذب كرسيًا ويجلس في المكان المخصص لمحقق الوفيات. لقد كانت فرضيتي خطأً إذن: لا بد من أن هذا هو محقق الوفيات، والرجل الآخر ذو الرأس المنبجج الذي يشبه ثمرة البندق لا بد من أنه شخص آخر. ولكن، من يكون؟ ولماذا حضر مع كونري وأودواير؟ إنه ليس طبيب الشرطة — الذي لاحظت في تلك اللحظة أنه ليس موجودًا. لقد لمحته لمحّة خاطفة بينما كان يغادر ليلى أوك. كان رجلاً أشعث تتساقط الأشياء من جيوبه ومن حقيبته الجلدية البنية التي يحملها.

عدا بريجيت مارش وهاتون، كان جميع القاطنين في ليلي أوك متواجدين. كان بوارو وآثي بلايفورد يجلسان أمامي، كما قلت سابقاً، وكان الآخرون يجلسون خلفي: كانت كلاوديا بلايفورد ورائدال كيمبتون يجلسان متجاورين على أريكة في نهاية الغرفة، و... كان هذا غريباً. لماذا لا يجلس جاذركول ورولف متجاورين؟ هل وقع شجار بينهما؟

ثم أدركت أنهما يجلسان متجاورين – أو على الأقل متجاورين بالقدر الذي سمح به حجم رولف الضخم. من مكاني، لاحظت أن الجميع اختاروا أماكن ليجلسوا فيها بحيث تكون هناك مسافات كبيرة بينهم.

قالت آثي بلايفورد مخاطبة بوارو: "حسناً إذن. سأخبرك بالأمر – ولكن، قد يُقطع حديثنا. نعم، لقد طلبت من مايكل أن يختبئ خلف ستائر غرفتي طوال الليل. وطلبت منه أن يتخلى عن النوم تلك الليلة، وكان عطوفاً بما يكفي ليوافق دون تردد على أن يكون حارسي. كنت أرى أن هناك احتمالاً بعيداً أن أحداً قد يشعر بالجزع ويحاول قتلي في أثناء نومي. ربما كنت عجوزاً، ولكنني لست مستعدة لأن أموت، حيث إنني لا أمتلك أفكاراً جيدة لأضعها في كتابي القادم. هل أخبرك بها؟ أنا لم أفكر في جميع التفاصيل، ولكنها تتعلق بالتكر."

قال بوارو: "سيدتي —".

قاطعته قائلة: "لا بد أنه سيكون هناك شخص يغطي وجهه بقناع على ما أظن. على أية حال، قد يعتقد المرء أنه تحت هذا التكر توجد السيدة فلانة، ونراه وهو يشك في الأمر، ونرى الآخرين أيضاً يعانون كثيراً —".

قال: "سيدتي، أنا متيقن من أن تلك القصة مذهلة، ولكنني أكثر اهتماماً بالقصة الأخرى. هل كنت تعتقدين أن محاولة القتل تلك قد يقدم عليها شخص بعينه؟".

قالت: "نعم، كنت أفكر في اسم شخص بعينه. ألم يتوصل المحقق العظيم لاسم هذا الشخص؟ هيا، حاول يا بوارو! هل ترغب في مساعدة؟ على الرغم من ثقتي بأن كلاوديا ودورو مستاءتان مني للغاية في هذه اللحظة، فإنهما لن يفكرا في إلحاق الضرر بي، وينطبق الأمر ذاته على كل من هاري وراندا... حسنًا، لقد رأيت طبيعة هاري، أليس كذلك؟ وراندا لا يهتم بشيء سوى المعارضة".

سألها بوارو: "ماذا تعنين؟".

تهتت الليدي بلايفورد وقالت: "إن هذا الأمر مرهق للغاية. إنه يستمتع كثيرًا بالكلام، ولا يفعل أو يهتم بشيء سوى التوافه. لا بد أنك قد لاحظت ذلك. إنه يهاجم علم النفس لأنه يعلم جيدًا أنك على اقتناع تام به. كما أن مسرحية شكسبير التي يفضلها هي الملك جون - لقد تخلى عن مسيرة مهنية ناجحة؛ لأنه لم يطق صبرًا على أن يتعامل مع أشخاص يرون أن تحفة شكسبير الفنية هي الملك لير - وهي كذلك دون شك".

قال بوارو: "هل تعتقدين أن الطبيب كيمبتون يعتقد ذلك أيضًا ولكنه يتظاهر بالعكس؟".

قالت: "لا. لهذا السبب يثير عصبيتي. إنه ليس مثل أي شخص آخر. كان يجب أن يفتاظ مني بسبب الوصية، كمؤازرة لكلاوديا على الأقل - ولكنه لم يفعل بالطبع. إنه ثري، ولكنه ليس سعيدًا. ولكنه، بمجرد أن تصله بطاقة معايدة - مجرد بطاقة عادية لا تحمل أية رسائل مهمة أو مثيرة - ولا يتمكن من قراءة التوقيع جيدًا، أو يتمكن من تخمين من أرسلها أو يعرف من يكون من الختم البريدي... فإنه يتعذب كثيرًا. وينفصل عن الواقع تمامًا، ولا أبالغ في قلبي هذا. ويبدأ في استكشاف محيطه الاجتماعي والمهني حتى يعرف من أرسل له تلك البطاقة".

قال بوارو: "وهل يشعر بالرضا بعدما فعل؟".

قالت: "نعم، ولكنني أعني أن الإنسان العادي سيرفع حاجبيه تعجباً من التوقيع غير الواضح ويقول: قد لا أعرف من يكون أبداً... وينسى الأمر برمته".

سألها بوارو: "هل تذكرين من أرسل له تلك البطاقة؟".

أطلقت الليدي بلايفورد ضحكة مجلجلة وقالت: "أنت رجل رائع يا بوارو. محقق بكل ما تحمله الكلمة من معنى. نعم، إنني أذكر هذا جيداً، فقد سرقت اسمه ووضعته في الكتاب الذي كنت أولفه في ذلك الوقت. إنه جوسي – تريفور جوسي. لقد كان أحد معلمي راندال السابقين – لم يكن معلمه في المدرسة، بل كان رجلاً علمه الطب. وحرفت الاسم في الرواية ليصبح ديفيد جوسي، سائق قطار البضائع".

في مقدمة الغرفة، تتحنح محقق الوفيات وربت كومة الأوراق أمامه. سيبدأ التحقيق في أية لحظة.

قربت الليدي بلايفورد فمها من أذن بوارو وهمست بصوت مسموع: "دعني أخبرك سريعاً ببقية قصتي – فأنت دون الجميع ستقدر ذلك كثيراً. يشك الأشرار في أن الشخص المتكرر هو السيدة فلانة. وساعدتها شريمب وأصدقائها على إخفاء هويتها، وأصروا على كونها امرأة أخرى. وفي واقع الأمر، المرأة المتكررة ليست السيدة فلانة، والتي كانت توجد بأمان في مكان آخر. وكانت شريمب تقول الحقيقة، ولكنها تنوي تضليل الأشرار: أليس هذا رائعاً؟ يمكن للمرء أن يصر على أن الحقيقة صادقة بطريقة تجعلها تبدو كذباً".

قال بوارو: "أرى أنك، ككاتبة، لا يوجد مثيل لك. أخبريني بالتالي: لماذا قد يرغب القاتل في الرواية في أنه يجب أن يكون تابوت القتيل في جنازته مفتوحًا وليس مغلقًا؟".

أجابته بحماس: "يبدو هذا السيناريو رائعًا. أول ما تبادر إلى ذهني أن الأمر يتعلق بالوجه – ولكن، يجب على المرء ألا يرتضي بفكرته الأولى، بل يسأل نفسه بدلًا من هذا: ما الذي يجعل الأمر أكثر تشويقًا؟".

تساءلت، هل يعني هذا أن الليدي بلايفورد ليست المرأة التي سمعها أورفيل رولف تتجادل مع الرجل في اليوم الذي وقعت فيه جريمة القتل؟ لقد بدت بريئة تمامًا – كما لو أنها لم تفكر من قبل في أي شيء يتعلق بالتواييت، وبالتالي إذا ما كانت مفتوحة أم مغلقة.

قال بوارو بصوت حازم: "ممن طلبت أن يحميك جاذركول أيتها الليدي بلايفورد؟".

قالت: "من جوزيف بالطبع".

قال: "جوزيف سكوتشر؟".

قالت: "نعم. كنت قد أخبرته للتو بأنه سيرث ثروة كبيرة إن مت".

قال: "ولكن...".

قالت: "غالبية الناس لن يتركوا ثرواتهم لشخص يدركون أنه قد يقتلهم – أليس هذا ما تفكر فيه؟".

أقر بوارو بأن هذا ما فكر فيه بالفعل.

بدت الليدي بلايفورد فخورة بنفسها وهي تقول: "أنت محق تمامًا".

قال بوارو: "أفكر في أمور أخرى أيضًا على غرار: لماذا قد يرغب رجل محتضر في قتلك؟ هل من أجل المال؟ لست مقتنعًا بذلك – ليس عندما أفكر في أنه لن يستمتع به إلا لفترة قصيرة، وأنه سيكون مريضًا لدرجة أنه

لن يتمكن من الاستمتاع به. أعتقد أن كل ما كان يحتاج إليه السيد سكوتشر هو وجود من يرعاه خلال مرضه، أليس كذلك؟".

قالت: "نعم، لقد رتبت كل شيء بحيث يحصل جوزيف دومًا على أفضل رعاية ممكنة دون مراعاة للنفقات".

قال بوارو: "ما السبب الآخر إذن الذي قد يدفعه لقتلك؟ هل الزواج السريع من صوفي بورليه وتركها امرأة ثرية بعدما يموت؟".

أجابته الليدي بلايفورد: "أنا واثقة بأنك ستستمتع كثيرًا في أثناء محاولتك معرفة السبب".

قال بوارو: "أنت راوية قصص موهوبة. ألن يكون من الممتع بالنسبة لك أن تخبريني بالسبب؟".

قالت: "هناك أمور لا يمكنني التحدث عنها إلا بعد انتهاء التحقيق — بمجرد أن نغادر تلك المحكمة".

يمكنني تخيل مدى الإحباط الذي شعر به بوارو، فقد شعرت بمثله. لم أكن أملك أو يملك السلطة لإجبار أحد على التحدث إلينا رغمًا عنه. كان كونري هو من يملك كامل السلطة، ولم تكن هناك ضمانات على أنه سيطرح الأسئلة الصحيحة. ومما رأيت من أسلوب تعامله مع الجميع، تيقنت من أنه لن يفعل.

لم يكن من السهل هزيمة بوارو، حيث قال: "أخبريني بأمر بسيط. لماذا لم تُحَكِّمي إغلاق باب غرفة نومك رغم خوفك من أن السيد سكوتشر قد يحاول قتلك؟ إن به مزلاجًا، لقد تأكدت بنفسي".

قالت: "سيسعدني أن أخبرك بالسبب بعد انتهاء التحقيق".

قال: "إنه أمر غريب".

سألته الليدي بلايفورد: "وما الغريب في ذلك؟".

قال بوارو: "لقد قال راندال كيمبتون الأمر ذاته، وكذلك مايكل جاذركول. لقد وعدني الجميع بالتحدث معي بعد انتهاء التحقيق. لماذا ليس قبله؟". قالت الليدي بلايفورد: "هذا سؤال شديد السخافة يا بوارو. ولكني على استعداد للإجابة عليه... يبدو أن التحقيق سيبدأ أخيراً".

كانت محقة. قدم الرجل ذو الشفة المنحنية نفسه على أنه محقق الوفيات، تاديوس كويل، وأن التحقيق سيبدأ في الحال.

استمعنا بانتباه في أثناء كشف الحقائق التي لم يكن يعلمها إلا بعضنا أمام الجميع. اتضح أن الرجل ذا الرأس الذي يشبه ثمرة البندق هو الضابط الذي يرأس طبيب الشرطة والممثل عنه. لقد أضع الطبيب كلاودر الأشعث مفاتيح سيارته، كما قيل لنا؛ لذا لم يتمكن من الحضور.

مات سكوتشر مسموماً بسم الإستركنين، وقال الخبير الطبي في شرطة الجاردا إنه قد تناول السم في الفترة ما بين الخامسة عصرًا والسابعة والنصف مساءً، بناءً على كمية السم التي ابتلعها. وقدر أن الوفاة حدثت في الفترة ما بين التاسعة والتاسعة والنصف مساءً. وتشير الأدلة إلى أن سكوتشر نُقل إلى غرفة الجلوس بعد موته، حيث تم تحطيم رأسه بالكامل تقريباً باستخدام هراوة تخص عائلة بلايفورد، والتي عُثر على سطحها على بقايا من دم الضحية ومخه وعظمه.

استمع محقق الوفيات إلى قصة صوفي بورليه عن رؤيتها كلاوديا بلايفورد وهي تحطم رأس سكوتشر، وبعد ذلك، دُعي المحقق كونري ليعرض دليل بصمات الأصابع، وأخبرنا بأن الهراوة، وقد رفع ذقنه قليلاً عن رأسه، كانت مغطاة ببصمات الأصابع، بعضها يخص كلاوديا بلايفورد، ولكنها تحمل أيضاً بصمات كل من أثيليندا بلايفورد، وفريدريك هاتون، وفيليس شيفرز، وراندال كيمبتون، وهاري بلايفورد. وكان تفسير وجود تلك

البصمات بسيطاً؛ لقد كانت الهراوة من أغراض المنزل التي من السهل الوصول إليها وأن الجميع تمكن من لمسها في وقت ما.

من بين زجاجات الدواء التي كانت في غرفة سكوتشر، كانت واحدة فقط هي الفارغة تماماً، وكانت هي – الزجاجة الوحيدة التي تحمل اللون الأزرق – التي عُثر فيها على آثار لسلم الإستركنين إلى جانب عقار أعشاب آخر غير مؤذ، في حين احتوت الزجاجات الأخرى على عقاقير أعشاب ولكن من دون أثر للسلم.

فوجئت بسماع أن الزجاجات كانت تحتوي على عقاقير أعشاب، فقد تصورت أن غرفة رجل يحتضر يجب أن تحتوي على الكثير من العقاقير الكيميائية، ولكن، ربما كان سكوتشر يفضل الممارسات الطبية التقليدية رغم عدم فائدتها بالنسبة له.

اعترفت صوفي بورليه بأن الزجاجة الزرقاء كانت نصف ممتلئة في المرة الأخيرة عندما أعطت بعضاً من محتوياتها إلى جوزيف. سألها محقق الوفيات عن توقيت إعطائها العقار إلى سكوتشر، فأجابت: "في نفس يوم موته. أعطيته ملعقتين ممتلئتين في تمام الخامسة عصراً، كما أفعل دائماً".

حيرتني تلك الإجابة أيضاً؛ فإن الاعتقاد بمدى فاعلية العقاقير العشبية أمر غير مقنع، ولكن، لماذا يعتبر من المهم مراعاة الوقت من اليوم الذي يجب على المرء أن يتناول جذور اللافندر أو أيًا كان فيه؟

كان يجب أن ينتابني في تلك اللحظة شعور مسبق، فقد اعترف لي بوارو في وقت لاحق بأنه انتابه أحدها – على الرغم من أن راندال كيمبتون سيقول إن كلماته وحدها ليست دليلاً على الإطلاق.

قال محقق الوفيات إن جوزيف سكوتشر قد قُتل على يد شخص أو أشخاص مجهولين، وبدلاً من أن يختم التحقيق، نهض وتنحنح وقال:

"هناك أمر آخر يجب أن أقوله، والذي يجب أن يتم تسجيله في محضر جلسة التحقيق في هذا اليوم. وبعدما اطلعت بدقة على التحقيقات التي يجريها المحقق كونري عن مقتل السيد سكوتشر، أقر بأنه من بين أكثر الأمور الغامضة، إن سمحت لي باستخدام تلك الكلمة، في الموضوع برمته هو السبب الذي قد يدفع لإنهاء حياة رجل لن يعيش طويلاً. هذا إلى جانب أنني فكرت، وكذلك المحقق كونري، في احتمال أن يكون دافع الجريمة تلك الوصية الجديدة التي أعلنت عنها الليدي بلايفورد، والتي حددت فيها أن القتل، السيد سكوتشر، هو وريثها الوحيد. والأمر الذي أثار لغزاً جديداً: لماذا قد يغير أحد من وصيته لتصب في صالح شخص سيموت قريباً؟ وفي ظل تلك الأسئلة التي لم تتم الإجابة عنها بعد، وبعد تفكير طويل وعميق، رأيت أنه من واجبي أن أعلن عن أحد جوانب تلك الأحداث المؤسفة، والتي رأيت أنا والمحقق كونري أنه سيكون مهماً. قد لا يتعلق هذا الجانب بالسبب العضوي لموت السيد سكوتشر، ولكنه على صلة وثيقة بالأمر رغم هذا. وحيث إن هذا الجانب ليس بمعلومات طبية، بل ما أطلق عليه شئونا إنسانية، فإنني قررت أن أخبركم به بنفسه بدلاً من أن تُفاجأوا بقراءته في تقرير طبيب الشرطة".

زفرت الليدي بلايفورد في نفاد صبر وقالت: "أتمنى لو يقول ما عنده من دون إطالة".

هل تعلم ما سيقوله الرجل؟ كنت أشعر بأنها تعلم بالفعل، وشعرت بشعور غريب يغمرنني بالكامل.

قال محقق الوفيات: "لم يكن جوزيف سكوتشر يُحتضر".

"ماذا؟ لم يكن يُحتضر؟ ماذا تعني بأنه لم يكن يحتضر؟"، كانت تلك دورو من دون شك، أول من تعترض، "أنت لا تعني أنه لم يكن يوشك على

الموت من الأساس؟ لقد مات، أليس كذلك؟ بعدما تناول السم، لا بد من أنه كان يحتضر، ماذا تعني؟".

غمغم راندال كيمبتون: "يا إلهي، سنظل هنا حتى موسم الأعياد".
 "هدوءاً من فضلكم"، بدت الدهشة على وجه محقق الوفيات أكثر من الغضب. ربما كان راندال كيمبتون هو الشخص الأول الذي يُطلق دعاة خلال تحقيق يجريه، ثم قال: "أنا من يرأس هذا التحقيق، ولا أحد يتكلم من دون إذني. اسمحوا لي بتوضيح الأمر: حتى تناول سم الإستركنين، لم يكن جوزيف سكوتشر يحتضر. ولم يكن يعاني الفشل الكلوي، أو أي مرض آخر".

صاحت صوفي بورليه باكية: "هذا ليس صحيحاً. يجب أن يحضر الطبيب بنفسه ليخبرنا بأن هذا صحيح".

نهض الرجل الذي يشبه رأسه ثمرة البندق وقال: "أظن أن هذا صحيح. لقد قرأت تقرير التشريح الذي أعده الطبيب كلاودر بنفسه، وتحدثت معه بشأن هذه النقطة حديثاً مطولاً. لقد كانت كليتا السيد سكوتشر سليمتين معافاتين مثل كليتي أي شخص".

وضح محقق الوفيات الأمر قائلاً: "لهذا السبب قلت إن الأمر لا يتعلق بشؤون طبية: أن يبدو المرء كأنه مصاب بمرض عضال أمر، والإصابة الفعلية بمرض الفشل الكلوي أمر مختلف تماماً، أو أن يخبر المرء الجميع بأنه يحتضر مرض، ولكنه مرض نفسي دون شك".

مسحت القاعة ببصري في تلك اللحظة لأرى راندال كيمبتون يمتعض بسبب ذكر علم النفس مرة أخرى. التقت أعيننا وابتسم مثلما قد يفعل أي شخص لا يمكنه تحمل المزيد، وكان يبدو كأنه سعيد. وكانت إشارته واضحة: كان يريد إخباري بأنه كان يعرف هذا، ولكن، هل كانت هناك حاجة

لأن يبدو بمثل هذه السعادة والرضا عن الذات؟ بالطبع كان من المرجح أن يعرف الحقيقة أكثر مما قد أفعل، لقد كان يعرف سكوتشر طوال سنوات، ولكني لم أعرفه إلا ليوم واحد فقط.

لم يكن الشخص الوحيد الذي يعلم بالأمر، فقد بدا التعبير نفسه على وجه كلاوديا، مزيج من الانتصار والراحة، وكأنها تقول: "لقد انكشفت الحقيقة أخيرًا. لقد كنت أعلم ذلك طوال الوقت".

بدا مايكل جاذر كول كأنه مذبذب وليس منتصرًا، حيث نظر لي نظرة آسفة كأنه يقول: "كنت أعلم أيضًا. اعذرني على عدم ذكر أي شيء عن هذا الأمر".

جلست صوفي بورليه متسمة في مكانها... صامته تنحدر دموعها على وجنتيها. وبدأت فيليس ودورو وهاري وأورفيل رولف يتحدثون معًا كما لو كانوا مجموعة من الدجاج الصاخب: "كيف هذا...؟ ما الذي...؟ لماذا بحق الله...؟" ما يدل على أن أحدًا منهم لم يشك للحظة في أن سكوتشر لم يكن يحتضر.

جلست مثلول التفكير وصدى كلمات محقق الوفيات يتردد في أذني: لم يكن جوزيف سكوتشر يُحتضر، ولم يكن يعاني الفشل الكلوي أو أي مرض آخر.

كان بوارو، الجالس أمامي، يهز رأسه غير مصدق ويفغم لنفسه. التفتت لليدي بلايفورد لتتظرنحوي مثلما كنت أنظر نحو الآخرين. لقد كانت تعرف أيضًا، وهمست لي قائلة: "إن البشر عبارة عن آلات صغيرة غريبة يا إدوارد - أكثر غرابة من أي شيء آخر في العالم".

الجزء الثالث

للحصول على كتبنا قبل الجميع
بروابط تحميل مباشرة
تابعونا
على فيسبوك
مكتبة الرمحي أحمد
facebook.com/ktabpdf
على تيليجرام
[@ktabpdf](https://telegram @ktabpdf)

الفصل ٢٤

صوفي توجه اتهامًا آخر

بعد انتهاء التحقيق، توجهت بصحبة بوارو وصوفي بورليه والمحقق كونري والرقيب أودواير إلى مركز الجاردا في باليجورتين. وقد فاجأنا كونري بهذه الخطة كعاداته غير المحببة بينما كنا نفادر مبنى محكمة كلونا كيلتي. ووضح أنه في هذه المرة سي طرح جميع الأسئلة، ومن غير المسموح لأي منا بأن يتحدث.

وبدا أننا جميعًا كنا نفضل عدم التحدث من الأساس. فعلى درج مبنى المحكمة، لم ينبس أي منا ببنت شفة أو حتى ينظر إلى أحدنا الآخر. لم أقل شيئًا أنا أيضًا على الرغم من أن رأسي كان مزدحمًا بالأفكار:

كانت كليتا جوزيف سكوتشر سليميتين قبل أن يُقتل، وكانتا سليميتين تمامًا. ولا أثر لمرض الفشل الكلوي بهما، أو أي مرض عضوي آخر من شأنه أن يقتله. نعم، لقد قدم لي سكوتشر على أنه رجل سيلاقي الموت المحتوم في القريب. وهو نفسه تحدث عن وفاته الوشيكة...

كيف هذا؟ ما السبب الذي يدفع رجلاً سليماً معافى لأن يتظاهر بأنه يحتضر؟ هل ضلل أحد سكوتشر متعمداً - طبيب شرير أو غير مسئول؟ قفز اسم راندال كيمبتون إلى ذهني على الفور. إنه طبيب، كما أنني أراه من وجهة نظري شريراً وغير مسئول. ولكن، لا، لا يمكن أن يكون طبيب سكوتشر، إنه يعيش في أوكسفورد، وسكوتشر يعيش في كلوناكيلتي.

ولكن، كان هناك أمر يؤرقني في هذا الأمر برمته. وشعرت كما لو أنني أدور حوله ولكني لا أستطيع أن أراه ولو في لمحة خاطفة.

أخبر سكوتشر الجميع بأنه على وشك أن يموت بسبب المرض. ثم مات بالفعل - بسبب سم الإستركنين. ثم حُطم رأسه كمحاولة لإقناع الجميع بسبب ثالث للوفاة.

كم عدد الطرق التي كان يجب على جوزيف سكوتشر أن يموت بها لكي يسعد... من؟ أعجبنى هذا السؤال كثيراً، ورأيت أنه سيكون من الأسئلة الجيدة لطرحها بشتى الطرق، على الرغم من أنني لم أكن أعرف أيًا من هذه الطرق. وكان وجود كونري وأودواير وصوفي بورليه مثيراً للأعصاب، فقد كان كل ما أرغب فيه في هذه اللحظة هو التحدث إلى بوارو على انفراد. أنا على استعداد للتخلي عن إحدى كليتي لأعرف ما يدور في رأسه الآن.

عندما وصلنا إلى مركز شركة الجاردا في باليجورتين، قادنا كونري إلى غرفة تقع في نهاية رواق طويل ضيق، والتي ذكرني بفصل المدرسة بمجرد أن خطوت إليها. فقد كانت هناك مقاعد متناثرة في الغرفة وسبورة على الجدار، ولكن لم تكن هناك مكاتب. وعلى أحد المقاعد، كانت هناك مزهرية متربة بها بعض من سيقان الزهور التي ذبلت منذ أمد بعيد مربوطة معاً بشريط أخضر. ولم يكن هناك ماء في المزهرية، وكذلك لم تكن هناك

أوراق أزهار على تلك السيقان. كما أن الرطوبة تسببت في جعل السقف بنيًا عدا أحد أركانه.

"حسنًا إذن؟"، أطلق كونري ذلك السؤال نحو صوفي بورليه مباشرة: "ما الذي ستقولينه الآن؟ لقد كنت ممرضته — لا بد من أنك كنت تعلمين أنه ليس مريضًا".

قالت صوفي بمرارة: "إن طبيبك كلاودر رجل قاسي القلب. إنه كاذب حقير. إن صدقته، سيكون عليّ أن أتخيل أنني كنت سأعيش حياة طويلة وسعيدة مع جوزيف، لو لم يُقتل. وما الفائدة من أن أفكر في هذا؟".

من تحت شاربه، كانت شفتا بوارو تتحركان على الرغم من أنه لم يصدر أي صوت. لن يمر وقت طويل قبل أن يتدخل بوارو، فإنه لم يتمكن من كبح جماح نفسه.

قال كونري: "إن الطبيب كلاودر لم يكذب، بل أنت الكاذبة يا صوفي بورليه".

قالت صوفي: "سيد بوارو، سيد كاتشبول، أخبرام. لقد كان جوزيف يحتضر بفعل الفشل الكلوي. لم تكن كليته قادرتين على الحياة أكثر من هذا. لا بد من أن المرض دمرهما تمامًا، ولا يمكن أن تكونا سليمتين".

سألها كونري: "هل رأيت كليتيه المريضتين بنفسك؟".

قالت: "أنت تعلم جيدًا أنني لم أفعل. كيف سيمكنني هذا؟ لم أكن حاضرة في أثناء التشريح".

قال كونري: "لا يحق لك إذن أن تتهمي الطبيب الذي أجرى التشريح بالكذب".

قالت: "بل يحق لي هذا تمامًا. كان جوزيف يحتضر. كان كل ما عليك فعله هو أن تنظر إليه. هل رأيت تلك الكليتين السليمتين بنفسك؟ لا، إنك لم تفعل".

قال كونري: "في واقع الأمر، لقد رأيتهما، فقد استدعاني كلاودر على الفور، ووقفت بجانبه ورأيتهما".

فتحت صوفي فمها، ثم أطبقته من دون أن تقول شيئاً.
قال كونري: "لقد كان زوجك المستقبلي يا آنسة بورليه كاذباً دينياً، وكذلك أنت".

قالت الممرضة: "أنا لا أكذب أيها المحقق. كما أنني لست قاسية القلب مثلك. من فضلك، واصل عرض أفكارك من دون أن تراعي مشاعري، فلن يكون هناك عرض أفضل للفارق بين شخصيتك وشخصيتي".
سألها كونري: "لكم من الوقت عملت كممرضة لسكوتشر؟".
قالت: "منذ عامين".

قال: "وطوال تلك الفترة كان يحتضر، أليس كذلك؟".
قالت: "لا، في البداية كان هناك احتمال أنه قد يموت، ولكننا... أملنا وتمنيينا. ثم، ومنذ حوالي عام مضى..."، ثم غطت صوفي فمها بيدها.
قال كونري: "منذ عام مضى؟ أخبريني، هل قرأت شيئاً عن مرض الفضل الكلوي؟".

قالت: "لقد فعلت - كل كلمة تمكنت من العثور عليها لكي أتمكن من مساعدة جوزيف".

قال: "هل فاتك الجزء الذي يتحدث عن الفترة التي يستغرقها حتى يقتل المريض بمجرد أن يصل إلى مرحلته الأخيرة؟ إن المرء سيكون محظوظاً لو عاش لشهرين". ثم التفت كونري نحوي أنا وبوارو وقال: "أيها السيدان،

لقد قرأت التوصية التي قدمتها الأنسة بورليه إلى الليدي بلايفورد عندما تقدمت للعمل لديها. لا أمانع أن أخبركم بأنها مثالية تماماً. وشككت في أنها مزورة".

مكتبة الرمحي أحمد

قالت صوفي: "أنت سخي. هذا افتراء".

شكل كونري بسببته وإبهامه شكل المسدس وقال: "أعلم الآن أني كنت مخطئاً. لقد أرسلت أحد رجالي إلى دبلن ليتحدث شخصياً إلى الشخص الذي أوصى بتعيينك. وبهذا، علمت أنك ممرضة رائعة – واحدة من أفضل الممرضات على الإطلاق".

قالت: "وهل تلك هي طريقتك في مكافأتي، عبر أن تقترح أني —".

صاح كونري: "أخربي!".

غمغم أودواير بصوت غير مسموع، ولكن بدا أنني لم أتمكن من سماع شيء عدا الكلمة الأخيرة: "رسم".

سأله المحقق قائلاً: "هل لديك شيء لتقوله؟".

قال أودواير: "لا، على الإطلاق. لقد فكرت في شيء ما... ولكنه ليس مهماً".

صاح كونري: "قله".

بنظرة لا يمكن وصفها بشيء سوى الرعب ارتسمت على وجهه، قال أودواير: "عندما كنت صغيراً، كنت أنا وشقيقي دائمي الشجار، وكانت أمي تراقبنا ونحن نكيل الضربات لبعضنا الآخر ولا تقول شيئاً، ولكن، إن أمر أحدنا الآخر بأن يخرس — كان يرسم تعبير غريب على وجهها. فلم يكن هناك فارق من وجهة نظرها بين كلمة أخرس وأكثر الشتائم النابية.

سيدي، أؤكد لك أن ما قلته لا يتعلق ب —".

أمره كونري قائلاً: "أكمل".

قال أودواير: "حسنًا، كنت وشقيقي لا نرغب في أن يُفسل فم كل منا بالصابون، ولكننا كنا نتوق لأن نقول لبعضنا الآخر أخرس مثلما ن فعل دائمًا؛ لذا عثرنا على طريقة للتحايل على أمانا. كنا نقول: أخرس المذياع، من دون المذياع... وإن سمعنا أمانا، كنا نتظاهر بأننا نتحدث عن المذياع وأن أحدنا نسيه يعمل. ولكننا كنا نعلم ما تعنيه الجملة: أخرس المذياع، من دون المذياع... تعني لنا كلمة أخرس. وكان قولك لتلك الكلمة هو ما جعلني أتذكر هذا الأمر يا سيدي".

زفرت الهواء الذي ظللت أحبسه في رئتي لبعض الوقت. تصرف كونري كما لو أن أودواير لم يتحدث من الأساس، وقال لصوفي: "كنت تدفعين سكوتشر على مقعده المتحرك في جميع الأنحاء، رغم علمك أنه قادر على السير مثل الجميع. وكنت تعطينه أدوية تبين أنها ليست أدوية من الأساس —".

قالت صوفي: "لم أكن أعلم هذا. وكانت الزجاجات تحمل توقيع طبيب جوزيف من أوكسفورد".

قال كونري بتعجب: "أوكسفورد؟"، وبدا كما لو أنها كانت تتحدث عن كوكب المريخ.

قالت صوفي: "حيث كان يعيش جوزيف قبل أن يأتي إلى منزل ليلى أوك". قال كونري: "ولماذا لم يعثر لنفسه على طبيب من كلوناكيلتي بعد أن استقر هنا؟".

قالت: "كان مرتبطًا بطبيبه من أوكسفورد الذي كان يعرفه منذ أمد بعيد".

سألها كونري: "ما اسم هذا الطبيب؟".

قالت: "لا أعرف. فجوزيف لم يكن يحب التحدث عنه".

قال كونري: "أنا واثق بذلك. كم عدد مرات سفره إلى أوكسفورد ليقابل طبيبه؟".

قالت: "مرة أو مرتين كل عام".

قال: "هل كنت تذهبين معه؟".

قالت: "لا، كان يفضل الذهاب بمفرده".

قال: "هذا أمر طبيعي - لأنه كان يحاول الحفاظ على استمرار كذبه لوقت طويل"، ثم رفع كونري ذقته لأعلى حتى يتمكن من ضرب صدره بها بقوة أكبر، ثم نفذ ضربته بالفعل، وقال: "رجل يحتضر يحتاج إلى ممرضة لتقله من غرفة إلى أخرى داخل المنزل، ولكنه يسرع مسافرًا إلى أوكسفورد بمفرده ومن دون أن يواجه أية صعوبات على الإطلاق، ليزور طبيبه الوهمي. وهذا الطبيب نفسه يرسل له زجاجات موقعة باسمه تحتوي على مركبات عشبية على أنها أدوية. هل ما زلت تتكرين أنك كنت تعرفين الحقيقة منذ البداية؟".

قالت صوفي: "كنت أعلم الحقيقة وما زلت: كان جوزيف يحتضر بفعل مرض الفشل الكلوي، ولم يكن ليكذب عليّ مطلقًا".

قال كونري: "بل كان يكذب، وقد فعل؛ وهذا أمر لا ريب فيه. ومن خلال كذبك عليّ، فإنك تساعدين قاتله على النجاة بفعلته".

وقفت صوفي فجأة وقالت: "بل على العكس. لقد أخبرتك بأنني رأيت كلاوديا بلايفورد تضربه بالهراوة على رأسه حتى لم يتبق منه شيء عدا الدم والعظام المتكسرة. لقد أخبرتك بمن يكون القاتل على الفور، ولكنك لم تلق القبض عليها. ثم تتساءل عن سبب عدم تصديقي لطبيبك؟ أنت لست محققًا جيدًا! أنا أشفق عليك".

سارت صوفي ببطء نحو المحقق كونري وقالت: "إن كنت ترغب في القبض على قاتل جوزيف، فستسمع إليّ بينما أخبرك بهذا للمرة الأخيرة – ثم سأكون قد انتهيت منك. لقد سمعت جوزيف يتحدث مع كلاوديا بلايفورد، بينما كان من المفترض أن يكون ميتاً بالفعل قبل ساعة بسبب سم الإستركنين. ولكنه لم يكن ميتاً. بل كان حياً، وكان يتوسل لكلاوديا ألا تقتله، بينما كانت تقف فوقه رافعة الهراوة فوق رأسها. لا أنكر أنه ربما كان هناك سم الإستركنين في دماغه، ولكن، لا يمكن أن يكون تقرير الطبيب كلاودر الذي قرئ في التحقيق صحيحاً. كيف تثق برجل لا يمكنه أن يزرر أزرار قميصه بالشكل الصحيح؟ والذي لا يمكنه ربط رباط حذائه، والذي تتساقط أشيائه من جيوبه في أثناء سيره؟".

التفت كونري نحو أودواير وقال: "خذ هذه الكاذبة بعيداً".

الفصل ٢٥

شريمب سيدون والابنة الغيور

لم تكن رحلة العودة بالسيارة إلى ليلي أوك مبهجة؛ فقد كنت جالسًا بجوار بوارو وفي مواجهة صوفي بورليه. وكانت السماء في ذلك الوقت قد اكفهرت وبدأت تمطر، وبدأ الظلام يزحف. لا أمانع معايشة الليالي في لندن، بل نادرًا ما ألاحظها من الأساس. كان ينتابني دومًا إحساس بأن اليوم التالي يستعد للانطلاق، ولا يمكنه أن يطبق صبرًا ليفعل. أما شعوري حيال كلوناكيلتي فكان على العكس تمامًا: قد لا تزال في منتصف الظهيرة ولكنك لا تزال تشعر بأن الليل سيقفز ويطرد النهار عندما يرى الوقت مناسبًا.

كان بوارو يجلس متململاً بجواري، وكان يعدل من هندامه وشاربه باستمرار. وكلما مرت السيارة على مطب، كان يرفع يده ليعدل من وضع شعره الذي لم يتحرك من الأساس. ثم قال أخيرًا: "يا آنسة - هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟".

تطلب الأمر من صوفي بضع ثوانٍ لتتحرر من شرنقة الصمت التي أحاطت نفسها بها وقالت: "عن ماذا يا سيد بوارو؟".

قال بوارو: "لا أقصد أن أزيد من تعاستك، ولكن هناك أمراً أريد أن أعرفه. كيف تصفين علاقتك بالآنسة كلاوديا؟".

قالت: "لقد تدهورت منذ اتهمت بها بأنها قاتلة".

قال: "وقبل هذا. هل كنت تحبينها؟ هل كانت تحبك؟".

قالت: "كان يجب أن تطرح السؤال الثاني أولاً. لم تمنح لي فرصة التفكير فيما أشعر به تجاهها حتى أصبح من الجلي أنها تنقم عليّ بكل جوارحها. لذا... كان من الصعب بالنسبة لي أن أفكر في حسن نيتها تجاهي أو معاملتها بعطف".

قال: "إنك تجعلين الأمر يبدو كأنك قد حاولت".

قالت: "لقد فعلت. إن كلاوديا تمتلك بعض الصفات المثيرة للإعجاب. وكان من المؤرق أن أعيش في بيت واحد مع شخص يمقتني. وكثيراً ما اعتقدت أن أفضل علاج للأمور، إن كان هناك من يملك، أن تتعامل معه دوماً ومن دون كلل بطريقة ودودة وبروح مرحة. إن الأمر ينجح في كل مرة تقريباً".

قال بوارو: "ولكنه لم ينجح مع كلاوديا".

قالت: "لا بكل تأكيد. لقد كان إصرارها على احتقاري مبدأً خاصاً بها".

سألها بوارو: "أي مبدأ؟".

قالت: "لقد رحبت بي الليدي بلايفورد، وسرعان ما أحببتي كثيراً. وكلتانا أحببت جوزيف وكنا نتحدث كثيراً عن أفضل طرق رعايته؛ الأمر الذي قوى الرابط بيننا".

قال بوارو: "وهذا ما جعل كلاوديا تشعر بالغيرة، أليس كذلك؟".

قالت: "أعتقد أنها رأت أنني الابنة المعطوفة لليدي بلايفورد، والتي لم تتمكن من أن تكونها أبداً".

سألها: "هل كانت كلاوديا تحب سكوتشر؟".

قالت صوفي: "لا شك في أنها كانت تحب وجوده هو ورائدال كيمبتون، الذي تحبه كثيرًا - كان هذان الرجلان هما الشخصين الوحيدين اللذين أظهرت كلاوديا اهتمامًا بهما طوال حياتها"...
سألها بوارو: "لماذا تعتقدين أن الأنسة كلاوديا قتلت السيد سكوتشر إن كانت تحب وجوده، كما قلت؟".

أغمضت صوفي عينيها وقالت: "لقد طرحت هذا السؤال على نفسي... لا يمكنك أن تتخيل كم طرحته على نفسي. ولا يمكنني أن أفكر في سبب لفعلتها تلك. يبدو أنه لا سبب لذلك، ربما، عدا تلك المرأة أيريس التي ذكرتها. هل عرفت من تكون وما صلتها بجوزيف؟ إنه لم يذكرها لي على الإطلاق".

سألها بوارو: "هل تعتقدين أن طلب السيد سكوتشر الزواج بك له علاقة بالجريمة؟ ما زلت أساءل عن دافع الغيرة. إنه شعور شديد الخطورة".
قالت: "لا. لم تكن كلاوديا تنظر إلى جوزيف على أنه حبيب محتمل. إن رائدال كيمبتون هو حياتها بأكملها، ولم تبد أي اهتمام بأي رجل آخر على الإطلاق"، ثم عضت شفتها وقالت: "سيبدو الأمر كما لو أنني أناقض نفسي، ولكن... لا أعتقد أن كلاوديا كانت تغار مني. أعتقد أنها بذلت جهدًا كبيرًا لتقنع نفسها بأنها تغار مني، ولكني أشك في أنها تغار من منافس أكثر مني قوة بكثير".

سألها وبوارو في صوت واحد: "من؟".

قالت: "شريمب سيدون... بطلة روايات الليدي بلايفورد. أعتقد أن كلاوديا شعرت في صفرها بالكثير من الألم؛ لأن والدتها كانت تهتم كثيرًا بشريمب وتقضي الكثير من الوقت معها. فعندما يسمع المرء الليدي بلايفورد وهي تتحدث عن كتاباتها سيدرك أنها تثير اهتمامها أكثر من أي

شيء آخر. وشريمب ماهرة للغاية وخيالية، وبالتالي فهي بعيدة عن تناول كلاوديا لعقابها؛ لذا يجب أن يكون هناك بديل – شخص يمكنها أن تفرغ فيه جميع الألم الناتج عن تجاهل أمها لها منذ طفولتها. وأعتقد أنني كنت مطابقة للمواصفات تمامًا".

قال بوارو: "آنستي. أريد أن أطرح عليك سؤالاً آخر. هل يمكنك أن تحكي لي مرة أخرى من فضلك قصة اكتشافك لجثة جوزيف سكوتشر – ماذا رأيت عندما عدت إلى المنزل في تلك الليلة؟".

قالت صوفي: "لقد أخبرتك بكل شيء بالفعل".
قال: "أرجوك".

قالت: "لقد دخلت المنزل، وسمعت أصواتاً عالية لرجل وامرأة؛ فتوجهت نحو غرفة الجلوس، وقد بدا أن الأصوات آتية من هناك. ورأيت كلاً من كلاوديا وجوزيف، وكان جوزيف جاثياً على ركبتيه يتوسل للإبقاء على حياته".
كان هذا جوزيف سكوتشر الذي من المفترض أنه مات قبل ساعة على الأقل بسبب سم الإستركنين، كما ذكرت نفسي.

تابعت صوفي حديثها قائلة: "ثم قالت كلاوديا ما قالتها عن أيريس: كان هذا ما يجب أن تفعله، ولكنها لم تفعل؛ لذا قتلتها... أو شيء من هذا القبيل. ثم بدأت أصرخ، فألقت كلاوديا الهراوة وفرت بسرعة – عبر الباب المؤدي إلى المكتبة. لماذا جعلتني أقص ما حدث مرة أخرى؟ إنها ذكرى رهيبة".
لم أتمكن من منع نفسي من الشعور بالفخر عندما طرح بوارو سؤالاً على صوفي اقتبس منه.

"لقد رأى شخص ما كلاوديا بلايفورد مع راندال كيمبتون على قمة الدرج في ذلك الوقت يا آنسة، عندما كان الجميع يهبطون الدرج ليروا سبب الصراخ. ولا يوجد إلا طريق واحد يؤدي إلى ذلك المكان، وهو عبر صعود

الدرج نفسه بسرعة بعد أن هاجمت السيد سكوتشر، وقبل أن يتمكن أحد من فتح باب غرفته. هل تمكنت من سماع خطوات كلاوديا بلايفورد تصعد الدرج؟ أعتقد أنك كنت ستمكنين من سماع صوت خطواتها في بهو المنزل إن خرجت من المكتبة. إن الأرضية مبلطة بالكامل ولا توجد أية سجاجيد. وربما تساءلت عما إذا كانت قد خططت للهرب، فقد قتلت الرجل الذي تحبين. كان هذا سيجعلك أكثر مراعاة لتتبع تحركاتها".

بدأت عينا صوفي تدوران في محجريهما في محاولة منها للتذكر، ثم قالت أخيراً: "لا، لم أسمع شيئاً. ربما فرت كلاوديا نحو الطابق العلوي، ولكن... ولكنني لم أسمعها. لم أسمع سوى صوت صرخاتي".

الفصل ٢٦

تعريف كيمبتون للمعرفة

بمجرد توقف السيارة أمام منزل ليلي أوك، خرجت صوفي بورليه منها بسرعة كما لو كنت أنا وبوارو نسجنها رغماً عنها، وبدأت تعدو نحو المنزل. قال بوارو وهو يزهر زهرة عميقة عندما خرجنا إلى الهواء البارد: "لقد تغير كل شيء يا كاتشبول".

قلت: "هذا صحيح. لم يكن القتل مريضاً بالفضل الكلوي، ولا مفر من أنها الحقيقة".

قال بوارو: "على ذكر الفرار... أياً كان ما قد يقوله المحقق كونري الآن بعد انتهاء التحقيق، سأطلب منك أن تبقى معي هنا في ليلي أوك حتى أنتهي من حل القضية. إن وجودك بجانبني يساعد على تدفق أفكارى. ويمكنني أن أخاطب شرطة سكوتلاند يارد نيابة عنك لأخبرهم ببقائك إن كان هذا...". قلت: "لا حاجة بك لذلك. نعم سأبقى". لم أخبره بأني اتصلت هاتفياً برئيسي صباح اليوم، قبل بدء التحقيق، وقد كان مجرد ذكر اسم هيركيول

بوارو كافيًا لتحقيق ما كنت أصبو إليه. ولم تكن لديّ أية نية للذهاب إلى أي مكان آخر إلا بعد حل لغز مقتل جوزيف سكوتشر.

قال بوارو: "سأحل اللغز يا كاتشبول. ثق بهذا".

قلت: "أنا واثق بهذا". كنت أثق به تمامًا، وكان يثق بنفسه بالقدر ذاته، ولكنني لم أكن أثق بكونري.

تهد بوارو قائلاً: "إن تلك القضية مليئة بالتناقضات. كان سكوتشر يُحتضر بسبب مرض الفشل الكلوي، ولكن تبين أن هذا ليس صحيحًا، فإنه لم يكن يُحتضر – بل كان سليمًا معافى. قُتل سكوتشر عبر تهشيم رأسه بهراوة ثقيلة – ولكن تبين أن هذا ليس صحيحًا، لقد مات مسمومًا هذان الأمران اللذان يتعلقان بسكوتشر كنا نعتقد في صحتهما، ولكن تبين أنهما ليسا صحيحين".

لم أكن أدري أنني سأقول الكلمات التالية حتى وجدتها تخرج من بين شفتي: "أيريس جيلو – ماذا لو كانت مفتاح السر للأمر برمته؟".

سألني بوارو: "ماذا تعرف عنها؟".

قلت: "لا أعرف سوى أنه يجب على راندال كيمبتون أن يخبرنا بمن تكون – لأنه يتراءى لي أنها جزء مهم من القصة بأكملها".

"ليس بالضرورة"، جاءت تلك الكلمات من خلف المكان حيث كنا نقف أمام باب منزل ليلي أوك الرئيسي.

التفتُ خلفي فرأيت كيمبتون يسير نحونا واضعًا يديه في جيبه معطف طويل رمادي اللون وهو يقول: "لا أنكر أن أيريس مهمة، ولكن لا صلة لها بالموضوع. هناك اختلاف بين الأمرين. هل تفضلان بالدخول؟ لقد قلت إنني سأخبركما بها بعد انتهاء التحقيق، ولقد أضعنا وقتنا بما يكفي".

لم تكن هناك أية أنوار مضاءة داخل المنزل، وبدا كأننا دخلنا كهفًا مهجورًا. قال كيمبتون في حنق: "هأنذا أدخل ظلمة الليل الحالكة بحثًا

عنكما، لاكتشف أنها لم تظلم بعد وأنه من الرائع أن يتمكن المرء من تلمس طريقه".

بمجرد أن دخلنا المكتبة بعد إضاءة الأنوار، قال بوارو: "كنت تعلم أيها الطبيب كيمبتون، أليس كذلك؟".

قال كيمبتون: "أعلم ماذا؟".

قال بوارو: "أن السيد سكوتشر لم يكن يُحتضر عندما قُتل، وأنه لم يكن يعاني الفشل الكلوي، أو أي مرض آخر".

قال كيمبتون: "حسنًا... هذا يعتمد على تعريفك للمعرفة".

انتظرنا منه أن يضيف المزيد، وبدأ بدوره كأنه ينتظرنا لنقول شيئًا، وقد ارتسمت ابتسامته الجذابة على شفتيه. لكن بعد لحظات، انقلبت الابتسامة إلى عبوس وقال: "الشكوك القوية ليست معرفة، كما سيقول لكما أي محقق جرائم. أرى أنكما لستم مهتمين بهذا الموضوع؛ لذا سأغيره. نعم، كنت أعلم، طبقًا لمنظوركما من الأمور. لم أصدق للحظة أن سكوتشر يُحتضر، أو أن هناك أي شيء خطأ في كليتيه. لم أصدق هذا مطلقًا".

قال بوارو: "لماذا لم تخبرني بهذا على الفور يا سيدي؟".

قال كيمبتون: "هل تعني بعد مقتل سكوتشر مباشرة، أم بمجرد وصولك إلى منزل ليلى أولك؟".

قال بوارو: "الخيار الأول".

قال كيمبتون: "لتوفير طاقتي".

قال بوارو: "هل يمكنك أن توضح لي ما تعنيه بهذا؟".

قال كيمبتون: "لم أكن أرغب في الدخول في مجادلات، أو أن أضيع وقتي في محاولة إقناعك. ما الذي كان سيجعلك تصدقني إن أخبرتك بأن سكوتشر لا يُحتضر بسبب مرض كليتيه المميت؟ لا يشجع غالبية الناس

معارفهم على الاعتقاد أنهم سيلقون حتفهم قريباً في حين أن هذا غير صحيح. كنت أعلم أنني لو أخبرتك بهذا الأمر، لذهبت إلى آثي لتسألها، أو صوفي، أو كليهما، وكنت أعلم ما ستقوله كل منهما: /ني كاذب. وربما كنت قد تقول: مهلاً أيها الطبيب كيمبتون، لقد تركت خيالك يجرفك بعيداً. لا تكن قاسي القلب، فإن هذا لا يروق أحداً... أو كلمات أخرى توصل الرسالة نفسها. دعني أخبرك بأمر يا بوارو: سيظل هناك دوماً من يفعل المثل، بصرف النظر عن مدى منطقية الأمر. على أية حال، يسعدني أننا لم نعد بحاجة لتلك المجادلات الآن لأن الحقيقة قد انكشفت بالفعل بعد طول انتظار".

قال بوارو: "ماذا عن الآنسة كلاوديا؟ هل كانت تصدق مرض سكوتشر؟". ضحك كيمبتون وقال: "كلاوديا؟ بالطبع لا. ولا آثي أو صوفي أو هاتون، أو أي شخص آخر".

قال بوارو: "لقد أكدت صوفي بورليه على أن سكوتشر كان يحتضر، واتهمت طبيب الشرطة بالكذب بشأن حالة الكليتين. ما تعليقك على هذا أيها الطبيب كيمبتون؟".

قال كيمبتون: "مجرد هراء؛ فيمكنني، كطبيب، أن أخبرك بأنه لا توجد ممرضة - ناهيك عن كون صوفي ممرضة بارعة على ما أظن - قد تعود مريضاً كسكوتشر لفترة طويلة مثلما فعلت من دون أن تكتشف الحقيقة ولو بمحض المصادفة. أنت لست رجلاً يهتم بالعلم أو الطب يا بوارو - يمكنني رؤية هذا بوضوح - لذا دعني أوضح الأمر لك: كان سكوتشر يتحدث كثيراً عن موته الوشيك، كما أنه كان شديد النحافة. ومن جميع الجوانب الظاهرة، كان هناك الكثير من التشابه بينه وبين من يُحتضر بالفعل. لم يكن شديد الضعف أو مفرط الألم مطلقاً لدرجة أنه لا يستطيع أن يكون حاضر البديهة

ومراعياً للمشاعر وجذاباً. اسأل أي طبيب أو ممرضة عن مرضاهم الذين يوشكون على الموت، وستكتشف أن الإطراء على من يتحدثون معهم ليس من بين أولوياتهم. أما بالنسبة لسكوتشر، فكانت تلك هي أولوية، دائماً".

سحب كيمبتون أحد المقاعد بعيداً عن الطاولة المستديرة اللامعة وجلس عليه ثم قال: "إن صوفي بورليه ليست حمقاء، بل هي امرأة ذكية ومتبصرة. وكانت تعلم أن سكوتشر محتال، ولكن هذا لم يمنعها من حبه. وهي تكذب الآن لتحمي سمعته".

سأل بوارو: "ماذا عن الفيكونت بلايفورد وزوجته؟".

قال كيمبتون: "هاري ودورو؟ كانا يصدقان كل ما يقوله سكوتشر، وأعتقد أن تلك الحمقاء فيليس قد صدقته أيضاً".

قال بوارو: "لا أفهم. إن كانت الليدي بلايفورد تعتقد أن سكوتشر كان يخدعها بهذه الجراءة، لماذا أبقته عليه في ليلي أول؟".

قال كيمبتون: "هذا سؤال ممتاز. يجدر بك أن تسألها، وسأكون متشوقاً لسماع إجابتها".

قال بوارو: "ألم تسألها؟ ألم تسألها كلاوديا - ابنة الليدي بلايفورد؟".

قال كيمبتون: "لا، ولم نشر إليه من الأساس".

قال بوارو: "لماذا؟".

قال كيمبتون: "لكل منا أسبابه... سأخبرك بأسبابي أولاً. لقد فكرت ملياً في الأمر وتوصلت إلى أن آثي ذكية مثلي تماماً. كما أنها كانت تقضي معظم الوقت من اليوم بصحبة سكوتشر. لذا كانت تمتلك القدرة والفرصة للشك في أمره، والأهم من هذا، أنا على يقين من أنها فعلت، لذا ما الفائدة من إخبارها بأنني أشاركها شكوكها؟ فكان من الجلي أنها قررت ألا تتخذ أي

موقف تجاه الأمر – أبتقت على سكوتشر في عمله وظلت تتحدث معنا عن مرضه كما لو كان حقيقياً – الأمر الذي جعلني أفكر في أنها أيضاً كاذبة. "ثم تمادت في الأمر أكثر: لقد كلفت صوفي بورليه بمراعاة حاجات سكوتشر المرضية الوهمية. ولقد أصبحت في تلك اللحظة شريكة في أكاذيب سكوتشر الدنيئة. لم أكن بحاجة لاستثارة أية تحديات – ليس من دون دليل دامغ. كانت آثي ستدافع عن سكوتشر بكامل قوتها وتناصيني الدعاء، وكان هذا سيجعل كلاوديا تستاء كثيراً. إنها تستمتع بالقسوة على والدتها، ولكنها لا تدرك مدى تأثير آثي عليها في أعماقها. لا أعتقد أنها قد تتزوج برجل لا توافق عليه والدتها".

قال بوارو: "وما أسباب عدم تحدث الأنسة كلاوديا مع والدتها عن أكاذيب سكوتشر؟".

ابتسم كيمبتون وقال: "المتعة. إن الأمر دائماً ما يتعلق بالمتعة مع كلاوديا. إنها تعشق أمرين: الدراما والسلطة. ومن هذا المنطلق، فإنها نسخة طبق الأصل من آثي. لقد ألقت لآثي الكثير من التلميحات لتخبرها بأنها تعرف —".

قال بوارو في نبرة انتصار: "حسناً إذن، كانت كلاوديا تعلم، ولكنك كنت تشك فحسب".

زفر كيمبتون بضجر وقال: "لقد خيبت أملي يا بوارو. كيف يمكن أن تعرف كلاوديا أكثر مما أعرف أنا؟ ولكن، كانت لديها شكوكها، وتمكنت من استغلالها جيداً. تخيل لو التقت كلاوديا بسكوتشر ذات صباح على طاولة الإفطار وقالت: إن مرضك ما هو إلا كذبة كبيرة يا صديقي... أمام آثي والجميع. ماذا كان ليحدث؟ كان سكوتشر، وشركاؤه في الخداع، سينكرون، وكنا سنصر أنا وكلاوديا على أننا لا نصدقهم، وسينتهي الأمر. ولن تكون

هناك طريقة مؤكدة لحسمه، ولن يكون هناك تشويق من شأنه إثارة الحوارات في ليلي أوك، ولن يكون هناك غموض يمنح حياتنا الرتيبة بعض الإثارة. والأهم من كل هذا، لن يكون هناك مجال آخر لكلاوديا لكي تنتقل في أرجاء المنزل كما لو أنها، في أية لحظة، ستفصح عما يدور في ذهنها وتتسبب في المشهد المنتظر. كان انطباعي حول الأمر أن آثي كانت تخشى أن تفعل كلاوديا هذا ذات يوم، الأمر الذي منحها سلطة كبيرة. وحببتي تمسك السلطة. هل فهمت شيئاً يا بوارو؟ أعتقد أن أسلوب حياتنا يبدو غريباً بالنسبة لك".

قال بوارو: "ليست أغرب من حياة الجميع".

قال كيمبتون: "أخالفك الرأي". ثم حمل صوته نبرة تحذيرية وهو يقول: "أخبرني: هل التقيت من قبل رجلاً يتظاهر بأنه يوشك على الموت في وقت غريب، على الرغم من أنه سليم معافى؟".

قال بوارو: "أن يتظاهر بهذا الأمر بالذات؟ لا، لم أقابل".

قال كيمبتون: "لقد قتلها بنفسك، إذن".

قال بوارو: "ولكني التقيت ذات مرة بمجرم منذ أمد بعيد كان يراعي دوماً تجنب لعب الشطرنج —".

قاطعه كيمبتون قائلاً: "ولكن، بصرف النظر عن قتل سكوتشر... لا يهم سبب موته، فقد مات لأنه دعا الموت إلى حياته، من دون الحاجة لذلك. لم أكن أكثر قناعة بشيء مثل قناعتي بهذا. لم يكن الموت يتبعه، أو يسعى إليه — بل كان يعتمد عنه في الوقت الحالي، ولكنه ألقى بالطعم أمام أنف الموت، بكل تلك الأكاذيب التي قالها، ورد له الموت الصاع صاعين عبر سلبه حياته. هذا اعتقادي".

قال بوارو: "ولكن، هذا لا يبدو علمياً على الإطلاق".

وافق كيمبتون قائلاً: "سأوافقك على ذلك قائلاً: إنه ليس كذلك... لا بد أنه لا يزال ذلك المتخصص في أدب شكسبير موجوداً في داخلي. وكما لو أن هذا لا يكفي، ظهرت أيضاً أيريس. وهي السبب في أن أي رأي سأقوله عن سكوتشر لن يكون موضوعياً".

سأله بوارو: "أيريس جيلو؟".

قال كيمبتون: "نعم"، ثم نهض من مقعده وسار نحو النافذة مرة أخرى وقال: "ولكن، كان اسمها أيريس مورفيت عندما التقيتها للمرة الأولى. هل أخبرك بقصتها؟".

الفصل ٢٧

قصة أيريس

قال كيمبتون: "لقد التقيت أيريس مورفيت عندما كنت أدرس في أوكسفورد. كان هذا في الفترة والمكان نفسيهما عندما التقيت جوزيف سكوتشر. لا يمكنني مقاومة ذكر ذلك، على الرغم من أن تلك الإضافة لا تتعلق بموضوعنا، فإنني التقيتهما في اليوم ذاته، بالرغم من أنهما لم يلتقيا إلا في وقت لاحق. "هل أتمنى لو أنهما لم يلتقيا مطلقاً؟ هذا سؤال من الصعب الإجابة عنه. كيف يمكن للمرء أن يختار ما بين الحاضر وما كان مستقبلاً مجهولاً ذات مرة؟ أمر صعب دون شك.

"في الكلية، كانت غرفتي مجاورة لغرفة سكوتشر. والتقينا ذات مرة عندما كان كلانا يخرج من غرفته في آن واحد، مثل رجل وامرأة يخرجان من تلك المباني الألمانية العتيقة. وسرعان ما أصبحنا صديقين. فقد كان سكوتشر يمتدحني كثيراً، الأمر الذي رحبت به للغاية، كم كنت مخلوقاً أنانياً في ذلك الوقت. كنت أشعر بأن صداقتي به أقل شيء يمكنني فعله.

كنت أخطر بإرضاء غروري... فقد كان جلياً أن كل ما أنا عليه من ثروة ووسامة وثقة، هو كل ما كان يتمناه.

"هل تعتقد أن جوزيف وسيم؟ ربما كان - ولكن كانت ملامحه أرق من أن تكون ملامح رجل. هل تعتقد أنه واثق بنفسه؟ لم يكن كذلك في ذلك الوقت. فقد كان خجولاً كفأراً، وكان يتعلق بكل كلمة أقولها. وخلال ذلك، لاحظت أن معظم الكلمات التي كان يقولها، كانت في واقع الأمر كلماتي أنا. سمعته ذات مرة يتحدث إلى أحد أصدقائنا المشتركين عن حدث مثير وقع له في سيفيناوكس - إلا أن هذا الحدث كان قد وقع لي أنا، وليس له. كنت قد أخبرته بهذا الحدث، دون أن أعلم أنه سيحفظه عن ظهر قلب، ثم يعيد روايته وكأنه قد وقع له.

"وسرعان ما بدأت أتشكك في صدق أي شيء يخبرني به. هل حقاً جدته هي من أسقطت شبكة شعرها في طبق الأرز أم أنها جدة شخص آخر؟ هل فاضت المياه في المنزل الذي تربي فيه سكوتشر ودمرت كل ممتلكاته الأثرية، أم أنه منزل ذلك الحمال الذي ساعده على حمل حقائبه من قبل في محطة القطار؟ هل كان هناك فيضان من الأساس؟ من يدري؟

"ماذا؟ لا، أنا لم أتحدّه قط. لا أعلم. كنت أشعر بالأسف نحوه على ما أعتقد. وكنت آمل أنه يقول الحقيقة في معظم الأوقات - وقلت لنفسني إنه ربما جرفه خياله بعيداً في ذلك الموقف فقط؛ لأن تجربتي في سيفيناوكس كانت فوضى عارمة.

"ثم بدأ التملق. كنت قد كتبت بضع كلمات لمعلمي أعجبت سكوتشر كثيراً، وطلب مني أن يصنع منها نسخاً، على نفقته الخاصة، حتى يتمكن من مشاركتها مع والدته وشقيقه، حيث ستعجبهما تلك الكلمات كثيراً، كما قال لي. فكرت في الأمر على أنه استغلال، ولكنني أجبرت نفسي على قبول

طلبه، ولكن، بعد بضعة أسابيع، أخبرني سكوتشر بأن شقيقه قال إنها أجمل كلمات نثرية قرأها في حياته، وظل يُطري الحجج المقنعة فيها ويطري عبقريتها...

"أيها السادة، تذكروا من فضلكم أن شقيق سكوتشر الذي ذكرته، لأنني سأذكره ثانية - يُدعى بلايك - شب هو وسكوتشر في المزييري، وكان سكوتشر هو الشقيق الأكبر - وكان هذا هو كل ما تمكنت من معرفته عن صديقي المقرب الجديد في أوكسفورد، والذي كان يحاول جاهداً تجنب الحديث عن نفسه أو عائلته. شعرت بأن العائلة لم تكن تدعو للفخر ليتحدث عنها، وأن سكوتشر كان يخجل منها - ولكن، على مدار تلك السنوات الطوال، لم أعد أذكر إذا ما كان قد أخبرني بأي شيء عن هذا الأمر أم لا. ربما ملاً خيالي بتلك الفجوات في الذكريات من تلقاء نفسه.

"بعد شهرين تقريباً من لقائي بسكوتشر، بدأ يتحدث عن اعتلال صحته. كان قد عاد للتو من زيارة الطبيب، أو هكذا أخبرني، وأعلن أن لديه أنباء سيئة: هناك خطب ما في كليتيه - أمر خطير قد يؤدي بحياته. حينها، زاد شعوري بالأسف له، ومن قد لا يفعل؟ ثم هأنذا، تتوطد علاقتي سريعاً بأيريس مورفيت الرائعة...

"من المفترض بي أن أحدثكما عنها وليس عن سكوتشر، أليس كذلك؟. إن المشكلة تكمن في أن الماضي الغرامي للآخرين أمر ممل جداً، والرجل الذي كنت عليه في ذلك الوقت ليس الرجل الذي أنا عليه الآن، إلى جانب أنني متشوق للوصول إلى الجزء المثير من القصة. ولكن، يجب أن أرسى أولاً نقاطها الأساسية.

"كنت واقعاً في حب أيريس، وكانت تبادلني الحب - هذا كل ما يجب قوله عن هذا الأمر! لم تكن رائعة الجمال مثل كلاوديا، كما أنها لم تكن تملك

سرعة بديهة كلاوديا الجذابة التي أجدها لا تقاوم، أو حتى لسانها السليط. إن حبيبتي وقحة، أليس كذلك؟ أنا أحب امرأة وقحة. كانت أيريس أكثر طيبة وعطفاً بكثير. كانت ذات شفتين غليظتين حمراوين لم تكونا بحاجة إلى أحمر شفاه، وكانت بشرتها مثالية ملساء مثل تمثال من المرمر، وشعر أحمر ناري. كان هناك أمر مريح يتعلق بطباعها؛ فقد كانت هادئة وساكنة، ولكن شغوفة أيضاً: كما لو أنها تمكنت من القبض على النار وترويضها. بدت في ذلك الوقت بالنسبة لراندا ل كيمبتون الشاب نموذجاً للأنوثة - مرة أخرى، بشكل يختلف تماماً عن كلاوديا.

"إنني على قناعة بأن كلاوديا متكرة في صورة امرأة شابة جميلة، ولكنها في الحقيقة إمبراطور روماني قاس لا يرغب في شيء سوى الانتقام. إنها لا تسعد إلا بفكرة أن العالم أخطأ كثيراً في حقها - الأمر الذي يتكرر كل يوم، مع كل مطلع شمس. أما أيريس، فكانت مختلفة: كانت تمتنُّ لابتسامة أو كلمة طيبة، ونادراً ما كانت تغضب أو يتقلب مزاجها.

"قد ترى أنه من الغريب أن أنجذب إلى نوعين من النساء متناقضين إلى هذا الحد، ولكني أختلف معك. إن الأقطاب المختلفة تتجاذب، كما يعلم الجميع - كما أنه من المثير للسعادة الجمّة أن يلتقي المرء بالنسخة الأنثوية منه. إن كلاوديا هي نسختي الأنثوية والتي أتمنى الاستمتاع بوجودها كثيراً. هل يوجد أفضل من هذا؟

"هل صدمتكما؟ معذرة. كل ما في الأمر أنني أحب أن أركن إلى الحقيقة. وإن كانت تلك هي الحقيقة، فعلى المرء أن يتجرأ ويقولها كما هي. أنا لا أهتم كثيراً بالفضائل - ولكن من يمكنه أن يخمن ماذا تكون على أية حال؟ - ولكن من دون الصدق، فسيكون قدرنا أن نعيش حياتنا في الظلام. وكل هذا الكلام عن الصدق سيعيدني مجدداً إلى سكوتشر.

"زادت الأخبار التي عاد بها من عند الطبيب سوءًا وبسرعة. وكان الكثير من طلبة أوكسفورد قد أصبحوا يعلمون بأمر مرضه الكلوي في ذلك الوقت، ولكنني كنت في ذلك الوقت أقرب منه أكثر من أي شخص آخر، ولم يكن باستطاعة أحد أن يراقبه عن كثب مثلما كنت أفعل. ماذا كان قد التقى أيريس في ذلك الوقت، مرات عدة. وقد أكون قد ظلمتها عندما قلت إنني كنت أقرب لسكوتشر أكثر من أي شخص آخر. كانت أيريس تهتم بمرضه أكثر مني. كانت دائمة التحدث عنه – وكانت دائمًا ما تبحث عن أشياء من أجله وتسديه النصائح: ربما كان رزينًا ومتفائلًا، ولكنه كان عمليًا في الوقت نفسه، فكان يتأكد من أن يمرح ويستمتع بالحياة، ولكن ليس بإفراط – مرارًا وتكرارًا حتى أصبت بالفثيان. كنت قد وصلت إلى مرحلة حيث ضقت ذرعًا بسماع المزيد عن كليتي سكوتشر المريضتين.

"ومن منطلق قوة ملاحظتي، لم أفضل في ملاحظة أن الكليتين المدمرتين في تلك الجزيرة الجميلة – أعني بالجزيرة الجميلة هنا، إنجلترا – لم تمنعنا سكوتشر من فعل الأمور التي يحب فعلها، في حين أنها كانت تمنعه من القيام بالأمور التي لا يحبها. لن أثقل عليكم بالتفاصيل. يكفي القول إنني شككت في أمره، وشاركت شكوكي تلك مع العديد من الأصدقاء وأحد المسؤولين في الجامعة، حينها اكتشفت أن غالبية الناس يفضلون ألا يعرفوا الحقيقة إن كانت مريرة – هذا إلى جانب أنني لم أكن قادرًا على إثبات شكوكي. كان سكوتشر في ذلك الوقت يتملق كل من يلتقي به، في حين كان في الماضي لا يحاول تملق أحد سواي، ولم يكن أحد يرغب في التفكير في سوء نيته. سوء نية – يا لها من مفارقة! غالبية الناس لم يرغبوا في التفكير في أنه قد يكون معافى وغير صادق بالمرة. كانوا يفضلون التعامل مع جوزيف اللطيف المريض.

"ذات يوم، تتبع سكوتشر، من دون أن يدري، إلى ما أخبرني بأنه موعد مع الطبيب. ولم أندش عندما لم يقترب من أية مستشفى. كان قد قابل زوجة رئيس... حسنًا، لن أقول أية كلية؛ حيث إنني لا أرغب في أن أتسبب في مشكلات لتلك المرأة. ما أعنيه أنه رغم أنه كان من المفترض بسكوتشر أن يلتقي بطبيب مختص في أمراض الكلى - إذا به رجل يسير في إحدى الحدائق يتبادل الأحاديث السرية مع زوجة رجل آخر.

"بكل سذاجة، افترضت أنه من منطلق علاقته بتلك المرأة، فإنه لن يحاول استمالة أيريس، ولكني كنت مخطئًا. لم أكن قد تقدمت بعد للزواج من أيريس. ومثل أي أحق عتيد، استغرقتني الأمر فترة طويلة لأفعل، منتظرًا علامة ما تؤكد أنها الفتاة المناسبة لي. ولكما أن تتخيلا مدى صدمتي عندما أعلنت أيريس ذات يوم أن جوزيف سكوتشر قد تقدم للزواج بها وأنها وافقت! فقد كان سكوتشر يحتاج إليها أكثر مني، هذا ما قالت لي وهي تبكي. كنت قويًا، ولكنه كان ضعيفًا.

هل ستسألني عما إذا كنت قد أخبرتها بشكوكي. لا، لم أفعل. لم أكن قد فعلت من قبل، وإن فعلت ذلك الآن، ومن دون مقدمات، سأجعل الجميع يتشككون في دوافعي وفي نزاهتي. كانت أيريس ستظن أنني قد أقول أي شيء لأظهر سكوتشر أمامها بمظهر سيئ. ولم أكن أريد أن أقل من شأني أمامها، وكما قلت من قبل، لم أكن متأكدًا من صحة شكوكي. ماذا لو كنت مخطئًا؟ كنت سأبدو أحمق. لا شك في أن أحدًا لن يطلق كلمة كبيرة مثل تلك، وحاولت إقناع نفسي بهذا.

"بصراحة، كنت شديد الغضب من أيريس لدرجة أنني وجدت أن فكرة زواجها من ذلك المحتال الكبير ممتعة. وفكرت أنها هي وسكوتشر يستحقان بعضهما.

"وضع سكوتشر نفسه رهن رحمتي. وقال لي إن كل ما عليّ فعله هو أن أطلب وسيقنع هو أيريس بأنه لن يستطيع الزواج بها على الرغم من الحب الكبير بينهما. وتحديثه وفعلت، وقلت له: "أود كثيرًا أن تفسخ خطبتك من أيريس وتعيدها لي". كان يجب أن تريا النظرة التي بدت على وجهه، وبدأ يرغبى ويزبد. وأكد لي أنه بمجرد أن أفكر في الأمر بتأن، سأدرك أنني لن أتمكن من أعيش بسعادة مع امرأة خانتني من قبل مع أقرب أصدقائي.

وكان محقًا. وأخبرته بأنه يليق بأيريس وبأنها تليق به. وبالنسبة لي، لم أكن أريد أن تربطني بهما أية علاقة، وتأكدت من فعل ما أردت. ونجحت بعد ذلك في تجنب التعامل مع أي منهما، فيما عدا بضعة لقاءات خاطفة مصادفة في المدينة.

"بعد بضعة أشهر، وصلني خطاب من أيريس. وكتبت فيه أنها فسخت خطبتها بسكوتشر، ولكنها لن تقنع نفسها بأني قد أسامحها وأعود للارتباط بها. لم أكلف نفسي عناء الرد عليها، وتساءلت عما إذا كانت قد شكت في أمره مثلما فعلت. كانت قد أشارت في خطابها بوضوح إلى الثقة... ولكن، لا يمكنني تذكر التفاصيل. لقد مزقت ذلك الخطاب إربًا وألقيته في النار.

"بعد فترة وجيزة من خطاب أيريس، وصلني خطاب آخر – كان هذه المرة من شقيق سكوتشر الأصغر، بلايك، يطلب لقائي. كيف كنت لأرفض طلبًا كهذا؟ فكرت في أن شقيق سكوتشر لا بد أنه يعرف إن كان أخوه مريضًا بالفعل أم لا".

"اقترح بلايك سكوتشر أن نلتقي في مقهى تيرف. ولكني اعترضت على اختياره – فقد كان مكانًا مقيتًا – واقترحت أن نلتقي في مقهى كوينز لاين. فقبل اقتراحي وحددنا موعدًا للقاء.

"لا أعرف كيف سأحكي لكما عما حدث بعد ذلك. إن كيفية رواية الحدث مهمة بلا شك. وقد يختار المرء في بعض الأحيان خياراً عشوائياً ويأمل أن يكون صائباً.

"حسنًا، عندما وصلت إلى حيث سنلتقي، وجدته هناك بالفعل. كان انطباعي الأول عنه أنه يشبه أخاه كثيرًا، ولكن، بشرته كانت أكثر سمرة، ولهجته فظة. لا شك في أنه هو وسكوتشر قد تربيا في المنزل نفسه، ولكن لماذا لا يشذب هذا الرجل لحيته؟... كانت لحيته قد طالت بشكل مفرز، وكان شعرها أحمر في منتصفها ورمادياً عند حوافها. بدت لي مثل تلك اللحي التي تراها لدى القراصنة!

"سرعان ما نسيت كل شيء عن مظهره غير اللائق عندما أخبرني بأن شقيقه جوزيف يحتضر، وأن كل ما يأمله في حياته هو أن أسامحه. لم يكن يجدر به أن يسمح لصداقته بأيريس أن تتطور بهذه الطريقة، رغم معرفته أنها لي، أو توشك على أن تكون لي.

"سألت عما إذا كان السبب هو مرض كليتيه. فأكد لي شقيقه أنهما هي السبب بالفعل. سألته عن الوقت المتبقي لسكوتشر، فقال: بضعة أشهر أو سنة على الأكثر.

"أقر بأن تلك كانت المرة الأولى والأخيرة في حياتي التي لم أعلم فيها ما يجب عليّ فعله. لقد أدركت أنني كنت مخطئاً بشأن سكوتشر – مخطئاً تماماً. إن الولاء الأخوي رابط قوي؛ لذا من المؤكد أن رجلاً لن يقول إن شقيقه يحتضر إلا إن كان كذلك بالفعل.

"عندئذ قلت لنفسني: ولكن، مهلاً – لقد كان ما قاله الرجل أكثر قصة ركيكة سمعتها في حياتي. إن كان هذا الرجل سكوتشر الجالس أمامي يبدو

كرجل سيئ من دون أن يخجل، فما الذي يمنع أن يكون شقيقه على شاكلته؟ ولكن، سرعان ما أدركت أن نظريتي لا أساس لها من الصحة.

"بينما كنت أفكر في الأمر برمته، بدا بلايك سكوتشر يتحدث بسرعة أكبر. وفكرت في أن هذا أمر غريب.

"أحاول أن أقص عليكما القصة كما حدث لي بالضبط، ولكن الأمر صعب. ولكن يجب أن أحاول.

"بدا الأمر كأن هناك شيئاً ما أثار عصبية سكوتشر الأخ، ولكن، ما ذلك الذي حدث؟ هل لأنني بدوت كأني أفكر لفترة طويلة وبتركيز كبير؟ هل حضر للقائي مفترضاً أنني سأسرع معه إلى حيث يرقد سكوتشر وأبكي قائلاً: أنا أسامحك على كل شيء... ولم تظهر عليّ أية بادرة أنني سأفعل؟

"سألني بلايك سكوتشر: إن لم تتمكن من حمل نفسك على زيارة جوزيف، هل يمكنك على الأقل أن ترسل له خطاباً؟... والذي بدا أنه في عجلة من أمره في أثناء تحدّثه، وقال: أنا متردد في طلبي هذا، ولكنه سيعني الكثير بالنسبة له. وحتى إن لم تتمكن من قول إنك تسامحه – يمكنك على الأقل أن تتمنى له الراحة الأبدية في العالم الآخر؛ هذا إن كنت ترتاح لذلك بالطبع. هاك، هذه بطاقتي. يمكنك أن ترسل الخطاب لي، وسأوصله إلى جوزيف.

"قال بلايك سكوتشر تلك الكلمات وانصرف – هذا إن كان معي هنا من الأساس. وبالطبع لم يكن هو من كان يجلس معي.

"لا تنظروا إليّ بهذه الطريقة أيها السيدان. لو كنت أخبرتكما بكل شيء بسرعة، لفقدت القصة تأثيرها الدرامي. فقد أردت أن تمرّ بالموقف مثلما مررت به تماماً. تخيلاً صدمتي عندما مد سكوتشر الأخ يده نحوي بالبطاقة وانحسر كم قميصه قليلاً نحو الأعلى لأرى أن لون ذراعه يختلف عن لون يده ورقبته ووجهه. كانت اللحية والبشرة الداكنة والصوت الفظ تتكرراً

جيدًا، ولكن، عندما جلست مكاني أفكر في كل ما دار، اقتنعت تمامًا بأن الرجل الذي غادر مقهى كوينز لاين للتو لم يكن بلاليك سكوتشر، بل شقيقه الأكبر المحتال - من حينها وأنا أذكره في ذهني باسم بلاليك الزائف، وبكل إعجاب.

"العينان، والبنية العظمية وشكل الرقبة، نعم، لا شك في أنه كان جوزيف سكوتشر. كان يجب أن أكتشف الأمر في وقت أبكر مما فعلت عدا أنني لم أفكر في ذلك الاحتمال البعيد بأن رجلًا قد ينتحل شخصية شقيقه لكي يمنح قصته الملفقة بأنه سيموت في القريب المصدقية.

"وبعد بضعة أشهر، وصلني خبر زواج أيريس برجل يُدعى جيلو، برسيغال جيلو - رجل لا يناسبها بأية حال من الأحوال، فقد كان مدمنًا عنيفًا، ولم يكن ميسور الحال. لا شك في أن جيلو عثر على طريقة مناشدة عطف أيريس مثلما فعل سكوتشر قبله.

"أرسلت لي أيريس خطابًا آخر بعد زواجها تطلب أن تلقاني. كان هناك أمر ترغب في مناقشته معي، كما قالت. ومرة أخرى، لم أرد عليها. وبعد أسبوعين من وصول خطابها، سمعت أنها ماتت. كانت قد سقطت تحت عجلات القطار في لندن. وكان زوجها معها عندما وقعت الجريمة - أو الحادثة، طبقًا لاختلاف وجهات النظر. كان البعض يقولون إن جيلو هو من دفعها، ولكن قررت الشرطة في النهاية تبرئته مما هو منسوب إليه من اتهامات. السيد جيلو الآن نزيل سجن أبينجدون، بالقرب من أوكسفورد. إنه مكان رائع دون شك.

"حسنًا، كانت تلك نهاية قصتي المؤسفة. ولم تفتني ملاحظتكما بأنني الشخص الوحيد في هذا المنزل الذي يمتلك دوافع قوية لقتل جوزيف سكوتشر.

"ولكنني لم أفتل ذلك المحتال. وكذلك لم تفعل كلاوديا - ما يعني أن صوفي بورليه كاذبة، وفي رأيي، هذا يجعلها القاتلة. ولكن الغريب في الأمر - أنها كانت على وشك الزواج به، وبالتالي ستصبح امرأة فاحشة الثراء. والآن، بعدما مات، عادت جميع الممتلكات ليرثها هاري وكلاوديا، ولن تحصل صوفي على شيء. وإن كانت بريئة، فلماذا كذبت وألقت باللوم على كلاوديا؟".

"أمر غريب دون أدنى شك".

الفصل ٢٨

اعتقال محتمل

في اليوم التالي، وصل المحقق كونري والرفيق أودواير إلى منزل ليلي أوك قبل أن تشير الساعة إلى التاسعة صباحًا. ودعانا هاتون، أنا وبوارو - ليس إلى حيث سيتمكن أربعتنا من التحدث معًا، بل إلى الباب الرئيسي للمنزل. يبدو أن المحقق كونري كان يرغب في إجراء الحوار على عتبة الباب. قال المحقق كونري: "لقد حضرت لإبلاغكما، على سبيل الاحترام لكما، بأنني سأعتقل قريبًا شخصًا ما في المنزل بتهمة قتل جوزيف سكوتشر". فرد بوارو قائمته وتقدم إلى الأمام. وتراجع كونري نحو الخلف، ونظر إلى قدميه ليتأكد من أن المسافة بينه وبين بوارو آمنة. سأله بوارو: "هل تعتقد إذن أن صوفي بورليه هي القاتلة؟". قال كونري: "نعم. لطالما ظننت ذلك منذ البداية". قال بوارو: "أيها المحقق، هل لي أن أطلب منك شيئًا؟ أعتقد أن الممرضة بريئة. وأتمنى أن يتحول اعتقادي إلى يقين في القريب. لذا أرجوك أن —". قال كونري: "ستطلب مني ألا ألقى القبض عليها".

قال بوارو: "نعم - ليس الآن على الأقل".

قال كونري: "لو كنت استمتعت جيداً لما أقول بدلاً من مقاطعتي، لأدركت أنني لم أحضر إلى هنا الآن لألقي القبض على الأنسة بورليه".

نظر لي بوارو وبدت الحيرة على وجهه وهو يقول: "لم تحضر لإلقاء القبض عليها؟ لقد قلت إنك حضرت لاعتقال شخص ما أيها المحقق، فافترضت أنك —".

قال كونري: "إن افتراضك خطأ، أنا هناك لإلقاء القبض على الأنسة كلاوديا بلايفورد".

قلت: "ماذا؟ ولكنك قلت للتو إنك تشك في أن صوفي بورليه هي المذنبة".

أوماً كونري نحو أودواير الذي قال: "لا يوجد دليل على أن الأنسة بورليه قتلت سكوتشر. أما بالنسبة للأنسة كلاوديا، فلدينا دليل يكفي لأن نلقي القبض عليها".

قال بوارو متلعثماً: "أي دليل؟ لا يوجد أي دليل يدين كلاوديا بلايفورد".

وقفت خلف بوارو قريباً منه خشية أن يجثو على ركبتيه فأمسك به قبل أن يفعل.

قال أودواير: "هناك شهادة صوفي بورليه، التي قالت إنها رأت كلاوديا بلايفورد تهشم رأس سكوتشر بالهراوة، وأنها سمعت الرجل يرجوها ألا تقتله، ولكن من دون جدوى".

التفت بوارو نحو كونري وقال: "اللعنة! أيها المحقق، اشرح لي معنى هذا الهراء من فضلك".

قال كونري: "لست ملزماً بأن أشرح لك شيئاً يا سيد بوارو. أنا المسئول عن هذا التحقيق. وأنت مجرد ضيف في المنزل الذي وقعت فيه الجريمة. وينطبق الأمر ذاته على صديقك كاتشبول".

قلت لأودواير: "ربما رأيت صوفي تهشيم رأس سكوتشر بالهراوة، ولكننا نعلم جيداً أنه لم يمت لهذا السبب. لقد مات سكوتشر بسبب تسممه بسم الإستركنين قبل حوالي ٤٠ دقيقة من هذا. لذا، حتى وإن رأيت صوفي بورليه كلاوديا بلايفورد وهي تحطم رأس سكوتشر —".

قال بوارو: "أيها المحقق، أتوسل إليك. فكر قبل أن تفعل شيئاً. لماذا تلقي القبض على امرأة تدرك جيداً أنها بريئة بناءً على شهادة امرأة تشك في أنها القاتل الحقيقي؟ إن هذا غير منطقي بالمرّة بالنسبة لي".

قال كونري: "إن كلاوديا بلايفورد ابنة فيكونت وشقيقة فيكونت".

قال بوارو: "نعم، إنها كذلك. وكان هذا هو السبب الذي دفعك إلى عدم إلقاء القبض عليها عندما حضرت إلى هنا للمرة الأولى، حين قلت: لانية لديّ لأن ألقى القبض عليها على ابنة الفيكونت جاي بلايفورد لمجرد أن ممرضة مجهولة النسب اتهمتها باتهام غير مؤكد... ولكنك الآن حضرت لتفعل ما تجنبت فعله في الماضي".

قال كونري: "لقد تغيرت الظروف. إن ألقينا القبض على كلاوديا بلايفورد، ستبدأ الأمور في التكشف، وسرعان ما سنعرف من نلاحق. إن أودواير يوافقني على أن هذا هو الفعل الصحيح للإقدام عليه".

أكد الرقيب أودواير كلامه قائلاً: "هذا صحيح. في رأيي أن صوفي بورليه ربما كانت كاذبة، بل وربما كانت القاتلة أيضاً — ولكنها تقول إنها رأت الأنسة كلاوديا تضرب السيد سكوتشر بالهراوة. ولم يقل أي شخص آخر إنه رأى أحداً آخر غير كلاوديا بلايفورد يهاجم سكوتشر، أليس كذلك؟ لذا، فإن الشخص الوحيد الذي شوهد وهو يقدم على هذه الفعلة، فسيكون كلاوديا بلايفورد. هل تفهمني؟".

قال بوارو: "أتمنى لو أنني لم أفعل أيها الرقيب". ثم التفت نحوي وقد ظهرت نظرة قلق في عينيه، وأدركت ما يريد مني فعله - أن أتولى زمام الأمور. وكان هذا أمراً يمكنني فعله نيابة عنه. لم تكن هناك حاجة لإظهار العبقرية، بل إظهار الأمور التي كان يجب أن تكون ظاهرة للعيان.

قلت للشرطيين: "إنكما على وشك ارتكاب خطأ جسيم. أولاً، افترضتما أن الشخص الذي هاجم سكوتشر بالهراوة هو الشخص نفسه الذي دس له السم، ولا يوجد أي دليل على صحة فرضيتكما. في الظروف الخاصة التي تكثف تلك القضية، من المستحيل القفز إلى مثل هذا الاستنتاج من دون معرفة الدافع - أو الدافعين، للقتل. لماذا قد يرغب أحد في قتل سكوتشر؟ ولماذا قد يرغب أحد، بعد أن مات، في أن يبدو كأنه قد قُتل بطريقة أخرى - محطم الرأس وليس مسموماً؟ ربما كنا نتحدث عن شخصين مختلفين. ويمكنني التأكيد على ذلك. وبالنسبة لفكرتك يا أودواير عن أن أحداً لم يُر وهو يحطم رأس سكوتشر عدا كلاوديا بلايفورد في غرفة الجلوس بهراوة ثقيلة، فيمكنني أن أقنعك بخطئها!

"اسمعوا: لم يُتهم أحد آخر عدا كلاوديا بتحطيم رأس سكوتشر بالهراوة، ولم يشهد أحد ضده؛ وهذا يعني أن جميع الآخرين ربما كانوا مذنبين أولاً. في الوقت ذاته، كلاوديا بلايفورد هي بطلة القصة التي تدور حول أنها القاتلة، ولكننا نعلم أن الأجزاء الأخرى من تلك القصة ليست حقيقية بالمرة. لم يكن باستطاعة سكوتشر أن يرجو قاتله ألا يقتله؛ لأنه كان ميتاً بالفعل. لو كانت قصة صوفي حقيقية، كيف كانت كلاوديا لتتمكن من الوصول إلى قمة الدرج أمام غرفة مكتب الليدي بلايفورد من دون أن يراها أحد تعدون نحو الطابق العلوي؟ لماذا لم يكن هناك أي أثر للدماء

على الروب الأبيض الذي ادعت صوفي أن كلاوديا كانت ترتديه في أثناء ارتكابها للجريمة؟".

صمت قليلاً للتقاط أنفاسي، ثم قلت: "أيها السادة، كلاوديا بلايفورد هي الشخص الوحيد الذي قيلت عنه قصة تقول إنها قد حطمت رأس سكوتشر بالهراوة، والتي نعلم يقيناً أنها قصة كاذبة. ألا يمكنكم أن تتروا أن هذا الأمر لن يزيد من احتمال كونها القاتلة أكثر من أي أحد آخر؟".

قال بوارو: "إن كاتشبول محق أيها المحقق... أرجوك، لا تلق القبض عليها. لقد أصبحت أمتلك من المعلومات الآن أكثر مما كنت أمتلك قبل التحقيق - خلايا مخ بوارو الرمادية الصغيرة، إنها دائمة العمل - ولكنني لم أتمكن بعد من جمع الصورة الكاملة للفرز. إنني بحاجة إلى السفر إلى إنجلترا، فهناك أشخاص يجب أن أتحدث معهم بصورة عاجلة، ويحتاج كاتشبول أيضاً إلى طرح أسئلة ملحة على من في منزل ليلي أوك في أثناء غيابي.

"وعندما أعود إلى كلوناكيلتي، إن وفقت في رحلتي، سأكون قد أمسكت بجميع خيوط الفرز. أرجوك أيها المحقق... أعطني بضعة أيام، ولا تلق القبض على أحد حتى أعود. إن الإقدام على فعل من دون أساس راسخ يعد أمراً كارثياً".

صاح كونري: "إنجلترا؟ محال، لا يمكنك أن تفعل".

كانت تلك المرة الأولى التي أعرف فيها شيئاً عن تلك الرحلة إلى إنجلترا أيضاً، وأعتقد أن بوارو قد أحرز تقدماً اليوم أكبر مما فعل في أمس. حسناً - سأفتقده في ليلي أوك بالفعل، ولكن، إن كان يجب عليه أن يذهب، فسيكون عليّ أن أتحمل عدم وجوده لبضعة أيام.

ظهرت ابتسامة حادة على وجه بوارو كرد على كونري وقال: "أيها المحقق، إلى متى ستظل متمسكاً بأسلوبك المتزمت هذا؟ حسناً، أتمنى

أن أساعدك على حل غموض تلك القضية. وإن أمرتني بعدم الذهاب، فلن أذهب".

قلت: "أيها المحقق كونري، أظن أنه يجب عليّ ألا أعارض صديقي. إن كان بحاجة إلى الذهاب إلى إنجلترا، فيجب أن يذهب. إن بوارو ليس ذلك الشخص الذي يحب الذهاب إلى الأماكن وإرهاق نفسه إن لم يكن هذا ضروريًا، حيث إنه يفضل أن يحل غموض أية قضية تواجهه عبر الجلوس براحة في مقعد وثير والتفكير فيها مليًا. وأؤكد لك أنه لم يكن ليفكر في السفر إلى إنجلترا لو لم يكن هذا ضروريًا. وحيث إنه من الأدب لدرجة ألا يعرض عليك جميع الحقائق، فدعني أفعل ذلك نيابة عنه: إذا لم تسمح له بالذهاب إلى إنجلترا، فلن يتمكن من جمع المعلومات المطلوبة، ولن تُحل قضية قتل جوزيف سكوتشر، وستعود إلى دبلن بخفي حُنين، وهناك ستلاقي توبيخًا شديدًا من رؤسائك. هل تعتقد أنهم سيقدرّون جهودك عندما يعلمون أنك رفضت مساعدة من هيركيول بوارو، أم من الأفضل أن تعود إلى دبلن ظافرًا وأن تقول إنك استعنت بمساعدة المحقق البلجيكي العظيم وإن ثقتك به كانت في محلها؟".

وضع كونري ذفته على ياقة قميصه وقال بعد لحظات من التفكير: "حسنًا، يمكنك أن تذهب يا بوارو".

قال بوارو وهو ينظر لي نظرة تقدير: "شكرًا لك أيها المحقق". لاحظ كونري نظرة بوارو لي وقال: "ولكن، لا تأت لي باكيًا عندما تفشل وينتهي بنا المطاف بالقبض على كلاوديا بلايفورد بتهمة القتل. إن الأساليب التي اتبعتها اليوم يا بوارو لا تليق بك، وأحذرك من استخدامها معي مرة أخرى".

سألته ببراءة مصطنعة ومتعمدة: "عن أية أساليب تتحدث؟ إننا لم
نستخدم أية أساليب عدا المنطق ورجاحته".
ثم غمغم بواروقائلاً لي بعدما عاد المحقق كونري والرفيب أودواير
إلى السيارة التي أحضرتهم إلى ليلى أوك: "لا طائل من الجدل معه يا
كاتشبول. إن المنطق السليم في نظر هذا الرجل الذي يتشبث برأيه مجرد
أساليب دنيئة".

الفصل ٢٩

سجن ذي جرابر

في وقت متأخر من عصر اليوم التالي، وصلتني مكالمة هاتفية.

"إنه أنا يا كاتشبول - صديقك هيركيول بوارو".

قلت: "لا حاجة بك إلى أن تعرفني من تكون يا بوارو. لقد عرفتك من صوتك على الفور. إلى جانب أن هاتون الثرثار على غير عادته أخبرني بأنك المتصل عندما أخبرني بأن هناك اتصالاً هاتفياً لي. كيف حالك في إنجلترا؟".

قال: "في حال أفضل الآن بعدما انتقلت إلى غرفة أفضل من الفندق بها كل ما أحتاج إليه. لم تكن الغرفة الأولى التي وضعوني فيها مناسبة. إنني لا أشكو عادة من عيوب مكان إقامتي —".

قلت: "بالطبع لا تفعل ذلك"، ثم ابتسمت لنفسي وقلت: "لا يمكنني أن أخيل أنك قد تقول شيئاً من هذا القبيل".

قال: "لقد عدت عدت للتو من ذي جرابر. وكان من المهم بالنسبة لي أن أرتاح". وقد جعلني خلط بوارو بين العامية الإنجليزية ولهجته الأوروبية

الخالصة أضحك. فقد بدا كأنه يجربها معي ليرى إن كان يمكنه أن يستخدمها باستمرار.

قلت: "ذي جرابر؟ هل تعني السجن؟ وماذا كنت تفعل هناك؟".
قال: "هذا ما سأخبرك به الآن – ولكنني أرغب في سؤالك أولاً عما تفعله يا كاتشبول. ماذا فعلت منذ أن غادرت ليلي أوك؟".

قلت: "أنا؟ حسناً... ليس الكثير. لقد حصلت على قدر كافٍ من النوم عصر اليوم. لقد كنت بحاجة إلى هذا كثيراً. وما عدا ذلك... حاولت أن أختلي بنفسي قليلاً. إن المكان ليس مبهجاً هنا كثيراً من دون وجودك لتجعله مبهجاً. متى ستعود؟".

قال: "كنت أعلم هذا! توقف على الفور عن الاختلاء بنفسك، وافعل العكس. حاول أن تفتح حوارات مع الناس – والخدم أيضاً. تحدث وأنصت ولاحظ كل كلمة تُقال لك. كلما زدت من التحدث مع الناس زاد ما يفصحون عنه لك. يجب ألا تضع تلك الفرصة يا كاتشبول. أنا لا أضيع لحظة واحدة، لقد كنت أتحدث وأنصت".

قلت: "هل تعني في سجن ذي جرابر؟".

قال: "نعم. ذلك السجن الواقع في أبينجدون في أوكسفورد. إنه المكان حيث سُجن برسيغال جيلو، أرمل أيريس جيلو. لقد دار بيننا حديث مشوق حول وفاة زوجته. وبمجرد أن أنتهى مما أفعل في أوكسفورد – الأمر الذي لم ينته بعد – سأسافر على الفور إلى المزييري".

قلت: "المزييري؟ لماذا...؟".

قال: "إنها حيث ولد توماس هوبز – هل كنت تعلم هذا يا كاتشبول؟ إنه مؤلف كتاب *Leviathan*".

لم أكن أعلم هذا بالفعل. سألته: "وما دخل هذا الكتاب بمقتل جوزيف سكوتشر؟".

قال: "لا شيء على الإطلاق. ولكن تصادف أن هناك أمراً ما، حيث إنه عمل أدبي عظيم رغم ما قد يقوله البعض عن أنه ليس كذلك. نعم".

قلت: "ماذا تعني يا بوارو؟".

قال: "سأقول لك في الوقت المناسب يا صديقي. دعني أخبرك أولاً بشيء عن السيدة جيلو".

جذبت مقعداً بالقرب من الهاتف وجلست لأسمع قصته.

يبدو أن بيرسي جيلو وجد أن شخصاً في مكانة بوارو داخل السجن أمر يدعو للضحك مثلما فعلت أنا. كان قد ضحك كثيراً عندما رأى زائره الأنيق في تلك الغرفة الصغيرة الضيقة التي كان نزيلاً بها وقال: "لا أرى الكثير ممن هم على شاكلتك هنا. هل أنت واثق بأنك لم تضل طريقك نحو حفل الشاي الذي دُعيت إليه؟".

قال بوارو: "لقد أتيت للتحدث معك يا سيدي. أرجو أنك لا تمنع؟".

قال بيرسي: "لا مانع لدي، مثلك تماماً. هل كنت تنظر إلى الجدران؟ إنها لا ينقصها إلا بعض الدهانات. كما أنه لا توجد مساحة كبيرة هنا، ولكنها كافية. والطعام أفضل مما كان من قبل. كما أنهم يأخذوننا إلى قاعة عرض الأفلام مرة كل أسبوع – ولكنك لم تكن تعلم هذا، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "يبدو هذا رائعاً يا سيدي... هل كنت متزوجاً من فتاة تدعى أيريس مورفيت؟".

"نعم"، بدا جيلو مصعوقاً من أن بوارو، الذي لم يكن يعلم أي شيء عما يجري في السجن، قد يعلم شيئاً مثل هذا، وقال: "لقد تزوجتها بالفعل. كنت رجلاً نبيلاً في ذلك الوقت، مثلك – لا، لن تصدق هذا، ولكنها الحقيقة.

إنني أتكيف مع المكان الذي أجد نفسي فيه – هذا سر بقائي، وهكذا يجب أن تكون الأمور. من الغريب أن تسألني عن أيريس؛ لقد ماتت. لم تكن ترغب في الزواج بي في البداية، على الإطلاق".

قال بوارو: "لماذا تقول إنها لم تكن ترغب في الزواج بك؟".

قال جيلو: "كانت تحب رجلاً آخر: راندال كيمبتون. ولم تنسه أبدًا. لقد ضيعته من يديها – بسبب خطأ اقترفته كما قالت لي – ولم تتمكن من استرجاعه مطلقًا. لذلك اختارت بدلاً منه الرجل غير المناسب: برسيغال جيلو إسكواير"، قالها وارتسمت على شفثيه ابتسامة عريضة، كاشفًا عن أسنانه المكسورة المسودة، ثم أخرج علبة سعوط صغيرة ذات غطاء مرصع بالأحجار من جيبه. كان لون أظافره مماثلًا للون محتويات العلبة.

قال له بوارو: "أنا أعرف الطبيب كيمبتون".

قال جيلو: "هل ذكرني لك؟ وأيريس؟ هل أنت هنا لهذا السبب؟".

قال بوارو: "قال الطبيب كيمبتون إن هناك شائعات تتحدث عن موت أيريس – سقوطها تحت عجلات القطار ليس حدثًا عرضيًا".

قال جيلو: "إنه لم يكن طبيبًا في ذلك الوقت".

قال بوارو بتمهل: "ماذا عن موت أيريس يا سيد جيلو؟".

قال جيلو: "إنه لم يكن حادثًا. جريمة قتل. هل هذا ما قاله لك كيمبتون؟".

قال بوارو: "لقد قال إنك ربما دفعت زوجتك تحت عجلات القطار".

لم تبد الإهانة على وجه جيلو بسبب اتهامه بأنه قاتل، ولكنه واصل حشو أنفه بالسعوط وهو يقول: "لا، ليس أنا من فعل، بل امرأة ترتدي ملابس الرجال. متكررة. أخبرت الشرطة بهذا، ولكنهم نظروا لي بتعجب وقرروا ألا يستمعوا لما أقول. ما الذي قد يقوله رجل مثلي لهم ويستحق أن يستمعوا له؟".

سأله بوارو: "هل رأيت ما حدث؟ هل رأيت ذلك الشخص المتكرر يدفع زوجتك تحت عجلات القطار؟".

قال جيلو: "لا يا سيدي. ما رأيته هو أن أيريس سقطت فجأة. ولم أتمكن من فعل أي شيء. وقد بدا أنها سقطت من دون سبب. نعم، هذا ما حدث. وكان القطار يندفع نحوها، وسحقها سحقاً". هز جيلو رأسه وأمسك بعلبة السعوط وقال: "لقد أهدتني هذه العلبة. ليس في ذلك اليوم بالطبع، ولكني أتذكرها كلما نظرت لها. لقد كانت امرأة طيبة القلب، أيريس. كما أنها كانت ذكية – ولكنها لم تكن تستخدم عقلها كثيراً، ولم يكن هذا بالأمر الذي يعبذه الرجال. لطالما كنت أتعامل مع النساء بالطريقة ذاتها، لقد كنا متشابهين كثيراً، أنا وأيريس. ولكنها لم تتمكن قط من رؤية أنني الرجل المناسب لها، حتى بعد أن تزوجنا. فكثيراً ما كانت تتوق لرجل أفضل".

قال بوارو: "فهمت. لقد رأيته تسقط ثم...؟".

قال جيلو: "أشحت ببصري بعيداً، فلم أكن أريد أن أرى ما يحدث أمامي؛ لذلك التفت بعيداً، ورأيت – أوروبما يجدر بي أن أقول: رأيته. القبة والبزة واللحية – حمراء في منتصفها ورمادية من عند الحواف. ذكرتني بلحية قرصان من كتب الحكايات. لم يكن تنكراً سيئاً، ولكنه لم يخدعني".

غمغم بوارو قائلاً: "لحية قرصان. هذا أمر مثير للاهتمام".

قال جيلو: "لقد سقطت من على وجه هذا الشخص".

قال بوارو: "ما الذي سقط؟".

قال جيلو: "اللحية. بينما كنت أنظر نحوه، سقطت اللحية. أنا لا أطيل لحيتي، ولكني أعلم أنها لا تسقط من على وجه الرجل. حينها تيقنت من أنها كانت امرأة متكرة في هيئة رجل. وعند ذلك قبضت على اللحية الزائفة وفرت – الأمر الذي جعلني أتيقن أنها مذنبه. ولكني حاولت أن

أجمل الشرطة تعرف ما حدث، ولكنني كنت مدمناً ولا مهنة لديّ ليثقوا بما أقول، كما أن زوجتي كانت قد قضت نحبها للتو تحت عجالات القطار".
أوما بوارو برأسه متفهماً، رغم أنه لم يستطع أن يتخيل نفسه في موقف مشابه.

الفصل ٣٠

أكثر من مجرد حب

أول ما فعلته في ليلي أوك في صباح اليوم التالي، بناءً على تعليمات بوارو بأن أتحدث وأنصت للناس قدر الإمكان، هو أنني بدأت أبحث عن الليدي بلايفورد. وتبين أنها كانت تبحث عني أيضًا، وأعلنت أنها أفلحت في مسعاها عندما التقينا مصادفة، وقالت: "إدوارد... لقد عثرت عليك أخيرًا. هل تحدثت إلى بوارو هاتفياً ليلة أمس؟ لا أعتقد أنه أخبرك بموعد عودته إلى ليلي أوك، أليس كذلك؟ أمر غريب! أنا بالكاد أعرفه، ولكن تبين لي أنه من نوعية الأشخاص الذين يصبح المكان كئيلاً في حال غيابهم – هل ترى ذلك أيضاً؟".

كانت ترتدي ثوب الكيمونو الياباني الطويل تتخلله نقوش زرقاء وذهبية وبرتقالية. كان أنيقاً للغاية ولكنه جعلني لا أفكر في شيء عدا أوبرا ميكادو. كانت كلاوديا قد قارنت في وقت سابق بين الحبكة الروائية التي وضعها كل من جيلبرت وسوليفان في هذه الأوبرا ومنظور صوفي بورليه عن الزواج بجوزيف سكوتشر – الأمر الذي، كما تبين فيما بعد، لم يكن ليصبح

بالضرورة زواجًا قصيرًا لأن سكوتشر لم يكن يحتضر في نهاية المطاف، ولكنه لم يحدث لأنه قُتل.

أخبرت الليدي بلايفورد بأنني رهن أمرها، وأن بوارو سيعود فور أن يتمكن من هذا.

قالت: "يجدر به أن يفعل وإلا أدرجت اسمه في قائمتي السوداء"، ثم أخذت بذراعي وسحبتي عبر بهو المنزل وهي تقول: "إنها ليست قائمة حقيقية – إنها قائمة في ذهني وحسب، وبها أسماء من أخطأوا في حقي ولا يمكن أن أسامحهم. إنني أمتلك سجل تتبع دقيقًا لكل ما يحدث لي. يجب أن تبذل قصارى جهدك لكي لا يُدرج اسمك فيها يا إدوارد".

قلت: "سيكون هذا همي الأوحى في الحياة من الآن فصاعدًا". فضحكت لما قلت.

سألتها: "إلى أين نذهب؟".

قالت: "إلى غرفة الجلوس".

توقفت عن السير وحررت ذراعي من قبضتها وقلت: "غرفة الجلوس؟".

قالت: "نعم، لقد فكرت في أنها المكان المناسب لتحدث".

قلت: "ولكن...".

قالت: "كما أنها الغرفة التي عثرنا فيها على جثة جوزيف، أليس كذلك؟".

قلت: "نعم". كان الأمر يختلف تمامًا عن دخول الغرفة مع راندال

كيمبتون لنلقي نظرة على بقعة الدم – فلم يكن من الممكن أن نفعل هذا في أي مكان آخر، في حين كان يمكنني والليدي بلايفورد أن نتحدث في أي مكان آخر.

قالت الليدي بلايفورد: "لقد أزلنا السجادة الملطخة بالدم، لقد حصلنا

على إذن بهذا من رجال الشرطة. يمكنني أن أجعل آرثر كونري يفعل ما

أريد. أخبرته بالطبع بأنه يمكنه ألا يمنحني الإذن، وذكرت له أنه كان رائعا عندما منعنا جميعاً من التحدث، وأنه كان محقاً في هذا – وبالطبع، أصبح مطيعاً كحمل صغير. لذا تمكنا من إزالة السجادة بالأمس. لن ترى أي أثر للجريمة التي وقعت في غرفة الجلوس اليوم، أعدك بهذا".

قلت: "فهمت".

رمقتني بنظرة صارمة وقالت: "إنها واحدة من غرف منزلي يا إدوارد – الغرفة التي تدخلها أشعة شمس الصباح أكثر من أية غرفة أخرى في المنزل. ولن أسمح بتحويلها إلى مقام للموت. ولكني لا أرغب في الجلوس فيها هذا الصباح مثلك تماماً، ولكننا يجب أن نفعل – يجب أن نجلس فيها المرة تلو الأخرى حتى تختفي رهبتنا منها".

وافقتها الرأي قائلاً: "أعتقد أن تلك هي الطريقة الأكثر حكمة للتعامل مع الأمر".

قالت: "كما تبين في نهاية المطاف أن جوزيف لم يُقتل فيها".

تبعته نحو الغرفة متوقفاً أن أرى أرضية الغرفة عارية ولكن كانت هناك سجادة أخرى مكان السجادة القديمة: كانت تحمل ألوان الأزرق والأخضر والأبيض، وتحمل رسوماً لطيور تقف على الأشجار.

"اجلس يا إدوارد". أشارت الليدي بلايفورد إلى المقعد الذي اختارته لي، وكان يقع على الطرف الآخر من المكان الذي قُتل فيه سكوتشر، وكنت ممتناً لها على ذلك. وجلست هي أمامي على الكرسي الطويل الذي يقع أمامي.

قالت الليدي بلايفورد: "هناك أمور كثيرة ترغب في أن تسألني عنها، والكثير منها أيضاً أريد أن أخبرك به. هل نبدأ؟ جل ما في الأمر أنني لدي قصة أخفيها منذ فترة طويلة – أكثر قصص حياتي روعة – ولا يمكنني أن

أشارك فيها أحدًا. والآن، بعدما مات جوزيف وكشف التحقيق ما كنت أعلمه منذ أمد بعيد – أنه لم يكن مريضًا ولم يكن بالتالي يحتضر – يمكنني أن أتحدث بحرية أخيرًا. لا يوجد ما يجب عليّ أن أخفيه. وهذا أمر جعلني أشعر براحة كبيرة".

قلت: "يمكنني تخيل ما تشعرين به".

قالت الليدي بلايفورد: "كنت أعتقد أنني لن أتمكن من قص تلك القصة أبدًا. كنت قد قررت أحمي سمعة جوزيف الطيبة، ولكن، الآن، بعدما مات – أو قتل – من واجبي أن أخبرك بكل شيء. إن كنت أرغب في أن يُقبض على قاتله، فلا خيار آخر أمامي. أخبرني يا إدوارد: ماذا تتذكر من الحوار الذي دار حول طاولة العشاء ليلة مقتل جوزيف؟".

قلت: "أعتقد أنني أتذكر معظمه".

قالت: "حسنًا. لا بد أنك تتذكر إذن أنني بصدد إيضاح ذلك الفعل الغريب الذي أقدمت عليه. لماذا حرمت ابني وابنتي من الميراث وتركت كل ما أملك لسكرتيري؟ لقد قلت لجوزيف أمامكم جميعًا – ربما قلت الكلمات التالية بالنص، حيث إنني قد أعددت خطابي مسبقًا: أنه من المتعارف عليه بين الأطباء أن الحالة النفسية تمتلك تأثيرًا عميقًا على الحالة الجسدية... وأنني بصدد أن أعطي جوزيف شيئًا يعيش من أجله – ثروة كبيرة – على أمل أن يؤدي عقله الباطن دوره ويعالج مرضه العضوي. هل تذكر ذلك؟".

قلت: "نعم".

قالت: "حسنًا. قلت أيضًا إنني لم أعد أثق بأطباء جوزيف وإنني سأصعبه بنفسني في اليوم التالي لرؤية طبيبي الخاص، وهو الأفضل على الإطلاق. وهذا الجزء صحيح – لدي طبيب ممتاز. أما بقية ما قلت، فأقول خجلة

إنه كان كذبًا. ولتحري الدقة: كان كذبة محتملة. فلم أكن على يقين تام من صحة اعتقادي، وهنا كانت تكمن المشكلة".

أقررت قائلًا: "لم أكن على يقين تام أنا أيضًا".

قالت: "حسنًا إذن. كان صدقًا أنني لم أكن على استعداد لترك أطباء جوزيف ينجون بفعلتهم كما كانوا يأملون – بفرض أنهم أطباء حقيقيون وليسوا أطباء خياليين من ابتكاره. وكنت أنوي حقًا أخذه لزيارة طبيبي الرائع في صباح اليوم التالي لو لم يحدث شيء في تلك الليلة ليغير خطتي – وكنت أشعر بأن هناك ما سيحدث بالفعل في تلك الليلة". بدا الانزعاج على وجه الليدي بلايفورد وهي تقول: "ولكنني لم أكن أعلم أن جوزيف سيقتل. لو كنت أعلم أن هناك من سيقته، لما أقدمت مطلقًا على ما فعلت – الوصية الجديدة أو الخبر الذي أعلنته على العشاء. ولن أسامح نفسي أبدًا على سوء التقدير الذي فعلته. لقد كنت مغرورة تمامًا عندما اعتقدت أنني قادرة على توقع جميع عواقب أفعالي".

قلت: "قاتل سكوتشر وحده من يتحمل وزر موته".

ابتسمت وقالت: "هذا هراء – ولكنه هراء مريح؛ لذا سأحاول جاهدة أن أصدقه".

انتظرت في صمت أن تقول المزيد. فزفرت في النهاية كقطار ينفث دخانه وقالت: "لم أكن أصدق أن جوزيف يحتضر. ربما فعلت لفترة قصيرة بعدما أخبرني بمرضه – وكنت مستاءة جدًا، لقد أحببته بسرعة – أكثر من مجرد حب. ففي خلال أيام قليلة من وصوله إلى ليلى أوك، كنت أشكر الله على أنه أرسله لي. هل وانتك فرصة التحدث معه يا إدوارد؟ ستعرف إذن ما شعرت به: تشمر كما لو أنه لا يوجد في العالم من يفهمك أفضل منه، وبأن أحدًا لن يهتم لأمرك مثله".

قلت: "لقد بدا بالنسبة لي مراعيًا ومهتمًا لأمر الآخرين طوال الوقت".
 قالت الليدي بلايفورد: "نعم، وكان صاحب بصيرة أيضًا. كلما تحدثت معه، كان الأمر يبدو كأنه يمتلك مفتاحًا عجيبيًا يمكنه من فتح عقلي ويكشف لي أفكارى – الحكمة التي لم أكن أعلم أنني أمتلكها. كنت سأعترض بعناد إن اهتمت شخص ما عقلي بهذه الطريقة، ولكن، كان جوزيف يفهمني تمامًا، مثلما لم يفعل أحد من قبل. كما أنه كان ذكيًا. وكنت أفرح كثيرًا معه. لقد كانت صحبته هي الأكثر إثارة على الإطلاق. فعندما كان يعرض رأيه بشأن أمر ما – وكانت الكثير من آرائه لا تلقى قبولًا من الذوق العام – كنت أجد نفسي أتفق معه على كل شيء. كان يعلم دومًا ما يجب قوله، وكيفية قوله".
 لم تكن قد انتهت من حديثها بعد: "قد يبدو الأمر وهمًا يا إدوارد، ولكن في بعض الأحيان، كنت أشعر كأنه أخذت قطعة من روحي لتكون جوزيف. فبعدما وصل إلى ليلي أوك، لم أكن قادرة على التحدث إلى أي شخص آخر غيره؛ فقد كانوا جميعهم يبدوون كئيبين في نظري مقارنة به".

عدلت الليدي بلايفورد من جلستها على المقعد الطويل بحيث تجلس أمامي منتصبة وقالت: "إنني أخبرك بكل هذا حتى تتمكن من فهم ما سأقوله تاليًا. فعندما أخبرني جوزيف للمرة الأولى بأمر مرض كليتيه العضال، شعرت بالدهشة؛ فقد لاحظت أمرًا غير منطقي – لقد كان يؤدي كل ما يُطلب منه، ولم يبد عليه المرض قط. كنت مذعورة عندما سمعت أنه قد لا يعيش طويلًا، صدمة الحزن لا يوجد تعبير آخر يصف الأمر عدا هذا. لم تكن فكرة احتمال خسارته تُحتمل".

صمتت للحظات وأغمضت عينيها. وما كان بالنسبة لها مجرد خاطر، أصبح واقعًا. وفكرت أنه فيما يتعلق بالواقع، فإن المرء يتحمله لأنه لا خيار آخر لديه.

قالت الليدي بلايفورد: "وعلى الفور، عينت أفضل ممرضة تمكنت من العثور عليها من أجله: صوفي. وحاولت أن أجعله يزور طبيبي، ولكنه كان عنيداً ورفض فعل هذا. وعندما جاء لي وقال إنه مريض بالفضل الكلوي وأنه في مراحل المرض الأخيرة، ولن يعيش طويلاً... حسناً، دعنا نقل إني قد بدأت أشك في أمره في ذلك الوقت. ولكن، وعلى الرغم من شكوكي، تأثرت من عدم مراعاة جوزيف لنفسه. كان يبدو كأنه لا يهتم بشيء عدا راحتي. وطمأنني إلى أنه لن يستسلم وأنه سيظل معي لأطول فترة ممكنة. فحدثت نفسي حينها قائلة: كيف يمكن أن يبلغ الإيثار بهذا الرجل المريض المسكين درجة تجعله يقلق لشأني أكثر مما يقلق لشأنه؟ لا بد من أنه أطيّب رجل في العالم... ويُخجلني أن أعترف بأنه كان يجدر بي أن أفكر في تلك اللحظة: لماذا شككت فيه؟ ربما كان يتظاهر بالمرض، ولكن، لا شك في أن أي شخص سليم معافي لن يدعي أنه يُحتضر، ولا أمل في شفائه.

"ولكن، تغلب عليّ المنطق السليم مرة أخرى فيما بعد بكل تأكيد. فقد لاحظت أن جوزيف كان قادراً على التعامل كأنه غاية في الطيبة وأن يفكر أولاً في تأثير هذا عليّ، وهذا لأنه لم تكن هناك أية مخاوف صحية تقلقه ليتحدث عنها".

سألتها: "متى اكتشفت أنه كان يكذب بشأن مرضه؟".

قالت: "لا أعتقد أنه كان يكذب. إن أطلقت كذبة – وهو أمر أفعله في بعض الأحيان عندما يصب في مصلحتي، فهي تلك المرة التي أخبرت فيها إيديث ألدرديدج بأنني أرسلت لها خطاب شكر ولا بد أنه قد ضاع في البريد. تلك كانت كذبة، وأنا أعلم هذا جيداً. ولكني أعتقد أن جوزيف لم يكن يدري أنه يكذب – أو لا يكذب مثلما نفعل نحن على الأقل. لقد أقتع نفسه بطريقة ما أن كل هذا حقيقة".

قلت: "هل تعتقدين أنه كان يعتقد أنه مريض حقاً؟".

قالت: "لا، ليس بالضبط. بل أعني... أعتقد أن أكاذيبه كانت نابعة من دافع قسري وليس قراراً. لا بد أن هناك أمراً ما يتعلق بواقع حياته أو نفسه يمقته كثيراً، لذا لجأ إلى الخيال – الذي يمكنه أن يتحمّله. أنا على قناعة من أنه بذل قصارى جهده ليقنع نفسه بهذا حتى يتمكن من عيش حياته بصورة أفضل وفقاً لهذه القناعة. هل يبدو الأمر منطقياً بالنسبة لك؟".

قلت: "لا، على الإطلاق".

هزت الليدي بلايفورد رأسها وقالت: "ولا أنا. ولكني أعتقد أنني كنت أعرف جوزيف أفضل من أي شخص آخر – جوزيف الحقيقي إلى حد ما، وهذا ما قد يوصف به رجل مثل جوزيف، وأعتقد أنه لم يكن يشعر بشئ الطرق بأنه واقعي أكثر من القصص التي كان يقصها. ربما لم تلتق بأحد مثله من قبل يا إدوارد. ولو كنت فعلت، لاستوعبت ما أعنيه. يمكنني أن أقسم لك أن جوزيف كان يرغب في خداع نفسه مثلما يخدع الجميع. لهذا السبب لا يمكنني أن أحكم عليه حكماً قاسياً كما يجدر بي أن أفعل. لقد كان دافعه للكذب حاجة نفسية عميقة من نوع ما. أود كثيراً أن أناقش الأمر مع بوارو؛ حيث إنني أعلم جيداً أنه يهتم بعلم النفس".

أعدت صياغة سؤال الأول قائلاً: "متى بدأت تشكين في أن سكوتشر لم يكن مريضاً؟".

قالت الليدي بلايفورد: "لا يمكنني تحديد الوقت بدقة، ولكن، ربما بعد أسبوعين أو ثلاثة من إخباري بمرضه. كان هناك موعد مع طبيبه ولكنه ألغاه لسبب تافه – والذي اعتقدت أنه أمر غريب طبقاً لخطورة حالته. إنه لم يبد مريضاً على الإطلاق. ومن منطلق ملاحظاتي لسلوكياته، كان يبدو سليماً معافى مثله مثل هاري أو راندال أو أي شاب آخر. لقد كان شديد

النجافة - ولكن هناك كثيرين على شاكلته، ولا يوجد ما يمكنهم فعله بشأنه. وتكتشف أن الكثيرين منهم يأكلون بشراسة. تلك هي طبيعتهم. ثم، وفي مرة أخرى، سافر جوزيف إلى إنجلترا ليلتقي طبيباً معيناً جعلت خبرته الرحلة ضرورية. ولكن، لم يبد هذا/ حقيقياً على الإطلاق. لماذا لم يستعن بطبيب على مسافة أقرب ويمكنه زيارته لمرات أكثر؟ لماذا لم يأت الطبيب إلى المنزل قط؟

"لم أتمكن من إقناع جوزيف بإخباري باسم ذلك الطبيب الإنجليزي، وكان يتفادى الأمر دوماً عندما أثيره. وبمحض المصادفة، كانت كلاوديا في أوكسفورد في فترة وجوده نفسها هناك في زيارة لواحدة من صديقاتها، ولتمارس نشاطها المفضل بأن تذكر راندال بأنها لن تسامحه وأنها لن تستقبله مرة أخرى في منزلها، الأمر الذي تبين فيما بعد أنه محض هراء. "المهم، لقد رأت كلاوديا جوزيف في الساعة الثالثة وعشر دقائق، في الوقت الذي كان من المفترض به أن يكون عند الطبيب، ولكنه كان يحتسي كوباً من الشاي مع امرأة ذات شعر داكن وحاجب واحد طويل استمر نزولاً ماراً بوجهها، كما قالت كلاوديا. حسناً، لا حاجة لنا بذكر تلك الأمور القبيحة - من السهل الإسهاب في وصف تلك الأمور. على أية حال، كانت المرأة أكبر سناً بكثير من جوزيف. لم يكن الأمر عبارة عن موعد غرامي أو شيء من هذا القبيل، فقد رأتهما كلاوديا معاً من واجهة فندق راندولف وكانت المرأة تتناول قطعة من الكعك".

قلت: "واستنتجت أنت من لقاء سكوتشر بهذه المرأة أن... ماذا استنتجت؟ ما تأثير هذا على مرضه؟".

قالت: "كان قد أخبرني بأن مواعده مع الطبيب في تمام الثالثة. وبعد عشر دقائق فقط من الثالثة، كان في فندق راندولف. والآن، إن كنت على

وشك أن تقول: ماذا لو أن مواعده مع الطبيب قد انتهى بسرعة في خلال خمس دقائق واستغرق خمس دقائق أخرى للوصول إلى الفندق؟ ... فإنك بذلك لا تقدرني حق قدري. في لحظة تحذير كلاوديا لي - كان موظف الفندق عطوفاً بما يكفي لأن يسمح لها باستخدام الهاتف - طلبت منها أن تعطي السماعه لمدير عام الفندق لأتمكن من الاستفسار منه. وسرعان ما أخبرني بأن تلك الطاولة قد تم حجزها في تمام الثالثة بواسطة السيد جوزيف سكوتشر".

قلت: "فهمت. لذا، عندما رأتها كلاوديا مع تلك المرأة، سيمكننا أن نفترض أنه التقاها في تمام الثالثة وأنهما كانا قد قضيا عشر دقائق معاً". قالت: "بالضبط. بالطبع فكرت في أنه ربما كان طبيب جوزيف شخصاً غريب الأطوار يحب أن يلتقي مرضاه في الفنادق الفاخرة بدلاً من عيادته، هذا، إن كانت كلاوديا قد رأتها في فندق راندولف مع رجل، ولكنها كانت امرأة؛ ما يعني أن جوزيف كذب عليّ فيما يتعلق بمواعده مع الطبيب". قلت: "هذا أمر صادم دون شك. فبعدما علم بمدى حبك له، وبعدما جعلك تعتقدين أنك قد تفقدينه قريباً بسبب مرضه... ثم يتمادى أكثر ويؤكد احتياله".

قالت الليدي بلايورد: "كان الأمر صادماً بالفعل، ولكنني لم أشعر بالصدمة، بل كانت ردة فعلي الأولى، بمجرد أن تأكدت من أن جوزيف لا يحتضر وأنه ليس مريضاً من الأساس... حسناً، انتابتنى عدة ردود أفعال. كان أحدها الراحة السعيدة: لن أفقده. سيعيش!... ثم اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول: "لا يمكنني احتمال تذكر ما كنت أفكر فيه في تلك اللحظة. معذرة". ثم أخرجت منديلاً من جيب ثوب الكيمونو الذي ترتديه ومسحت به وجهها.

قلت: "لا حاجة بك إلى الاعتذار".

قالت: "هذا لطف منك، ولكني لا أحتمل التعبير عن مشاعري على الملأ. إنني أفضل أن أحلل الأمور بعيداً عن العاطفة. وحتى هذه اللحظة... وبعيداً عن بهجتي وراحتي، كنت متحيرة جداً بسبب سلوكيات جوزيف. لماذا قد يرغب رجل قادر على إخضاع العالم أمام فتنته في أن يختار أن ينحو هذا المنحى الغريب في الحياة؟ لقد كنت مخدوعة - وكنت ممتنة لذلك".

قلت: "ممتنة؟".

قالت: "هل يبدو هذا غريباً بالنسبة لك؟ لقد كنت طفلة وحيدة. وكان والداي شخصين مملين وهادئين. وعندما كنت طفلة، وكنت أريد أن يحدث أمر مثير، كان يجب أن أختصره بنفسي. لذا حولت لُبعي إلى أشرار وأبطال وابتكرت أروع القصص الدرامية في غرفة نومي، والتي لم تر النور قط. ومنذ ذلك الحين وأنا أبتكر - الشخصيات والقصص الدرامية والغامضة والرومانسية. وبمرور الزمن، وتقدمي في العمر، التقيت أشخاصاً أكثر إثارة من والدي كثيراً - ولكنهم لم يكونوا أكثر إثارة بالنسبة لي من الشخصيات التي ابتكرتها بنفسي. حتى...؟".

بدت كأنها ترغب في أن أكمل الجملة بدلا منها، فقلت: "حتى التقيت سكوشر؟".

أومأت برأسها أن نعم وقالت: "لقد كان جوزيف أكثر إثارة للحيرة وإذهالاً من أية قصة غامضة كنت أمل في ابتكارها. نعم، لقد كنت ممتنة له. ... حسناً، كان هناك أمر مثير حيال الأمر برمته. لقد اندمجت في اللعبة. والغريب في الأمر أن صوفي اندمجت فيها أيضاً. لقد صدقت كذبة المرض لأنها وقعت في حب جوزيف ولم ترغب في كشف ألامه. كانت

صوفي تريد حماية جوزيف، مثلي تمامًا. تخيل العار الذي سيلحق بسمعته إن ظهرت الحقيقة".

قلت: "قد يعتقد الكثيرون أن سكوتشر ربما استحق كل ما حدث له"، وكنت واحدًا من هؤلاء الكثرة، وتابعت قائلاً: "ولكن، تصر صوفي بورليه على أنها تصدق أنه كان مريضاً - ولا تزال تصدق هذا، كما أنها تتهم طبيب الشرطة بالكذب".

قالت الليدي بلايفورد: "لم تجرؤ صوفي على الاعتراف بأنها كانت ضالعة في كذبة بهذا الحجم. أنا متأكدة من أنها اكتشفت أن مريضها محتال في خلال أسبوع من وصولها إلى ليلى أوك. ولكنها لن تقر بذلك أبداً. ستجرح الحقيقة كبرياءها؛ لذا ستصر على صدقه. يجب أن تضع في اعتبارك يا إدوارد، أن الغالبية العظمى من الناس لا يميلون إلى مواجهة أي شيء فوضوي أو غريب، ويخشى غالبيتهم معظم أغلب الأمور - لا تنس هذا أبداً وحدهم الكتاب والفنانون هم من يمكنهم مواكبة تلك الغوامض المحيرة - وتلك التي تحمل صبغة استقصائية. أنا على يقين من أن هيركيول بوارو سينبهر بكل ذلك".

سألتها: "هل كانت صوفي بورليه تعلم أنك تعرفين الحقيقة بشأن مرض سكوتشر؟".

قالت: "أتمنى حقاً أنها صدقت أنني كنت مخدوعة طوال تلك الفترة". ظهرت على وجهها ابتسامة صفراء اختفت سريعاً عندما قالت: "لماذا أضيع الكثير من المال على ممرضة مقيمة من أجل رجل ليس مريضاً؟". حقاً، لماذا؟ لم أطلب منها تفسيراً. كانت الليدي بلايفورد تعتقد أنها قد قدمت التفسير المطلوب بالفعل، ورغم أنني صدقتها تماماً، فإن منطقها

المتعلق بهذه النقطة لم يرضني على الإطلاق. لقد كان الأمر جنوناً ظاهراً بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

قالت الليدي بلايفورد: "لقد خمنت كلاوديا الحقيقة، دون أدنى شك، وكذلك راندال. وخشيت حينها أن أحدهما قد يفصح عن تلك الحقيقة بطريقة تجرح جوزيف. لم تكن سخرية كلاوديا اللاذعة منه لترضيها إلى الأبد، وكانت سخريتها تزداد إفصاحاً. كان الخوف هو ما دفعني لوضع خطتي العبقرية تلك".

امتقع وجه الليدي بلايفورد في ألم وهي تقول: "عدا أنها لم تكن عبقرية على الإطلاق. لقد كنت عجوزاً حمقاء تعتقد أنها قادرة على السيطرة على كل شيء. فلو لم أقل أو أفعل شيئاً، لكان جوزيف حياً يرزق اليوم". سألتها: "ماذا كانت الخطة؟ أم أنها تلك التي أخبرتني بها بالفعل عن اصطحاب جوزيف لزيارة طبيبك؟".

قالت: "لا، هناك الكثير مما يتعلق بخطتي أكثر من هذا". كنت متشوقاً لسماع ما ستقوله تالياً، فطلبت منها أن تكمل.

الفصل ٣١

خطة الليدي بلايفورد

"كاتشبول، هذا أنا، هيركيول بوارو".

قلت: "لم أكن لأخمن قط أنه أنت يا صديقي. خاصة أنك تتصل في وقت اتصالك نفسه بالأمس. دعني أخمن – هل تتناول الشراب الآن بينما نتحدث؟".

قال بوارو: "أتمنى لو كنت أفعل. لا يا صديقي. أنا في المستشفى".
جلست مترقبًا وقلت: "يا إلهي – ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟ أي مستشفى؟ هل أنت في أوكسفورد؟".

قال: "نعم، وأنا في انتظار مقابلة مع طبيب مرموق – ولكن لا تقلق يا صديقي. لست هنا بسبب إصابة ألفت بي، بل لطرح الأسئلة".
قلت وأنا أضحك في ارتياح: "فهمت. وهذا الطبيب المرموق متخصص في أمراض الكلى، أليس كذلك؟".

قال: "إنه طبيب بارع في كل ما يتعلق بالجسم البشري".

قلت: "إنه ليس طبيب سكوتشر إذن، إن كان هناك طبيب لسكوتشر من الأساس". في بعض الأحيان ينسى العقل ما اكتشفه للتو، ويعود للتفكير في ما عرفه في السابق وتبين أنه ليس حقيقياً.

قال بوارو: "لم أحضر إلى هنا للحديث عن جوزيف سكوتشر بل عن موضوع آخر. آه، مرحباً أيها الطبيب".

قلت: "هل وصل الطبيب؟".

قال: "لا، إنه طبيب آخر دخل عليّ للتو – ابق معي على الخط من فضلك يا كاتشبول".

في خلال أقل من خمس دقائق على حديثنا، بدأت أتحير من كثرة الأطباء الذين تحدث عنهم. كنت أمل أنني محق في التفكير أنهم كانوا ثلاثة أطباء: طبيب سكوتشر (الذي ربما كان حقيقياً أو خيالياً)، والطبيب الذي ينتظر بوارو لقاءه، والطبيب الذي دخل الغرفة التي يجلس فيها بوارو. وضعت السماعة على أذني وانتظرت.

كان بوارو يقول على الطرف الآخر: "بالطبع، شكراً لك أيها الطبيب. لقد طلبت من الممرضة أن تخبرك بأني بحاجة إلى إجراء مكالمات هاتفية طويلة مع صديقي إدوارد كاتشبول من شرطة سكوتلاند يارد. وهي مكالمات على قدر كبير من السرية. نعم. إن كان هناك مكتب آخر يمكنك استخدامه، فيمكنك أن تفعل حتى... هناك واحد بالفعل؟ ممتاز. شكراً جزيلاً".

قلت: "بوارو، هل طردت للتورجلاً من مكتبه؟".

قال: "هذا لا يهم يا كاتشبول. أنا متشوق لسماع ما ترغب في قوله لي".

زفرت قائلاً: "حقاً؟". كانت تلك المكالمات تبدو شديدة الصعوبة. "قبل أن أبدأ، لدي سؤال لك: ما اسم الفندق الذي تقيم فيه في أوكسفورد؟".

قال: "راندولف".

قلت: "أمر غريب. كنت أشعر بأنك ستقول هذا الاسم بالتحديد".
قال: "وما المهم في هذا؟".

قلت: "القصة التي سأقصها عليك الآن دارت في فندق راندولف".
قال بوارو في إلحاح: "أخبرني بها".

بدأت في تلخيص كل ما أخبرتني به الليدي بلايفورد، ثم صمتُ محبطاً
وقلت: "بوارو، يجب أن تتحدث معها بنفسك. إن لديها طريقة في رواية
القصص... حسناً، إنها قادرة على أن تجعلك ترى الأمور كما لو كانت
تحدث أمامك وترى الأمور من منظور غريب. إن ما رويته لك لا يقارن
بروايتها هي".

قال بوارو: "لا تقلق يا صديقي. يمكنني تخيل كيفية شرح الليدي بلايفورد
للحقائق. سيضيف عقلي الحيوية... وستكون أكثر واقعية".

نحيت تحفظاتي جانباً وواصلت حديثي، وكان صوتي قد بُح في تلك
اللحظة عندما كنت أقول: "... ثم سألتها عما إذا كانت تلك هي خطتها:
اصطحاب سكوتشر لزيارة طبيبها. ولكنها قالت إنها ليست كذلك. وما
قصته تالياً كان... حسناً، أمر لا يُصدق".

قال بوارو في شوق: "هيا، أخبرني".

قلت: "تبين أن مايكل جاذركول قد تقدم لشغل وظيفة السكرتير الخاص
لليدي بلايفورد. وهذا سبب أنه وسكوتشر... مهلاً، دعني أتذكر. لا أعتقد
أنه من المناسب أن أبدأ من هذه النقطة".

قال بوارو: "المحامي جاذركول تقدم لشغل وظيفة سكرتير روائية؟".
بينما كنت أخبر بوارو بكل المعلومات التي جمعتها، كنت أشعر كأنني
أترجمها من لغة أجنبية. كان الأمر غريباً، ولكنني وجدت أنه من الأسهل
أن ألعب دور الليدي بلايفورد، كما لو كنت واقفاً على خشبة مسرح، وأقص

القصة كما قصتها عليّ تمامًا، بدلاً من أن أحاول أن أقصها بأسلوبى. لذا قررت أن أيا ممن قد يقرأ تلك القصة سيحظى بأفضل نسخة منها. وكان على بوارو المسكين أن يرتضى بنسخة أكثر رداءة منها.

قالت الليدي بلايفورد: "سيكون عليّ أن أدخل مايكل جاذركول في القصة الآن. إنه المحامي الخاص بى، وهو محام متميز دون شك، ولكنه لم يكن دومًا شريكًا في أفضل شركة محاماة في لندن. كنت أنا من طلبت من أورفيل رولف أن يأخذ مايكل كشريك وأن يعامله بجدية، وأورفيل - الذي كانت تتولى شركته العائلية، رولف وأبناؤه، قضايا والدي وزوجي - لم يخذلني بالطبع.

"التقيت مايكل للمرة الأولى عندما تقدم ليعمل لديّ في وظيفة السكرتير الخاص التي كنت قد أعلنت عنها. كان يعمل موظفًا لدى أحد المحامين في ذلك الوقت، وكان مؤهلًا وأكثر ذكاءً مما كانت تحتاج وظيفته. ولكنه لم يكن يملك الثقة بالنفس، وكان ينوي البقاء موظفًا لما تبقى من حياته. ثم رأى إعلاني. كان يحب رواياتي منذ نعومة أظافره، ولم يتمكن من مقاومة إغراء التقدم للعمل لديّ. لا أقصد التفاخر، ولكن، تبين من خطاب تقدمه للعمل أن رواياتي هي كل ما كان يملك خلال طفولته التعيسة. وبطبيعة الحال دعوته لمقابلة شخصية.

"تقدم جوزيف سكوتشر أيضًا لشغل الوظيفة نفسها. وكان خطابه مهذبًا للغاية، ولكنه كان موضوعيًا تمامًا. وقبل أن ألتقيهما كليهما كنت على يقين من أنني سأختار مايكل وليس جوزيف، ولكني لم أرغب في إتمام الاختيار من دون مقابلتهما؛ لذا طلبت من الرجلين الحضور إلى ليلى أوك من أجل مقابلة شخصية. وأظن أنهما ظلا ينتظران دون أية أعذار لفترة طويلة - والملوم في هذا الموقف هو هاتون، عليه اللعنة! فقد كان يعتمد عدم إخباري

بأي شيء في ذلك اليوم، لدرجة أنني أصبحت مترقبة لأرى إن كان هذا الموقف سيمر مرور الكرام على مايكل أو على جوزيف - وإن فعلا، كنت أرغب في أن أعلم هذا قبل أن ألتقيهما.

"تبين أن ما خطط لفعله في اليوم التالي لم يكن إعادة ضبط جميع الساعات في المنزل - أو شيء من هذا القبيل. حسناً، تأخرت في هذا اليوم عن مواعيدي لثلاثين دقيقة أو يزيد - وكنت على استعداد لخنق رئيس الخدم هذا حسناً، لقد حدث تأخير غير ضروري، جلس خلاله كل من مايكل وجوزيف يتحدثان أمام غرفة مكتبي. واستعرف في النهاية لماذا كان هذا مهماً.

"قابلت جوزيف أولاً، ولا توجد كلمات يمكنها أن تصف مدى انبهارى به. كانت كل جملة يقولها تحتوي على إشارات لمغامرات شريمب - كان يبدو كأنه يحفظ كامل أعمالى عن ظهر قلب وبأدق التفاصيل، وكانت لديه نظريات عنها أيضاً. كان الأمر يبدو كأنه قد خطا إلى داخل جوهر إبداعي نفسه ورأى هناك أموراً لم أدرك وجودها.

"لذلك اخترت جوزيف. أي أحد كان سيفعل المثل. وأنت أيضاً كنت ستفعل المثل يا إدوارد. لقد كان شخصاً متألّقاً لا يمكن مقاومته. وآلمني كثيراً أن أدعه يغادر المنزل؛ فقد كنت أرغب بشدة في أن أبقيه بجانبى منذ تلك اللحظة فصاعداً، ولكن كان يجب أن أظهر بمظهر العادلة وأن أمنح الرجل الآخر فرصته. فتركته يرحل، ومنحت مايكل فرصته لمقابلتي، فقد جعلته يقطع كل تلك المسافة من لندن إلى كلوناكيلتي.

"يؤسفني أن أقول إنى استمعت إلى مايكل بالكاد، ولاحظته بالكاد. كان متوتراً، ولم يترك لديّ انطباعاً جيداً. كان ذهني مشغولاً بمراجعة الخطاب الذي سأرسله إلى جوزيف. كنت قد قررت اختياره بالفعل قبل أن يدخل

مايكل الغرفة، ويؤسفني أن أقول إن مايكل شخص رائع وكان يستحق معاملة أفضل مني. إنه ليس مبهرًا مثلما كان جوزيف، ولكنه جدير بالثقة. حسنًا، سأقولها: كان جديرًا بالثقة على العكس من جوزيف.

"عينت جوزيف سكرتيرًا خاصًا بي، وكافأت مايكل بوظيفة بديلة. كنت أشعر بالأسف تجاهه؛ لذا تحدثت مع أورفيل رولف كما أخبرتك سابقًا، وكانت النتيجة أكثر من مرضية. لم أفكر كثيرًا في أمر مايكل جاذر كول بعد ذلك - حتى جاء يوم ما، بعد بضع سنوات، عندما كنت أمزح مع جوزيف وقلت له إن أي أحد سيقراً ولو رواية واحدة من روايات شريمب سيفهمها من دون عناء. لا أعتقد هذا يا إدوارد، أليس كذلك؟ لماذا لم تقل هذا؟ لا عليك. دعنا نختبر استنتاجي. إن قلت: قمة زجاجة الحليب... هل ستعرف ما أتحدث، بعيداً عن قمة زجاجة الحليب الحقيقية؟ ها أنت ذا، لقد فهمت. بالطبع ستعرف. ولكن، لم يكن جوزيف يعلم أي شيء ما أتحدث عنه، ووجدت هذا غريباً؛ لأنني أذكر جيداً أنه ذكر المزحة نفسها أثناء المقابلة الشخصية.

"شعرت بالارتباك. ولكي أختبره، ذكرت اثنتين أو ثلاث عبارات أخرى تحمل معنيين من مؤلفاتي، ومرة أخرى وجدته لا يعرف شيئاً عنها. في تلك اللحظة، تيقنت من أنه لم يقرأ أيًا من مؤلفاتي، رغم ادعائه أنه قرأها جميعها، وأنه أعطاها لعائلته لتقرأها، وأنه اشترى نسخاً أخرى منها ووزعها على الناس في الشارع محاولاً نشر الأدب الملهم الذي تمتلئ به روايات شريمب - أنا أبالغ قليلاً، وليس كثيرًا كما قد تظن.

"في تلك اللحظة عندما تيقنت من كذب جوزيف - علاقته الزائفة بكتبي وكذبه بشأن حالته الصحية - برزت في ذهني فكرة أخرى. برزت ذكرى بعينها من غياهب عقلي. لم أكن أتخيل عبارة قمة زجاجة الحليب

التي سمعتها من المتقدمين لشغل وظيفة سكرتيري الخاص. لقد سمعتها بالفعل، ولكن ليس من جوزيف - لا، بل من مايكل جاذركول. لقد كنت منبهرة بجوزيف لدرجة أنني اعتقدت خطأ أنه من قال العبارة التي قالها لي مايكل. كم كنت ظالمة! بالطبع، لم أكن أقصد هذا. ولكنني شعرت بالقلق... والتساؤل...

"في اليوم التالي، أرسلت خطاباً إلى مايكل وطلبت منه أن يأتي للقاءتي مرة أخرى. وفعل. وقد أمطرته بالأسئلة. من رواية شريمب سيدون والبيضة الملونة، ما السمة الشخصية التي قال والد شريمب إنها الأكثر أهمية؟ ومن رواية شريمب سيدون وقبعة رجل الإطفاء، ما الذي جعل وشاح السيدة أورناسكي غريباً؟ وغيرها من الأسئلة. وأجاب مايكل عن جميع أسئلتني بإجابات صحيحة. ثم سألته عما إذا كان يذكر الحديث الذي دار بينه وجوزيف عندما كانا ينتظران معاً خارج غرفة مكثبي قبل أن أقابلهما. فشعر بالإحراج، ولكنني ألححت عليه أن يخبرني. وبالفعل، أخبرني بكل شيء، على الرغم من أن أسلوبه لم يكن مناسباً مثل جوزيف عندما عرض الأفكار نفسها - ولكنها كانت أفكار مايكل، ونظريات مايكل. كان مايكل هو من يحفظ مغامرات شريمب عن ظهر قلب، وكان جوزيف يقتبس ما قاله له المرشح الآخر للوظيفة له بكل طيبة بينما كانا ينتظران المقابلة الشخصية.

"شعرت بالسوء. فقد تعتقد أنه كان يجب عليّ أن أطرّد جوزيف على الفور، ولكنني لم أكن أريد هذا - حتى بعد هذا الاكتشاف الأخير. مرة أخرى يا إدوارد، لقد فشلت في استنباط أمور من القصة عليك أن تعرفها جيداً. ما الهدف من الحياة إن لم يكن هناك غموض يكتنفها ويحتاج لحل؟ لذا ظللت أسأل نفسي: من هذا الشاب المبهرة؟ هل اسمه جوزيف سكوتشر

بالفعل، أم أنه شخص آخر؟ لماذا يعتقد أن حياته ستكون أسهل إن ظل يكذب في كل شيء ولا يقول الحقيقة عن أي شيء؟ كنت أريد مساعدته؛ لأن هناك أمرًا واحدًا بشأن جوزيف كان حقيقة: كان يقضي كل لحظة من حياته مفكرًا في طرق لإسعادي، ومساعدتي، والترفيه عني. بدا الأمر كأن هذا هو همه الوحيد في الحياة. لا، لن أتخلى عنه.

"أولاً، كان عليّ أن أعوض مايكل على ما حدث. فأخبرته فحينها بأنه سيكون المحامي الخاص بي. كانت هناك شركة أخرى تهتم بشئوني، ولكنني لم أكن مرتبطة بأي أحد فيها بشكل خاص، وكنت سعيدة بتغييرها. وعندما سمع أورفيل رولف هذا الخبر، طلب من مايكل أن يكون شريكه في الشركة الجديدة، وولدت شركة جاذركول ورولف. عندئذ أرضيت ضميري فيما يتعلق بمايكل. وقررت أنني سأحدث عن أفكارني الجديدة الخاصة بشريمب دومًا مع مايكل وليس جوزيف - وهكذا تعاملت مع الأمر.

"كيف أساعد جوزيف، في الوقت نفسه... كان هذا أكثر صعوبة. لم أكن أرغب في توجيه الاتهامات له، وأكشف كذبه، وأحملة على الرحيل من ليلي أولك. كنت أريده أن يشعر بأنه في أمان هنا معي... وكان هذا يعني التظاهر بأنني أصدقّه. فضلت أفكر في طريقة لمساعدته من دون أن أخرجّه، ولكنني لم أفلح في العثور على طريقة منطقية أو عملية لذلك؛ لذا ومن منطلق إحباطي، ولدت فكرة الوصية الجديدة.

"لم تكن لديّ نية في أن أحرم هاري وكلاوديا من الميراث بصورة دائمة. ولو سار كل شيء كما كنت آمل، لغيرت الوصية من جديد بعد إصلاح حال جوزيف، ولصارت وصيتي الثالثة مقسمة لثلاثة أجزاء، ثلث لهاري وثلث لكلاوديا وثلث يقسمه جوزيف ومايكل جاذركول مناصفة بينهما. كانت دورو سوف ترغني وتزبد، تلك الحقيرة ناكرة الجميل - إن ثلث أملاكي

سيكون أكثر من كافٍ لأي كان، ولكنه ليس كافياً لهاري ودورو رغم أنهما لم يُرزقا بأطفال.

"صممت خطة وصيتي بأن يرث جوزيف كامل أملاكي بحيث تعمل في اتجاهين: إن كان جوزيف مريضاً بحق، كنت آمل أن يعمل عقله الباطن على إقناع جسده بالتماسك والبقاء على قيد الحياة لفترة أطول. وإن لم يكن مريضاً حسناً... هنا يكمن التعقيد. لا تقلق يا إدوارد، سأشرح لك ما أعنيه. لقد كان معظم النقد لروايات شريمب يدور حول أنها تصبح ملتوية للغاية في بعض الأحيان. إنه محض هراء! أعني، إن كانت حيكتي الروائية أكثر بساطة، لتمكن الجميع من حل اللغز بسهولة، أليس كذلك؟ ولا يجب أن يتمكنوا من حل اللغز بسهولة. أعرف أنني لا أكتب من أجل الأغبياء، ولن أفعل أبداً، بل أكتب من أجل أولئك الذين يمكنهم الدخول في تحد فكري.

"لقد وضعت خطتي المتعلقة بجوزيف مثلما أخطط لحبكة الروايات تماماً. إن وضع الحبكة الروائية مهارة لا تقل أهمية عن أية مهارة أخرى، وأعتبر نفسي أحد الخبراء في هذا المجال بعد سنوات طوال من ممارسة هذا العمل. أرى أنك متلهف لما سأقول. سأخبرك...

"أولاً، كنت سأغير وصيتي وأعلن الأمر أمام الجميع. والآن، تخيل جوزيف - مع افتراض أنه سيموت في القريب بسبب الفشل الكلوي - يسمع تلك الأخبار. أقول إنني سأترك جميع أملاكي له، وإني أنوي أن أصحبه في اليوم التالي لزيارة طبيبي الخاص. هل سيجعله هذا يُصاب بالذعر؟ لن يتمكن من معارضتي في ظل تلك الظروف - فقد أغير من رأيي فيما يتعلق بترك ثروتي له، الأمر الذي أشك في أنه قد يخاطر به، فقد اكتشفت أن الصادقين والكاذبين على حد سواء لن يمكنهم مقاومة هذا القدر الكبير من المال والأراضي الشاسعة. وبالطبع، كان الطبيب سيلقي عليه نظرة

واحدة ويقول: إنه سليم معافى... وستنتهي اللعبة. وربما كنت سأطرده من ليلي أوك. بالطبع، لم أكن سأفعل هذا، ولكنه لم يكن يعلم ذلك، أليس كذلك؟ كان يعتقد أن خدعه قد انطلت عليّ تمامًا.

"مع زيارة طبيبي الخاص في اليوم التالي تلوح في الأفق، لم يكن أمام جوزيف سوى ليلة واحدة فقط - بضع ساعات - للتفكير في طريقة ليخرج بها من المأزق الذي وضع نفسه به. ومن منطلق معرفتي به، لم يكن أمامه سوى سبيلين للخروج من هذا المأزق. أن يحاول قتلي، أو يضع نفسه تحت رحمتي ويخبرني بالحقيقة الكاملة. ماذا لا، لا توجد قائمة سوداء بالنسبة لجوزيف إن قرر في النهاية أن يخبرني بالحقيقة، وأعتقد أنني كنت سأتمكن من علاجه - من أي شيء قد أصاب عقله وجعله يشعر بالحاجة للانغماس في تلك الأكاذيب.

"ألاحظ أنك لم تسألني عما إذا كنت سأسامحه إن تسلل إلى غرفتي ممسكًا بحبل طويل ليحاول خنقي به! كنت سأسامحه بكل تأكيد. إننا جميعًا نقدم على أفعال طائشة عندما لا يكون أمامنا سبيل آخر. إن شعر جوزيف بأنه لا سبيل أمامه سوى قتلي بسبب خطتي غير المسئولة، فسيكون هذا خطئي أنا. ولكني لم أكن على استعداد للموت؛ لذا طلبت من مايكل جاذركول أن يختبئ خلف ستائر غرفة نومي طوال الليل، وإن تسلل جوزيف إليها وحاول قتلي في أثناء نومي، فسيمنعه مايكل.

"ما يجب أن تفهمه يا إدوارد أن مايكل لم يكن هناك، يختبئ في غرفتي، لإنقاذي أنا فقط، بل لإنقاذ جوزيف أيضًا... إنقاذ جوزيف في الأساس. تخيل المشهد: يقفز مايكل من خلف الستائر ويمسك بالسكين أو المسدس أو أيًا كانت الأداة من يد جوزيف. ثم أجلس على الفراش ويخبرني مايكل بما حدث. ما الذي سيفعله جوزيف حينها، بمجرد أنه يتم الإمساك به متلبسًا

بمحاولة قتلي - أنا صاحبة عمله وصديقه؟ ربما سيقر حينها بكل شيء ويطلب مني أن أغفر له، وحينها سأتمكن من مساعدته.

"أنت تعلم أن معتادي الكذب لا يقرون بهذا أبداً، بل إنهم يمتلكون قدرة لا نهائية على اختراع أكاذيب جديدة لتشرح الأكاذيب القديمة. إنها ليست مشكلة أخلاقية من وجهة نظري، بل مرضاً عقلياً. أرى أنك لا توافقني الرأي يا إدوارد، ولكنني محقة في هذا وأنت مخطئ. في أي حدث كان... كان القبض على جوزيف بالجرم المشهود وهو على وشك ارتكاب جريمة قتل هو السبيل الوحيد لإجباره على قول الحقيقة، كما اعتقدت. لأنه قد يقر فيما بعد بخداعه الطويل لنا ومحاولته اليائسة للتغطية عليها كوسيلة للتخفيف من حدة الموقف، بمجرد اتهامه بمحاولة قتلي - التهمة التي ستكون أكثر خطورة من الكذب. قد يكون في تلك اللحظة على استعداد لقول أي شيء ليجعلني أصدق أنه ليس قاتلاً عديم القلب يرغب في الحصول على أموال في أقرب وقت ممكن. حينها، وبمجرد أن يعترف بمشكلته الحقيقية، سيمكننا معاً أن نعالج التعاسة التي كانت تسيطر على حياته لفترة طويلة. وبمساعدي، كان جوزيف سكوتشر ليصبح الرجل الذي من المقدر له أن يكون. ولكن..."

"أثبتت خطتي فشلها، كما نعلم الآن. لم أتخيل قط أن أحداً... أي أحد.. سيقتل حبيبي جوزيف؟

"يجدر بي أن أقول يا إدوارد إنني لم أتوقع أن تكون مستمعاً مجرداً من المشاعر لهذه الدرجة. ألا تفهم أن جوزيف كان كل شيء بالنسبة لي؟ لقد غير حياتي بالكامل، باستخدام الكلمات وحدها. حتى كذبه الكبيرة، عندما اكتشفتها، بدت رائعة بالنسبة لي. نعم، أنت متحير. أؤكد لك أنك ستنظر لي على أنني مجنونة بمجرد أن أفسر الأمر لك، ومن يدري؟

ربما كنت مجنونة. حسناً إذن: لقد عالج جوزيف مرضاً عُضالاً لم يكن له علاج. ولم يتمكن أفضل أطباء الكلى في العالم من العثور على علاج له، ولكن جوزيف سكوتشر، سكرتيري المخلص الموهوب – عثر عليه. ألا ترى؟ لقد عالج مرض الفشل الكلوي عبر عدم الإصابة به من الأساس.

"لا تفعل. لا حاجة بك لأن تخبرني بأن اكتشاف أن المرء كاذب بشأن المرض لا يشبه علاجه على الإطلاق؛ فأنا أعلم هذا يقيناً. كل ما أعنيه هو أن تأثيره عليّ في لحظة هو العذاب لأنني كنت على وشك خسارة حبيبي جوزيف، ثم اكتشفت أنه لم يكن يحتضر، وأنه كان بصحة جيدة. فبدأ الأمر بالنسبة لي وكأنه قد عالج المرض بنفسه. كنت أعني الأمر كاستعارة، وليس تلخيصاً للحقائق.

"انظر إلى وجهك الممتعض يا إدوارد! أتساءل عما إذا كنت غاضباً من جوزيف لأنه ضللك أنت أيضاً خلال تلك الفترة القصيرة التي تعارفتما فيها أم لا. حاول أن تفهم أرجوك: إنه لم يكذب عليك أو عليّ أو على أي شخص بالتحديد، إنه فقط... حرّف الحقيقة؛ لأنه كان يشعر براحة أكبر وهو يفعل ذلك. والآن، لن أتمكن أبداً من سبر أغوار عقله. ولن أعرف أبداً لماذا فعل هذا".

الفصل ٣٢

حصان السباق المخطوف

قال مايكل جاذركول: "هل كانت شكوكي الأولى عن نزاهة وصدق سكوتشر، أم عدم نزاهته وصدقه؟". كان هذا في اليوم التالي من حديثي مع الليدي بلايفورد، وكنا قد خرجنا معًا من منزل ليلي أوك وظللنا نسير حتى وصلنا إلى فندق أودونوفان في كلوناكيلتي. شعرت براحة كبيرة عندما كنت قادرًا على الجلوس والتحدث واحتساء الشاي في مكان لا نتوقع فيه أن تهجم علينا كلاوديا الوقحة أو دورو دائمة الذعر.

كان البهوف في الفندق تتبع منه رائحة القدم، وكان مليئًا بالأثاث الذي شحبت ألوانه. وفقدت الستائر ألوانها الماضية، وبرغم كل هذا فإن الشاي والكمك كانا من ألذ ما يكون، وصدقًا، كنت على استعداد للجلوس على صندوق خشبي من دون أن أشكو حتى أتمكن من قضاء ساعة أو اثنتين في هذا الجو المريح الذي يساعد على الاسترخاء. وكنت على يقين من أن جاذركول كان يشعر بالمثل: كما لو أن أمرًا ثقيلاً وكئيبيًا قد انزاح عن كاهلينا ولو بصورة مؤقتة. لقد بدا مرتاحًا أكثر من أي وقت مضى.

قال جاذركول: "أتذكر تلك اللحظة تمامًا. لقد ظل الأمر غير منطقي بالنسبة لي لوقت طويل. ولكنه أصبح منطقيًا الآن. لقد قال سكوتشر أمرًا ما عن إحدى مغامرات شريمب - عندما كنا ننتظر لقاء الليدي بلايفورد خارج مكتبها - ولم يكن صحيحًا بأية حال من الأحوال. كان قد قال: أية مغامرة تلك التي تدور حول حصان السباق الذي اختطف؟ لقد نسيت عنوان الرواية... اعتقدت أن الأمر غريب لأنه كان قد قال قبل لحظات إنه يحفظ جميع مؤلفات الليدي بلايفورد عن ظهر قلب، وقلت له إنني أحفظها أيضًا عن ظهر قلب - ولكن، لا توجد مغامرة من مغامرات شريمب تتحدث عن حصان سباق مخطوف؛ لذا كان يجب أن يعلم جيدًا أنني سأكشف أمره. بعد ذلك، أدركت ما كان يصبو إليه. كان يعلم جيدًا أنني سأفترض أنه أخطأ، على الرغم من أنه تصرف غير مبرر. فلن يلتفت رجل التقى رجلًا آخر للتو ويقول له: هذه كذبة. أنت كاذب... وفي الواقع، لقد افترضت بالفعل أنه أخطأ في البداية".

قلت: "هل فاتحته في الأمر إذن؟".

قال: "نعم، لقد حاولت. وقلت له إن مغامرة شريمب الوحيدة التي يظهر فيها حصان - ولكن في أحداث صغيرة - هي مغامرة شريمب سيدون والرحلة حول العالم. كان بناء السفن، السير سيسل ديفو، يمتلك حصانًا اسمه سافاير، وفي تلك المغامرة حلت شريمب لغز القضية عندما أدركت أن السيد برانكاتيسانو، الإيطالي، ينطق اسم سافاير بطريقة خطأ - حيث كان ينطقه سفير بدلًا من سافاير، وهو اسم شركة السير سيسل لبناء السفن، الأمر الذي أدى في النهاية إلى الكثير من الأحداث والملاسات".

قلت: "هل تعلم! لقد قرأت هذه الرواية".

قال: "إنها واحدة من أفضل مؤلفات الليدي بلايفورد".

قلت: "هل بها رجل مريب يُدعى هيجنز، والذي سقط في البحر في نهاية الرواية ولم يره أحد بعد ذلك؟".

ابتسم جاذركول وقال: "إنها هي. إنك تعرف عن مؤلفات الليدي بلايفورد أكثر مما كان يفعل سكوتشر عندما التقيته للمرة الأولى. أعلم الآن أنه طرح هذا السؤال عن الحصان المخطوف لكي يستدرجني. فمن تصحيحي لخطئه، والحوار الذي دار بيننا بعد ذلك، منحه تفاصيل تكفي لأن ينجح في مقابلته مع الليدي بلايفورد، كما لو كان شخصاً يعرف عن شريمب سيدون أكثر من أي شخص آخر في العالم. هل تعلم ما قاله لي بعدما أخبرته بشأن سافاير وسفير والسير سيسل ديفو؟ قال: نعم، بالطبع... كانت تلك هي المرة الأولى التي أشك فيها أنه ليس شخصاً غريب الأطوار ذا ذاكرة ضعيفة، بل هو شخص محتال... كان مجرد شك. إن الرجل النزيه كان سيقول: يا إلهي، لقد أخطأت، أليس كذلك؟ لا أعلم كيف خانتني ذاكرتي هكذا... ولكن قال سكوتشر: بالطبع... الأمر الذي أوحى لي أنه كان يعلم طوال الوقت، وكان بحاجة لمن يذكره. ولكن، كان هذا محض هراء! أيًا من كان قرأ مغامرة رحلة حول العالم لم يكن ليخطئ في تذكر أحداثها".

بدا كأن جاذركول كان يرغب في إضافة المزيد؛ لذلك انتظرت أن يفعل. وحضرت امرأة شابة لتسألنا عما إذا كنا نرغب في المزيد من الشاي، فأخبرتها أننا نرغب في المزيد بالفعل.

قال جاذركول: "ولكن، كان قد سبق السيف العذل. كنت قد أخبرتك سكوتشر بالفعل بالكثير عن مؤلفات الليدي بلايفورد وجميع أفكاره اللامعة بشأنها. وعندما حان وقت مقابلتي الشخصية، لم تسألني الليدي بلايفورد عن أي شيء. كان عليّ أن أجلس أمامها وأستمع لها وهي تتحدث عن سكوتشر - كم هورائع، وكيف أنه ذكي للغاية ليلاحظ جميع تفاصيل

البنى والموضوعات التي احتوتها رواياتها؟ كانت جميع تلك الأفكار أفكارًا سمعها مني قبل ساعة من المقابلة. ألم أخبرك؟ لقد استمرت مقابلاته ساعة كاملة، واستغرقت مقابلاتي أنا ٢٠ دقيقة فقط."

قلت: "ولكن، لماذا لم تخبر الليدي بلايفورد بما حدث؟"

قال: "لا، أنا لا أحب أن أدم الآخرين، ولكني لم أسامح نفسي قط لأنني لم أخبرها بما حدث - على فشلي في حماية الليدي بلايفورد من سكوتشر المحتال. ولكني، كنت غير واثق بأنها قد تستمع لي".
أكدت قوله قائلاً: "من المؤكد أنها لم تكن لتفعل".

قال: "حسنًا، على أية حال، انصرفت من المنزل بعدما انتهت مقابلاتي القصيرة، وحصل سكوتشر على الوظيفة. ثم بعد أربعة أعوام - أو خمسة - أرسلت الليدي بلايفورد في طلبي وقالت لي: أنا لم أمنحك فرصة عادلة يا مايكل. لقد أدركت هذا الآن. أريدك أن تكون محاميًا الخاص وأن تدير شؤني من الآن فصاعدًا - هكذا يمكنني أن أعوضك عما فعلت... شعرت بسعادة غامرة حينها دون شك. وكانت قد رتبت الأمر بالفعل مع أورفيل رولف ليعينني في شركته، مباشرة بعدما لم توظفني عندها كسكرتيرها الخاص".

قلت: "نعم، لقد أخبرتني بهذا".

قال عابسًا: "أنا أدين لها بالفضل في كل شيء - كل ما أصبحت عليه الآن. كما أخبرتني في ذلك اليوم أيضًا بأنه على الرغم من أنني سأكون محاميها الخاص، وأن لا علاقة لي بمؤلفاتها، فإنها ترغب في أن تأخذ برأيي في مغامرات شريمب من وقت لآخر - أنا دون غيري. وقد جعلتني طريقة قولها لعبارة دون غيري بهذه الطريقة أعتقد أنها تعني سكوتشر. و... حسنًا، الآن، بعد مرور سنوات طوال، تيقنت من أن هذا ما كانت تعنيه

بالفعل، حيث قالت: أنت المفضل لديّ يا مايكل - هذا ما قالته. وأعتقد أنها كانت تعنيها. كان سكوتشر سكرتيرها، ولكنه لم يكن الشخص الذي تأمنه على مؤلفاتها".

أومات برأسي في تعاطف، فقد رأيت أن هذا الأمر كان شديد الأهمية بالنسبة له.

واصل حديثه قائلاً: "في ذلك اليوم، أخبرتني بشأن مرض سكوتشر، ولكنها أطلعتني على الخبر بطريقة غير معتادة. فبدلاً من أن تقول: إنه يحتضر... قالت: لقد أخبرني جوزيف بأنه يحتضر".

قلت: "كانت تريد أن تلمح لك، من دون أن تفصح عن الأمر صراحة، أنها لا تصدقه".

قال: "نعم، وأظن أنني لم أتمكن من كبح جماح نفسي. كنت لا أزال على يقين من أن سكوتشر لم يقرأ بعد أيّاً من مؤلفات الليدي بلايفورد، حتى بعد قضاء ٥ سنوات يعمل سكرتيراً لها. كان يمكنه أن يقرأها جميعها بكل سهولة بعدما حصل على الوظيفة، ولكنه لم يفعل. كان يفضل أن يخدع الجميع. أعتقد أنه كان يستمتع بعدم مصداقيته، ولكن لا دليل لديّ على هذا، بل مجرد إحساس. هل تذكر ما حدث خلال العشاء ليلة مقتله، عندما كشف لغز مغامرة المرأة الأنيقة أمام بوارو، الذي لم يقرأها؟".

قلت: "وكيف أنسى هذا؟".

قال: "كان هذا الفعل في حد ذاته دليلاً على أن سكوتشر لم يكن يهتم على الإطلاق بأي من مؤلفات الليدي بلايفورد. لن يقدم أحد يقدر روايات الغموض على كشف حل اللغز بهذه الطريقة أبداً. كذلك نصيحته إلى بوارو بقراءة الروايات عكس ترتيبها الزمني؛ لأن هذا سيكون أقرب إلى الحياة الواقعية؟ لا دليل لديّ، ولكن جوزيف كان يُطلق دوماً أفكاراً ونظريات مذهلة

عن مغامرات شريمب والتي لا يمكن أن تكون خاصة به. أشك بشدة في أنه حصل عليها من الخطابات التي دمرها في وقت لاحق".

قلت: "خطابات الليدي بلايفورد؟"

قال: "نعم - كسكرتيرها الخاص، كان جوزيف مسئولاً عن جميع مراسلاتها. وكان يقرأ جميع رسائل القراء قبل أن تصلها. كان ناشرها يرسل لها الخطابات في رزم، وكان جوزيف يقرأها جميعها - حتى بدأ يتظاهر بأنه قد وصل إلى مراحل مرضه الأخيرة، وبدأت صوفي تقوم بعمله. وأعتقد أنه سرق تلك الخطابات التي تحمل أفكاراً قيمة، وحفظ تلك الأفكار عن ظهر قلب، ثم حرق الخطابات الأصلية. أتذكر أنني دخلت غرفة الاستقبال ذات مرة ووجدته يلقي بعدد من الأوراق في نار المدفأة. وبدا كأنه جفل، ثم بدأ يغمغم بأمور عن كونها غير ذات أهمية".

قلت: "لقد قلت إنك لم تتمكن من كبح جماح نفسك، عندما أخبرتك الليدي بلايفورد بشأن مرض سكوتشر العضال. ماذا فعلت إذن؟"

قال: "ماذا فعلت...؟ لقد قلت: معذرة يا ليدي بلايفورد، ولكن، ماذا تعنين بعبارة إن مات جوزيف؟ هل سيموت أم لا؟"

قلت: "وماذا كان ردها؟"

قال: "لقد ابتسمت لي بحزن وقالت: هذا هو السؤال الصحيح يا مايكل، نعم بالفعل، هذا هو السؤال الصحيح".

الفصل ٣٣

الأمران الحقيقيان

عاد بوارو إلى ليلي أوك بعد يومين، في وقت مبكر من الصباح. كنت قد أطلت النوم ولم يوقظني شيء سوى صوت طرقات قوية على باب غرفة نومي. فارتديت روبي وفتحت الباب لأجد بوارو واقفاً أمامي على عتبة. فقلت: "لقد عدت. حمداً لله". مكتبة الرمحي أحمد

فبدا كأن تحيتي تلك قد أسعدته كثيراً.

قال بوارو: "لقد عدت يا صديقي. نعم. ويمكننا أن نحرز تقدماً جديداً. هل لديك شيء لتخبرني به منذ حديثنا الأخير عبر الهاتف؟".

فقصصت عليه ما دار خلال حوارني مع جاذركول. ثم سألته عما إذا كان قد عثر على ما يبحث عنه في المازبيري.

قال: "نعم - لقد عرفت الكثير من المعلومات المثيرة عن الأمر، ولكنني أشك في صحة معظمها. ارتد ملابسك يا صديقي، وسأنتظرك في المكتبة... وسنتحدث كثيراً. لقد تركت هناك نسخة من مسرحية الملك جون التي كنت أقرأها".

قلت: "ولماذا كنت تقرأها؟". الملك جون - هل كانت هي العمل الأدبي الذي لمح له بوارو من قبل، والذي أعتقد أن له علاقة بمقتل سكوتشر؟ قال بوارو: "كان الطبيب كيمبتون يحاول أن يلفت انتباهنا لها منذ وصولنا، ولكنك لم تفكر في قراءتها في أثناء غيابي، أليس كذلك؟". قلت: "لا، إن كنت تريدني أن أقرأها، كان يجدر بك أن تقولها لي صراحة".

قال: "لا عليك يا صديقي". بعدما قالها، أعطاني ظهره وبدأ يسير نحو الدرج.

اغتسلت وارتديت ملابسني بسرعة، وانضمت إليه في المكتبة بعد ٢٠ دقيقة. كان جالساً في مقعد وثير في أحد أركان الغرفة ومسرحية الملك جون موضوعة على الطاولة بجواره.

قلت: "ها قد حضرت. أخبرني إذن: لماذا ذهبت إلى مالمزيري؟". قال: "والدة جوزيف سكوتشر تعيش هناك، وبمساعدة الشرطة المحلية، تمكنت من العثور عليها". قلت: "كيف تبدو؟".

قال: "من المثير أن تطرح هذا السؤال. هل تعتقد أن والدة سكوتشر امرأة جميلة مثل ملاك رقيق؟ تلك المرأة ليست كذلك. إنها قبيحة الشكل. كما أنها..." أشار بوارو إلى طرف أنفه.

خمنت قائلاً: "لديها حاجب واحد عبر وجهها".

قال: "نعم، مثل... شارب فوق أنفها بدلا من أن يكون تحته". كان بوارو سعيداً لأنه عثر على التعبير المناسب لوصفها. ولم أتمكن من منع نفسي عن الابتسام، فقال: "كيف عرفت هذا يا صديقي؟".

أخبرته بالأمر الوحيد الذي نسيت إخباره به عبر الهاتف: أن المرأة التي رأتها كلاوديا بلايفورد بصحبة سكوتشر في فندق راندولف كانت ذات حاجب واحد طويل عبر وجهها.

رفع بوارو يديه وقال: "ألم أقل لك أن تخبرني بكل شيء؟ وأهملت تلك المعلومة المهمة؟ اللعنة!"

قلت له: "لم أقصد هذا"، لم أكن أرغب في أن أتهم بالتقصير عندما لم أكن أهتم بتقديم شيء عدا التعاون، وقلت: "أنت من تعمد عدم إخباري بسبب وجودك في المستشفى ومن يكون ذلك الطبيب البارز. وكم عدد المرضى الذين ماتوا في أروقة المستشفى بعدما استأثرت بمكتب ذلك الطبيب لنفسك وتحدثت معي عبر الهاتف لساعة كاملة؟".

قطب بوارو جبينه في حيرة وقال: "ماتوا؟ لم يمِث أحد. والآن، لقد توصلت إلى بعض الاكتشافات المثيرة. سأخبرك. بلايك سكوتشر، شقيق جوزيف الأصغر، إنه حقيقي".

قلت: "لم يكن جوزيف سكوتشر المتكرر إذن هو من التقى راندال كيمبتون في مقهى كوينز لاين؟".

قال: "بل على النقيض، أنا على يقين من أنه كان جوزيف سكوتشر. وإن كنت مخطئاً... حسناً، أيّاً كان من التقى الطبيب كيمبتون ذلك اليوم لم يكن بلايك سكوتشر، الابن الأصغر لإيثيل سكوتشر من المزييري".

قلت: "كيف عرفت هذا".

قال: "لأنه مات عندما كان في السادسة من عمره بسبب الإنفلونزا".

قلت: "يا إلهي".

قال: "كانت السيدة سكوتشر قد فقدت أحد ابنيها بالفعل، وكانت حزينة كثيراً خشية أن تفقد الآخر. وما زاد الطين بلة، شعورها بالذنب لزمن طويل

تجاه جوزيف؛ حيث كانت قد أهملته عندما كان طفلاً، كما أخبرتني. وكان يبدو دائم العافية والسعادة، في حين كان شقيقه بلايك مريضاً وبحاجة إلى الرعاية. وكان دائماً ما يُشفى من أحد الأمراض ليسقط فريسة مرض آخر".

قلت: "حقاً".

قال: "نعم، ويقول الطبيب كيمبتون إن علم النفس لا يمكنه إثبات أي شيء".

قلت: "هل هناك شيء آخر يتعلق بالسيدة سكوتشر؟".

قال: "لا، ولكن هناك تفاصيل مثيرة من مكان آخر. لقد ذهبت إلى كلية باليول في أوكسفورد، حيث كان يدرس كل من كيمبتون وسكوتشر – حيث التقيا أيضاً. هل تعلم أن سكوتشر، قبل أن يصبح سكرتيراً خاصاً لليدي بلايفورد، كان ما يُطلق عليه اسم مهووس شكسبير؟".

قلت: "ماذا؟ مثلما كان كيمبتون قبل أن يتحول لدراسة الطب؟".

قال: "بالضبط. الكثير من الأساتذة في كلية باليول يعرفان الشابين حق المعرفة، وكان رأيهم بالإجماع أن سكوتشر كان شديد الإعجاب بـكيمبتون وأنه كان يحاول أن يقلده في كل شيء".

كانت فيليس مخطئة إذن في تحديد من يقلد من: كانت قد اعتقدت بفطرتها أن الرجل الذي تحب هو الأصل، وأن راندال كيمبتون هو المقلد – ولكن، كان العكس هو الصحيح.

قلت: "لا بد من أن هذا هو سبب تغيير كيمبتون لوجهته الدراسية إلى الطب، خاصة عندما تتذكر أن سكوتشر تمكن من خطف أيريس من بين يدي كيمبتون. ماذا لو كان الأمر يتعلق بـكيمبتون أكثر مما يتعلق بأيريس نفسها؟".

قال: "هل تعني أن سكوتشر لم يكن يهتم بنيل الفتاة مثل اهتمامه بأن يكون راندال كيمبتون؟ لم يكن باستطاعته أن يكون شخصًا آخر، إلا أن وجود أيريس بجواره جعله يشعر بأنه قادر على ذلك، أليس كذلك؟".

قلت: "شيء من هذا القبيل، نعم. إن كان سكوتشر أراد أيريس لنفسه لمجرد أنها مرتبطة بكيمبتون، وأنه أصبح دارسًا لأدب شكسبير لأن كيمبتون فعل المثل، فلا بد من أن هذا الأمر كان مزعجًا بالنسبة لكيمبتون. لا يمكن لأحد أن يتحمل أن يقلده أحد بهذه الطريقة. كما أن قصة كيمبتون بشأن تركه دراسة أدب شكسبير لأن هناك أشخاصًا آخرين في المجال لم يتقبلوا فكرة أنه يفضل مسرحية الملك جون على بقية أعمال شكسبير – بدت لي منذ البداية هراء".

قال بوارو: "ولكن، كان يمكن أن يتبعه سكوتشر أيضًا ويدرس الطب، أليس كذلك؟ وربما كان قد يفعل لو لم يكن يفكر في شيء أفضل. كان كيمبتون، بمجرد أن خرجت أيريس من الصورة، قد دخل في علاقة عاطفية مع الأنسة كلاوديا بلايفورد الرائعة، التي كانت متحفظة وبعيدة المنال، وابنة فيكونت ومؤلفة شهيرة. فقد حاول كيمبتون استمالتها كثيرًا وتمكن في النهاية من إقناعها بقبول خطبته والزواج به. ورأى سكوتشر، الذي كان يعيش في ذلك الوقت في أوكسفورد أيضًا، أن كيمبتون، وبعد جهد كبير، تمكن من الفوز بقلب شابة جميلة – ولعب الحظ دوره، وأعلنت والدته كلاوديا، المؤلفة الشهيرة عن حاجتها لمن يشغل وظيفة سكرتيرها الخاص... نعم، كان هذا أفضل بكثير بالنسبة لسكوتشر من دراسة الطب. بالحديث عن الأطباء..."، قالها بوارو وهو يهز رأسه.

قلت: "هل ستخبرني بهذا الأمر أخيرًا؟".

قال: "عندما تحدثنا عبر الهاتف، أخبرتني بأنه ربما لم يزر سكوتشر أي طبيب من الأساس. حسنًا، إنه لم يكن مريضًا ولم يكن يحتضر، ولكن، عندما كان يعيش في أوكسفورد، كان بالفعل على قائمة مرضى أحد الأطباء. وزرت هذا الطبيب في منزله. وما عرفته منه كان مذهلاً. ووضح لي الكثير من الأمور. ولكن، هناك مشكلة وحيدة: إن ما اتضح لي الآن... للأسف، ضرب من المستحيل".

قلت من دون الكثير من الإلحاح: "أخبرني من فضلك".

قال: "ليس هذا هو الوقت المناسب للشرح يا كاتشبول. على بوارو أن يفكر بعمق الآن. وأنصحك بأن تفعل المثل".

قلت: "ما الذي اتضح لك وتجده مستحيلًا؟ استحلفك يا بوارو، ما الذي تريدني أن أفكر فيه بعمق؟".

فوجئت عندما أجبني طواعية: "كيف يمكن أن تتفق جميع تلك الأمور معًا؟ أن تقسم صوفي بورليه أن جوزيف سكوتشر كان حيًا – ويتوسل للإبقاء على حياته – حتى حطمت كلاوديا بلايفورد رأسه بالهراوة في غرفة الجلوس، في حين أكد التحقيق على أن سبب الوفاة هو السم، وفي وقت يسبق وقت تحطيم رأسه. ولكن، أخبرنا كيمبتون وكلاوديا بأنهما كانا معًا في الطابق العلوي وقت تحطيم رأس سكوتشر. كما أن بريجيت، الطاهية، رأتهما على قمة الدرج بينما كنا نهرع جميعًا إلى الطابق السفلي لنتبين سبب صراخ صوفي. ولكن... إن كانت نظريتي حول من قتل سكوتشر ولماذا هي صحيحة، فلا بد أن صوفي تقول الحقيقة فيما يتعلق بما رأته يحدث في غرفة الجلوس في تلك الليلة. فلا سبب يدعوها للكذب".

قلت: "أخبرني بنظريتك أرجوك".

قال: "دعني أكمل يا كاتشبول. إن كانت نظريتي حول من قتل سكوتشر ولماذا هي صحيحة، فمن المنطقي أن تكون كلاوديا قد حطمت رأس سكوتشر بعدما مات".

قلت: "حقاً؟".

قال: "نعم".

قلت: "هل تعني لأنها كانت تريد أن يكون تابوت سكوتشر مغلقاً في جنازته لسبب ما؟".

قال: "لا، على الإطلاق. تبين أن جنازته لا علاقة لها بالأمر من الأساس. ولكن، من المنطقي تمامًا أن تحطم الأنسة كلاوديا رأس جثة سكوتشر بالهراوة. والأمر غير المنطقي هو أن سكوتشر، الذي كان من المفترض أن يكون ميتاً بسبب تسممه بسم الإستركنين، لم يكن ميتاً من يكذب إذن؟ صوفي بورليه؟ لا، لا أعتقد هذا. كلاوديا بلايفورد؟ لا، إن كان سكوتشر لا يزال حياً في غرفة الجلوس، فلم يكن هناك سبب يدعوها لتحطيم رأسه بالهراوة؛ لذا فهي لم تفعل".

قلت: "لو كنت قلت كل ما قلته للتو بالإغريقية القديمة وغيرت ترتيب الكلمات، ربما كنت لأفهم ما قلت بصورة أفضل مما أفعل الآن".

نهضت من مقعدي وسرت نحو النافذة وفتحتها، وهذأت عندما رأيت المرج الأخضر الأملس المحاط بالأشجار، فقد اكتشفت أنه لا يمكن للمرء أن يظل يحدق إلى عيني بوارو الخضراوين الحذرتين لوقت طويل، من دون أن يبدأ في الشعور بالدوار.

فكرت للحظات ثم قلت: "من القدر الضئيل الذي تمكنت من فهمه منك... يبدو أنك تقول إنك تصدق ما قالته صوفي بورليه، وما قالته كلاوديا بلايفورد، أليس كذلك؟".

قال: "نعم، أنا أصدق الممرضة صوفي، وكذلك أصدق نتائج التحقيق". قلت: "في هذه الحالة، يترأى لي أن..."، ثم توقفت لأفكر في كيفية صياغة الكلمات وعدت لأقول: "عندما ترى أن هناك أمرين حقيقيين، ولكن يبدو لك أنهما متناقضان، فبدلاً من أن تخبر نفسك بأن أحدهما ليس حقيقياً، ألن يجدر بك أن تسأل نفسك عن احتمال وجود أمر ثالث لم تفكر فيه ومن شأنه أن يثبت أن هذين الأمرين حقيقيان بالفعل في آن واحد؟". بدا كأن بوارو قد جز على أسنانه من خلف شاربه وقال: "إنها فكرة رائعة يا كاتشبول، ولكن، للأسف، لا يمكن أن يكون جوزيف سكوتشر حياً وميتاً في الوقت ذاته عندما هوجم بالهراوة".

قلت: "بالطبع لا. إن الأمرين الحقيقيين المتناقضين الذين فكرت فيها هما، أولاً، أن صوفي بورليه تقول الحقيقة، وأنت مقتنع بهذا تماماً، وثانياً، أن كلاوديا بلايفورد لم تمتلك سبباً يدعوها لتحطيم رأس سكوتشر بالهراوة إن لم يكن ميتاً بالفعل".

صاح بوارو بصوت جعلني أجفل قائلاً: "كاتشبول!". قلت: "ماذا؟ هل أنت بخير؟".

قال: "أصمت وأغلق هذه النافذة. وتعال اجلس". بدا شديد الانزعاج في تلك اللحظة، فعدت إلى مقعدي كما أمرني، حتى لا أبدو كأنني أعانده. جلسنا صامتين طوال حوالي ٥ دقائق. ومن وقت لآخر، كان بوارو يتمتم بكلمات غير مسموعة. وأمكنني تبين من بين تلك الكلمات عبارة: "أخرس المذيع، من دون المذيع"، ولكنه لم يؤكد أنه قال هذا. ظللت أنتظر. وأصبح الوضع مملاً. وكنت على وشك الاعتراض على صمته عندما وقف وسار نحوي وأمسك برأسي بكلتا يديه وقبّل جبهتي وقال: "صديقي،

لا أعلم كيف كنت لأحل هذا اللغز من دون تطبيق اقتراحك في ذهني! أنا مدين لك أكثر مما قد تتصور. أخيرًا، لقد كشفت جميع الخيوط نفسها أمام بوارو". قلت ببرود: "رائع".

قال: "ولكن، عليّ أن أوجه لك انتقادًا بسيطًا... ليس ذنبي أنك قلت ما قلت ولا تزال غير قادر على رؤية ما أصبح جليًا الآن. لا عليك! علينا أن نسرع. أرسل في طلب المحقق كونري وقل له إن هيركيول بوارو مستعد! ثم اعثر على صوفي بورليه وأحضرها إلى غرفة الجلوس في أسرع وقت ممكن. هيا أسرع يا كاتشبول".

الفصل ٣٤

الدافع والفرصة

بعد ثلاث ساعات، تمكنت ومعي الرقيب أودواير أخيرًا من جمع الجميع في غرفة الاستقبال. كان الجميع يشعرون بالتوتر والقلق حتى قبل أن يبدأ بوارو الحديث. كان المحقق كونري حانقًا لأنه تمت تنحيته من موقع القيادة. كان قد تخلى عن مشروع تآكل ذقنه الذي كان يقوم به، وأحنى رأسه في زاوية قد تبدو لمن لا يعرف عاداته كأن رقبتة مكسورة.

بعيدًا عن كونري وأودواير وبوارو وأنا، كان بقية المجتمعين في الغرفة هم الليدي بلايفورد وهاري ودورو ورائدال كيمبتون وكلاوديا ومايكل جاذركول وأورفيل رولف وصوفي بورليه وهاتون والخادمة فيليس وبريجيت الطاهية، والتي كانت أول من يتحدث.

سألت بريجيت وهي تحديق إلى وجه كل منا: "ما سبب كل هذه الضوضاء؟ لا يمكنني أن أجلس دون عمل هكذا في منتصف اليوم! من سيطهو الطعام إن لم أفعل أنا! أأمل أن لا أحد منكم قد يعتقد أن لدي وقتًا لهذا الكسل، لأنني لا أملك وقتًا له. هل ترغبون في أن تتضوروا جوعًا؟ ستتضورون إن لم

تركوني أنصرف". وكانت ذراعاها المكتنزتان على استعداد لرفعها من مقعدها في أية لحظة.

قالت كلاوديا: "سأرقص أمام قصر باكنجهام إن لم تكوني قد طهوت غداء وعشاء اليوم ما بين الخامسة والثامنة من صباح اليوم يا بريجيت. هيا - اعترفي".

غمز كيمبتون للطاهية قائلاً: "هيا اصنعي لنا جميعاً معروفاً وأقنعها بأنك لم تفعلي"، فردت عليه الطاهية بزفرة غاضبة، فتابع كيمبتون دعابته قائلاً: "وخلال هذا، سأذهب إلى الملك لأحاول أن أعمل بستانياً في حديقته".

"سيداتي سادتي"، قالها بوارو من مقدمة الغرفة وهو ينحني انحناء صغيرة: "لن أجعلكم تنتظرون أكثر من هذا. أيها الطبيب كيمبتون، سأكون ممتناً لك إن لم تقاطعني طوال حديثي. إن ما سأخبركم به على جانب كبير من الأهمية".

قال كيمبتون: "لا شك لدي في هذا يا صديقي. اسمح لي بأن أقول بضع كلمات دفاعاً عن نفسي قبل أن تبدأ: أيّاً كان ما تعنيه بالمقاطعة، أنا لم أقاطعك. إنك لم تكن تتحدث أو تطلب من الحضور أن يعطوك كامل انتباههم. أعتقد أن لدي..."، ثم بدأ يعد عدد الحاضرين وقال: "... ١٤ شاهداً يمكنهم أن يدعموا ادعائي عند الضرورة. ولكني أدركت ما تريد يا بوارو وسأحترمه. أتمنى أن تتمكن من تنويرنا فيما يتعلق بجريمة قتل جوزيف سكوتشر".

قال بوارو: "هذا ما أنوي فعله، وهذا سبب وجودكم هنا". طوال تلك الفترة، كنت أقف بجوار بوارو أمام المدفأة التي لم تُشعل نيرانها على أمل أن لو كنت أعرف ما سيقول.

بدأ بوارو حديثه قائلاً: "تلك ليست جريمة القتل الأولى التي أحقق فيها. ولكنها واحدة من أكثرها بساطة. لقد دارت في ذهني الكثير من الأسئلة إلا أن حل اللغز كان شديد البساطة – بصورة غير متوقعة".

قالت كلاوديا: "إننا لا نعلم شيئاً لنتمكن من الحكم على صحة ما تقول. لما لا نخبرنا بما توصلت إليه أولاً، ثم سنفكر معاً في هوية القاتل؟". غمغم راندال كيمبتون: "لا تقاطعيه يا حبيبتي".

صدر صوت الليدي بلايفورد من مؤخرة الغرفة، حيث كانت تجلس أمام النافذة الكبيرة، قائلة: "بسيطة يا بوارو؟ لقد تحطم رأس رجل بواسطة هراوة ثقيلة، ثم تبين أنه كان قد مات بسبب السم قبل ذلك، وأنت تقول إنها بسيطة؟".

قال بوارو: "نعم أيتها الليدي بلايفورد. إنها كذلك من الناحية النظرية، و... نعم، كما يجدر بي أن أقول إنها جريمة أنيقة أيضاً. إلا أن الواقع ليس كذلك، فقد كان على القاتل أن يتكيف مع الظروف المتغيرة والأحداث غير المتوقعة. لكن لم تسر خطته كما خطط لها، ولكن، إن فعلت..."، ظهرت الجدية على وجه بوارو وهو يقول: "لو تمكن الشر من تنظيم نفسه جيداً، لكان الخطر عظيماً – خطير للغاية دون شك".

اقتصر جسدي. لماذا لم يفكر هاتون أو فيليس في إشعال نار المدفأة. إن الجو بارد اليوم – أكثر الأيام برودة.

قال بوارو: "في أية جريمة قتل، يجب على المرء أن يفكر في الدافع والفرصة. دعوني أبدأ بالفرصة أولاً؛ لأن هذا هو الجزء السهل مما حدث. قد يبدو أن جميع الحاضرين في الغرفة، عدا المحقق كونري والرفيق أودواير وإدوارد كاتشبول، قد توافرت لهم فرصة قتل جوزيف سكوتشر. وفي الوقت الحالي، سننحي تحطيم رأس سكوتشر بالهراوة جانباً، وسأعود

إلى هذه النقطة في وقت لاحق، ولكن، أولاً، دعوني أتحدث عن جريمة القتل نفسها. نعلم جميعاً أنه تم العثور على آثار لسم الإستركنين في زجاجة الدواء الزرقاء التي كانت في غرفة سكوتشر، ونعلم أنه في حضور صوفي بورليه، يتناول سكوتشر الدواء - أو أيًا ما كان في الزجاجة - في تمام الخامسة من كل يوم، بما في ذلك يوم موته. وكان سم الإستركنين هو سبب موته، كما سمعنا خلال التحقيق".

صدرت بعض تمتمات تتم عن الموافقة من البعض.

قال بوارو: "عدا الأسماء الثلاثة التي ذكرتها، لم يكن من الممكن لأي منكم أن يدخل غرفة سكوتشر قبل الخامسة من ذلك اليوم ويدس سم الإستركنين في الزجاجة الزرقاء؛ لذا لننتقل إلى الدافع... يمتلك أغلب الحاضرين الدافع لقتل سكوتشر. هل أبداً بك أيها الفيكونت بلايفورد؟". نظر له هاري وقد بدا الارتباك على وجهه وقال: "ماذا؟". ثم استجمع شتات نفسه وتذكر أسلوبه الرزين وقال: "لا بأس... نعم. كما يحلو لك يا صديقي... يسعدني هذا".

قال بوارو: "من منطلق كونك الفيكونت بلايفورد السادس من مقاطعة كلوناكيلتي، من الطبيعي أن ترث جزءاً من ممتلكات والدتك. وتوقع أن يحدث هذا مثل أي ابن. ولم تكن سعيداً بما نصت عليه وصية والدك الراحل، وكذلك كانت زوجتك. ثم تسمع ذات يوم في أثناء العشاء أنك لن ترث أي شيء على الإطلاق، وسيرث جوزيف سكوتشر ممتلكاتك. ولكن، إن تمت إزاحته من الطريق...".

قالت دورو: "بالطبع، لقد توقع هاري الحصول على إرثه الشرعي. أليس كذلك يا هاري؟ من الذي كان يمكنه أن يتوقع ذلك؟".

ابتسم لها بوارو وقال: "وأنت يا سيدتي، زوجة الفيكونت بلايفورد، أنت أيضاً كنت تتوقعين المثل: ممتلكات الزوج ستكون ملكاً للزوجة؛ وهذا يمنحك أيضاً دافعاً للقتل. ولكني أقول إن دافعك قد يختلف عن دافع زوجك. ففي حالتك، ستكون الوصية الجديدة هي السبب في رغبتك في قتل سكوتشر - الخوف من الفقر، والمستقبل غير المؤمّن، والتأكد من أن المال سيؤول إليك في النهاية وليس إلى زوجك".

قال هاري: "حقاً؟". بدت الدهشة على وجهه وعلى وجه دورو. ثم قال هاري: "هيا، قل لي. ماذا كان دافعي لإزاحة المسكين جوزيف سكوتشر عن الطريق؟".

قال بوارو: "كنت تعلم ما كان ليحدث لزوجتك لو ظل سكوتشر على قيد الحياة. كيف كانت ستشعر بالمرارة وكيف كانت ستصبح مهووسة بالأمر. وكنت تخشى أنها لم تكن لتتحدث عن شيء عدا الوصية الجديدة وأحوالك المادية الصعبة. وكنت ستظل تستمع لشكواها المستمرة لما تبقى من حياتك، من دون أن تملك أية أموال لإنفاقها على أي شيء يلهيها".

نهضت دورو وقالت: "كيف تجرؤ على التحدث معي بهذه الطريقة! هاري، قل شيئاً. هذا هراء. إن كان السم قد دُس في الزجاجة قبل الخامسة... حسناً، أنا وهاري لم نكن نعلم شيئاً بشأن الوصية الجديدة في ذلك الوقت فلم نعرف بها إلا في وقت العشاء، والذي كان في تمام السابعة".

قال بوارو: "اجلسي من فضلك يا سيدتي. إن ما تقولينه صحيح، ولكن تذكرني: أنا لا أتحدث الآن إلا عن الدافع".

قالت دورو وقد بدت مهتاجة وغير ممتنة تماماً وهي تقول: "شكراً على إقرارك بأني محقة، على الأقل".

التفت بوارو نحو هاري، والذي كان التعامل معه أسهل بشتى الطرق وقال: "أيها الفيكونت بلايفورد، لقد أخبرتك بأنك وزوجتك تمتلكان دافعاً للقتل. ولكنكما لم تقتلا جوزيف سكوتشر. لم يفعل ذلك أي منكما".

أوماً هاري برأسه وقال: "هكذا يكون الكلام"، ثم مد يده ليربت ركة زوجته وقال بسعادة: "هذا جيد إذن".

قال بوارو: "الآنسة كلاوديا...".

قالت كلاوديا: "هل أنا التالية؟ هذا مثير".

قال بوارو: "رغم خطبتك للطبيب كيمبتون، فإن تغيير والدتك لوصيتها هو دافعك للقتل أيضاً. ربما لم تكوني بحاجة إلى الأراضي أو الأموال، ولكنك امرأة تشعر بالاضطهاد الدائم. إنك ترين أنك ظلمت عندما ورث أخوك لقب والدك. لماذا لم ترثيه أنت، الابنة الكبرى؟ كما أن جوزيف سكوتشر كان سيأخذ شيئاً ترينه حقه الشرعي —".

قاطعت كلاوديا وهي تصيح: "لا حاجة بك لأن تكمل. بالطبع أمتلك الدافع — يمكن لأي أحد أن يرى هذا بكل سهولة. ولكني كنت قد أقتل والدتي وليس جوزيف. ففي نهاية المطاف، لم يكن هذا خطأ. يجب أن يكون المرء دقيقاً عندما يفكر في تحميل أحد مسئولية الأمور، أليس كذلك؟".

قال كيمبتون: "أعتقد أن المرء يجب أن يكون دقيقاً في كل ما يفعل".

قالت كلاوديا: "كما أن هناك أمراً بسيطاً يتعلق بالتنفيذ"، ثم ضحكت وقالت: "ليس تنفيذ الجريمة ما أعنيه، بل أعني تنفيذ خطط المرء: لم أكن لأضع خطة لارتكاب جريمة قتل عن طريق السم والضرب بالهراوة. إن من ارتكب تلك الجريمة تسبب في فوضى عارمة. إنه عمل أخرق في رأيي".

قالت صوفي بورليه: "أنت كاذبة. لقد رأيتك والهراوة في يدك".

رفعت كلاوديا عينها لتتنظر إلى السقف وقالت: "يا إلهي، هل سنخوض في هذا الجدل مرة أخرى؟ أنا لم أقتل جوزيف - أخبرها يا بوارو بحق الله". ثم التفتت نحو صوفي وقالت: "لقد كنت أستمع بصحبته كما تعلمين. كما أنني أهتم كثيرًا بحماية نفسي ولم أكن لأقدم على جريمة قتل بطريقة تعرضني لأن يُقبض عليّ. لو كنت سأقتل أحدًا - ويجب أن أتوقف عن تخيل هذا والا سأفكر بجدية في فعله، فهناك كثيرون يستحقون القتل - كنت سأؤكد من عدم الدخول في دائرة الشبهات ولو للحظة واحدة. ولو وجدت أن هذا مستحيل، لم أكن لأقتل أحدًا، وإن كنت سأشعر بالألم لأنني سأرحمه". صفق كيمبتون بيديه في تقدير وقال: "أحسنتم قولاً يا حبيبتي"، في حين أشاح مايكل جاذركول بوجهه بعيداً في اشمئزاز.

قال بوارو: "كلاوديا بلايفورد لم تقتل جوزيف سكوتشر. لذا سننتقل إلى راندال كيمبتون".

قال كيمبتون: "يجب أن أنتبه إذن".

قال بوارو: "أنت يا سيدي، تمتلك أسباباً لقتل جوزيف سكوتشر أكثر من جميع من في المنزل - إنها أسباب مقنعة أيضاً. لقد سرق منك سكوتشر حبك الأول، أيريس مورفيت. والآن، كان على وشك أن يسرق، من وجهة نظرك، كامل ثروة الليدي بلايفورد. يا له من إجحاف! لقد حُرمت زوجتك المستقبلية، التي تحبها كثيرًا، من كامل ميراثها. يعد هذا في حد ذاته دافعاً قوياً للقتل، حتى إن تجاهلنا موضوع أيريس مورفيت".

وافقه كيمبتون على الفور قائلاً: "سبب وجيه".

قال بوارو: "دعنا نتحدث أكثر عن أيريس. لقد هجرتك لتتزوج من سكوتشر، كما أخبرتني، ولكن هذا لم يحدث. بل انتهت علاقتها بسكوتشر.

ويمكننا أن نخمن سبب ذلك، ولكننا لسنا على يقين من ذلك. كل ما نعرفه هو أنها ندمت على قرارها – ولكن كان قد سبق السيف العذل، ولم تقبل أنت أن تعود لترتبط بها".

قال كيمبتون: "هل كنت لتفعل لو كنت مكاني؟ هل كنت لتقبل امرأة هجرتك مرة من قبل من أجل رجل أقل منك قدرًا بكثير – رجل كان يقلدني في كل شيء، وكان يحاول أن يحاكي كل ما أفعل لكي يجعل نفسه أكثر قبولاً لدى الناس؟ لا أعلم ما تريد الوصول إليه بحديثك عن هذا الأمر يا بوارو. لا يوجد لديّ المزيد لأقوله عن أيريس. كنت أعتقد أننا سنتحدث عن الأسباب التي دفعتني لقتل سكوتشر".

قال بوارو: "هذا ما أحاول فعله يا صديقي. صبراً من فضلك. بعدما رفضت أيريس، تزوجت هي من برسيغال جيلو، رجل من دون أي وضع اجتماعي وذو شخصية مثيرة للجدل. وبعد عام من زواجها منه، ماتت. سقطت تحت عجلات القطار كما قلت".

أكد كيمبتون ما قاله بوارو قائلاً: "هذا صحيح".

ترك بوارو جانبي وبدأ يتجول في الغرفة بينما يتحدث ويقول: "وبمهارة وذكاء، أخبرتني بأمرين الواحد تلو الآخر: أن السيد جيلو كان شخصاً بغيضاً، وأن الشرطة لم تتمكن من إثبات أنه من دفع زوجته تحت عجلات القطار. كنت تريد مني أن أعتقد أنه إن كان هناك من دفع أيريس تحت عجلات القطار، فسيكون زوجها – وأن موت أيريس، إما كان بسبب دفع زوجها لها تحت عجلات القطار أو حادث عرضي. ولكن، لم يكن هذا ما تعتقده أنت في الحقيقة".

ابتسم كيمبتون وقال: "حقاً؟". وبدأ كأنه كان يحاول أن يبدو عديم الاكتراث، ولكنه لم يفلح.

قال بوارو: "أيها الطبيب كيمبتون، تذكر أنني ذهبت إلى إنجلترا، وتحدثت مع الكثيرين، بمن فيهم رجال الشرطة الذين حققوا في موت أيريس جيلو. وأخبروني بزيارتك لهم، وإصرارك على أن جوزيف سكوتشر هو من قتل أيريس لأنها اكتشفت أنه ليس مريضاً كما يدعي، وأنها واجهته بما كانت تعرفه عنه. وخشي سكوتشر أن تكشف أمره فقتلها - هذا ما شككت فيه حينها ولا تزال تشك فيه حتى الآن، أليس كذلك؟".

قال كيمبتون: "نعم - هذا صحيح. لقد التقيت إذن بالمحقق توماس بلاكمور، أليس كذلك؟ على أية حال، لا بد من أنه أخبرك بأنه لم يوجد أي دليل على القتل، وأن نتيجة التحقيق توصلت إلى أن سبب الوفاة هو: حادث عرضي".

قال بوارو: "هناك سؤال أود طرحه عليك أيها الطبيب كيمبتون. إن كنت تعتقد أن سكوتشر قتل أيريس، لماذا حاولت أن تجعلني أشك في أمر برسيغال جيلو؟".

قال كيمبتون: "ألا يمكنك تبين الأمر بنفسك يا بوارو؟ كنت أعتقد أن خبرتك في علم النفس بإمكانها أن تحل هذا اللغز بكل سهولة. لا؟ حسناً، سأخبرك بالأمر. هي أوكسفورد، عندما كنت أصغر سنّاً ومفعماً بالطاقة والكثير من التفاؤل حيال الناس ومعادنتهم، حاولت إقناع جميع الحمقى بالغي الثقة بأنفسهم، الذين خدعهم سكوتشر. كنت على يقين تام بأن سكوتشر كاذب ومحتال ولا يعاني أي مرض عضوي، وبطبيعة الأمر، أخبرت الجميع بذلك. ولكنهم نبدوني. كان سكوتشر من ناحيته يبذل جهداً، في محاولة إقناع الجميع بأنه مريض، مساوياً للجهد الذي أبذله لإقناعهم بالعكس. ورتب لبعض من معارفه من أوكسفورد لقاءً مع طبيبه الزائف، مثلما فعل عندما رتب للقائي مع شقيقه الزائف. كان كلا هذين الشخصين

الزائفين هما جوزيف سكوتشر بنفسه متكرراً: واضعاً لحيه ومغيراً لون بشرته إلى لون داكن حتى معصميه".

سألته الليدي بلايفورد: "راندا، لماذا لم تخبرني بهذه القصة من قبل؟".

قال كيمبتون: "أنصتي وستعرفين السبب. فيما بينهما، راعى سكوتشر وطيبه الخيالي أن أكون منبوذاً في أوكسفورد. وأنا لا أحب أن أكون منبوذاً، ولا يمكنني تحمل أن يتفوق عليّ أحد في الذكاء. وكان هذا ما يحدث حينها، ولهذا السبب البسيط: لا يحب الناس أن يستمعوا إلى من يخبرهم بالحقيقة المرة، ويفضلون الاستماع إلى من يخبرهم بالأكاذيب المحببة. لم يكن أحد يرغب في أن يصدق أن جوزيف سكوتشر العطوف الإيثاري – الذين كانوا يحبونه جميعاً كثيراً لأنه كان يدهنهم باستمرار – قد يخدعهم بتلك الطريقة الدنيئة؛ لذا لم يصدقوني. أمر بسيطاً كانوا يقولون لي: لن يفعل أحد هذا أبداً... وكانوا من الغباء بحيث انخدعوا بهرائه الخاص.

"وسرعان ما اكتشفت أنني لم أعد مهتماً بالاستمرار في حملتي لكشف الحقيقة التي كنت فيها، واعترفت لنفسى بذلك. أنا رجل أتخذ القرارات وألتزم بها يا بوارو. وقررت حينها أنني لن أحاول مجدداً إقناع أحد بخداع سكوتشر. كنت قد حاولت لفت انتباه الناس لحقيقته ولكن لم يستمع لي أحد. حسناً، لا بأس. سادع سكوتشر يستمر في غيه أو يموت كمداً، وبهذا، نفضت يديّ تماماً من أمره. آتي، لقد سألتني عن سبب عدم إخبارك بهذه القصة. هذا هو السبب. كما أنني لم أقل شيئاً حتى إلى كلاوديا. لماذا؟ لأنها اكتشفت الحقيقة بنفسها بمجرد أن أعلن سكوتشر لمن في ليلى أوك أنه سيفقد حياته بسبب مرض عضال، ثم بعد ذلك، من المؤكد أن يموت.

ولم تكن لتتطلي تلك الخدعة بأنه مريض إلا على الحمقى، وحببتي ليست حمقاء.

"لقد أخبرتني بشكوكها، وبطبيعة الأمر أخبرتها بشكوكي أيضاً، ولكني لم أخبرها بكامل القصة التي أخبرتكم بها. وأقمتها بأن شكوكي بشأن سكوتشر حديثة العهد مثلها تماماً.

"وأنت يا آني، إنك حادة الذكاء وقوية الملاحظة مثل ابنتك تماماً. ويمرور الأيام، لم يكن يبدو على سكوتشر أي أثر للمرض – فقط ما يقوله هو: أشعر بالضعف، وأحتاج إلى الراحة... أي شخص يمكنه أن يقول تلك الكلمات نفسها. ولكن، هل أقدمت على طرده إلى الشارع حيث ينتمي؟".

قالت الليدي بلايفورد بفخر: "لا، لم أفعل".

قال كيمبتون: "لا، وبدلاً من طرده، استأجرت ممرضة خاصة له، بل وغيرت وصيتك لصالحه. هذا مثال حي على مدى قوة سحر هذا الرجل – على الكثيرين. وبدلاً من الاعتراض على أكاذيبه وكشفها، أصبحت شريكة في لعبة الخداع التي يمارسها. لقد لعبتها معه بمحض إرادتك! لقد كان من المذهل مراقبتك تفعلين ذلك، ومثيراً للاشمئزاز في آن واحد".

التفت كيمبتون نحو بوارو وقال: "لقد جعلتك تستنتج أنني أشك في أن بيرسي جيلو قتل أيريس؛ لأنني لو كنت أخبرتك بأنني أشك في أن سكوتشر هو الذي فعلها، لعدت أدراجي إلى حيث كنت منذ أعوام عندما كنت في أوكسفورد – عندما كنت أحاول إقناع الناس بأنه شخص سيئ. ربما كنت ستقول: ولكن يا كيمبتون، لا يعني كونه كذب بشأن مرضه أنه قاتل... كانت فكرة أن تقول تلك الكلمات مقلقة للغاية بالنسبة لي؛ لذا سلكت الطريق السهل. كنت أعلم أنني لن أواجه أية مشكلة في إقناعك بأن رجلاً سيئ السمعة مثل بيرسي جيلو قد قتل زوجته. وكنت أعلم أنك ستلزم نفسك

بالتحقيق في الأمر أكثر وأن تعرف بنفسك إذا ما كان جوزيف سكوتشر هو الذي قتلها أم لا. فإن كان هناك من يمكنه إثبات هذا، فسيكون أنت."

أجابه بوارو: "لا أعلم إن كان هناك من سيمكنه إثبات هذا ولو بعد سنوات. إن كنت تأمل لو أنني توصلت إلى دليل دامغ على أن —".

قال كيمبتون بحزم: "الدليل الدامغ هو الدليل الوحيد الذي يستحق البحث عنه. هل أخبرك بأمراً قبل أن أستسلم، بذلت جهداً كبيراً في محاولة لجمع أكبر قدر من المعلومات للتوصل إلى دليل دامغ. واستأجرت رجلاً مثلك يا بوارو — محققاً خاصاً. ودفعت له المال ليتبع سكوتشر طوال أسابيع. وطوال تلك الفترة، لم يقترب سكوتشر من أي شخص له علاقة بالطب، على الرغم من أنه كان يخبرني من وقت لآخر بأنه زار الطبيب. كنت قادراً على مشاركة تلك المعلومات مع الأصدقاء المشتركين بيني وبين سكوتشر، ولكن، هل تعرف ماذا كانوا سيقولون؟ إنني رجل شرير للغاية لأنني نصبت فخاً لصديقي، أو صديقي السابق، وجعلت محققاً سرّياً يتبعه، بل وربما قالوا إن المحقق الذي استأجرته ربما أخبرني بمعلومات مغلوبة، أو أن سكوتشر لم يكن بحاجة لزيارة الطبيب خلال تلك الفترة، ولكن هذا لا يعني أنه مريض للغاية. وهو أمر حقيقي تماماً، وغير قابل للجدل. قد يكون المرء على وشك الموت بالفعل وسيظل يكذب بشأن زيارته للطبيب. حينها أدركت أنني قد أنفق أموالاً طائلة، وأستعين بجميع المحققين الخصوصيين في العالم، ولكنني لن أتمكن من الحصول على الدليل الدامغ الذي من شأنه إقناع الجميع، أو حتى أن أتقن من صحة شكوكي".

قال بوارو: "فلنعد إلى دافعك المحتمل لقتل جوزيف سكوتشر. يبدو أنه يجب علينا أن نضيف دافعين آخرين إلى القائمة: ليس دافع الانتقام لأنه سرق منك أيريس، بل أيضاً الانتقام لأنه قتلها؛ ولأنه هزمك. لقد انطلت

أكاذيب سكوتشر على الجميع. وباءت جميع محاولتك لإظهار الحقيقة بالفشل".

قال كيمبتون: "مهلاً، لا، معذرة. أنا أعترض على إضافتك للانتقام لمقتل أيريس إلى القائمة. أخشى أنك لا تعرف أي شيء عني يا بوارو. أنا لن أقدم على قتل أحد انتقاماً من أمر ربما فعله أو لم يفعله، حتى إن كنت أشك بشدة في أنه المذنب. إن الشك في حد ذاته ليس دافعاً كافياً. ليس كافياً على الإطلاق. كما أنني لم أكن واثقاً بأن سكوتشر يكذب بشأن مرضه. لقد كانت مجرد شكوك كنت أحاول أن أفرضها عليك باستمرار".

أوما بوارو برأسه وقال: "حسناً. ولكن، ليست هناك احتمالات فيما يتعلق بالدافع التالي: جوزيف سكوتشر – ذلك الرجل الذي لا تثق به بل وتشك في أمره، ذلك المخادع، ذلك المحتال – رفض أن يتركك في حالك. لقد ذهبت إلى أوكسفورد كما أخبرتكم من قبل. واكتشفت، مثلما فعلت أنت، أنه قبل أن تتحول لدراسة الطب وقبل أن يأتي سكوتشر للعمل في ليلي أوك لصالح الليدي بلايفورد، كان دارساً للأدب – أدب شكسبير على وجه الخصوص. هل كان هذا هو السبب الحقيقي لترك دراستك والتحول لدراسة الطب أيها الطبيب كيمبتون؟ كان سكوتشر مصراً على أن يقلدك في كل شيء، وعلى الاستيلاء على ما تملك، وأن يحاول أن يكون أنت بشتى الطرق الممكنة – لذا قررت أن تترك له شكسبير، وأن تسلك أنت اتجاهًا مغايرًا تماماً – مسيرة مهنية تعتقد أن سكوتشر لن يجروء على أن يتبعك فيها. إن رجلاً معافى يدعي أنه يحتضر لن يختار أبداً الاقتراب من مهنة الطب. ألم يكن هذا ما تفكر فيه؟".

قال كيمبتون: "لا، على الإطلاق. ولكن، أليس من المذهل أنك تمكنت من ترتيب الأمور معًا وجعلها مقنعة لهذه الدرجة؟ لا – أؤكد لك أنني عندما بدأت دراسة الطب، لم تمر فكرة إبعاد سكوتشر عني بخاطري من الأساس".

قال بوارو: "ولكن من المؤكد أنك كنت ترغب في إبعاده عنك. بعد أيريس، كان لقاءك بكلاوديا بمثابة ميلاد جديد لك. ثم تعرفت على عائلتها، العائلة التي كنت ترغب في أن تتزوج بابتهم ذات يوم... ولكنك فوجئت بعد ذلك بوصول جوزيف سكوتشر! لقد أصبح فجأة سكرتير الليدي بلايفورد الخاص. ومر بخاطرك حينها أنك مهما فعلت أو أينما ذهبت، سيتبعك. وستكون مضطراً من جديد لمشاهدة الناس وهم يتهافنون عليه، ويصدقون أكاذيبه. سيصبح الأمر كما كان في أوكسفورد في الماضي. يمكنني أن أقول إن هذا دافع قوي للقتل أيها الطبيب كيمبتون".

وافق كيمبتون قائلاً: "كذلك أراه أنا. إنك محق في هذا الأمر يا بوارو. هل تحسب النقاط؟ كم عدد الدوافع التي أمتلكها؟".

قال بوارو: "العدد ليس مهماً. إننا لا نمارس لعبة".

قال كيمبتون: "أعتقد أنك محق، ولكن... حسناً، أشعر كثيراً بالذنب لأنني استرعت الكثير من الانتباه لفترة طويلة – خاصة أنني لم أقتل ذلك المأفون".

وقفت الليدي بلايفورد في مؤخرة الغرفة وقالت: "يزعجني كثيراً أن أسمع جوزيف يوصف بأنه مخادع ومحتال يا بوارو، ثم نكتشف الآن أنه كان يرغب في أن يكون دارساً لأدب شكسبير فقط ليبدو مثل راندال؟ ألا ترون جميعكم أن الرجل المسكين كان مريضاً للغاية؟ ليس مرضاً عضوياً، بل مرضاً عقلياً. من الخطأ تطبيق القواعد الأخلاقية العادية على شخص لديه مشكلات جوزيف".

قال كيمبتون: "هذا أمر غير لائق بالمرة".

قال بوارو: "دعوني أنه حديثي عن الطبيب كيمبتون: ربما كان يمتلك الكثير من الدوافع القوية لقتل سكوتشر – أكثر من أي أحد آخر في هذه الغرفة، ولكن تذكروا أنه أصبح الآن رجل علم، الذي تعلم كيفية الانضباط والتحكم في النفس. ربما استسلم رجل آخر في موقعه إلى رغبة جامحة في الانتقام وارتكب جريمة قتل بالفعل، ولكن راندال كيمبتون لم يفعل – لم يفعلها منذ هجر أيريس مورفيت له للمرة الأولى، ولا في أي وقت آخر. لم يكن كبرياؤه ليسمح له بالتهور بهذه الطريقة. إطلاقاً".

ضحك كيمبتون وقال: "بوارو، إنني أسحب كل إهانة قلْتُها عن أسلوبك في كشف غموض الجرائم. فليحيا علم النفس".

جال بوارو بعينه في الغرفة وقال: "وبهذا ... سننتقل إلى...".

الفصل ٣٥

كان يمكن للجميع فعلها ، ولكن لم يفعلها أحد

قال بوارو: "هناك ثلاثة أشخاص لا يمتلكون سبيًا لقتل جوزيف سكوتشر: السيد هاتون، والسيدة بريجيت مارش والسيد أورفيل رولف. ويمكننا أن نزيلهم جميعًا من دائرة الشكوك".

قالت بريجيت: "ماذا تقول؟ هل يمكنك التحدث بكلام مفهوم؟".

قال بوارو: "أقول يا سيدتي إنك لم تقتلي السيد سكوتشر".

قالت بريجيت: "وهل تعتقد أن ملء أذنيّ بالهراء طوال ساعات ثم تقول لي في النهاية ما أعلمه جيدًا سيساعدني على إعداد عشاء اليوم؟ بدلاً من أن نخبرنا بما لم يحدث، أخبرنا بما حدث. إن كل ما أخبرتنا به حتى الآن يشبه... حسنًا، يشبه طلبتي لكمية كبيرة من اللحم من أجل عشرات الوجبات التي لا أنوي إعدادها".

قالت الليدي بلايفورد: "بريجيت، لا تتحدثي مع السيد بوارو بهذه الطريقة". كان يبدو الشرود على صوتها كما لو أنها تفكر في أمر آخر، وكان توبيخها لبريجيت من أجل الشكل العام ليس أكثر.

جاءها الرد سريعاً من بريجيت التي قالت: "دعيني أعد إلى طهوي إذن! سيمكن لأي أحد أن يأخذ ما يريد من مطبخي لأنني لست متواجدة فيه"، قالتها وهي ترمقني بنظرة ثاقبة، كما لو كانت تلومني على هذا أكثر من الجميع. فتساءلت بينما كنت أتذكر قصتها عن ابن أخيها ووعاء الحلوى... لقد كانت غاضبة مني في ذلك الوقت أيضاً. هل تشك في أنني قد سرقت إحدى أدوات مطبخها؟ لماذا قد تعتقد هذا رغم أنني لم أقدم على أمر من هذا القبيل؟

قال بوارو: "نصل الآن إلى صوفي بورليه وفيليس تشيفرز".
قالت فيليس في رعب: "أنا؟ ماذا تريد مني؟ أنا لم أفعل أي شيء".
غاصت صوفي في مقعدها ولم تقل شيئاً.

قال بوارو: "إن دافع الأنسة فيليس واضح: لقد سمعت، بينما كانت تنصت على ما يدور داخل غرفة الطعام، عرض السيد سكوتشر الزواج من ممرضته صوفي. إن الحقد شعور جارف — ومن السهل أن يقود المرء إلى القتل".

فوقفت فيليس ممسكة بتورتها وهي تقول: "أنا لم أفعلها، أقسم لك. لم أقتل أحداً، مطلقاً. ولو كنت لأفعل، لقتلتها هي وليس هو".

قال بوارو: "بالطبع. لقد قلت ما كنت على وشك قوله. إن المرأة التي تشعر بالغيرة من المرجح أكثر بكثير أن تقتل المرأة الأخرى، منافستها على حبيبها، من قتلها للرجل الذي تحبه. إن فيليس تشيفرز لم تقتل جوزيف سكوتشر. وبالنسبة إلى صوفي بورليه، ما دافعها؟ لقد كانت تحب سكوتشر — هذا أمر غير مشكوك فيه. لقد لاحظت هذا منذ رأيتهما معاً للوهلة الأولى. ولكن، ربما دفعها اعتقادها أنه على وشك أن يموت، أو الاعتقاد أن هذا صحيح —".

كان يمكن للجميع فعلها، ولكن لم يفعلها أحد

قاطعته كلاوديا قائلة: "كانت صوفي تعلم أنه سليم مثلنا جميعاً. من الغريب أنها لا تزال تصر على تبرئة ساحته بعد جميع الحقائق التي تكشفت حتى الآن".

لم تحرك صوفي ساكناً، ولم تنبس ببنت شفة. قال بوارو: "من منطلق معرفتها بأن الرجل الذي تحب سيموت في القريب بسبب مرضه العضال – أو من منطلق معرفتها بأنه سيظل يتظاهر بذلك طوال حياته، وأنه سيجبرها على التظاهر مثله، الأمر الذي لم تكن لتحتمله، ربما لم تجد صوفي بورليه أي حل آخر لمشكلتها عدا القتل. كما أنه من المحتمل أنها أحببت سكوتشر كثيراً، ولكنها بمجرد أن أقرت لنفسها بأنه كذب عليها، شعرت بأنه خانها – وكان شعوراً قوياً لدرجة أنها أرادت أن تقتله".

قال راندال كيمبتون: "ولا واحدة من تلك النظريات تبدو محتملة. إنهما غامضتان. ولكن، لا بد من أن صوفي هي القاتلة، والا، لماذا كذبت بشأن كلاوديا والهرأوة وكل ما قالتها؟".

قال بوارو: "ولا واحدة من تلك النظريات محتملة أيها الطبيب كيمبتون لأن صوفي بورليه لم تقتل جوزيف سكوتشر".

قال كيمبتون وهو ينظر إلى كلاوديا: "ماذا؟ مهلاً يا صديقي. لا بد أنها القاتلة".

قالت كلاوديا ساخطة: "إن لم تكن القاتلة، فمن القاتل؟". نهضت صوفي واقفة. وكانت للمرة الأولى منذ مقتل سكوتشر تبدو مهندمة، فقد صنففت شعرها وعقصته إلى الخلف. وكانت تبدو أكبر من عمرها الحقيقي بقليل، وقالت: "هناك أمر يجب أن أعترف به. واعدرني يا سيد بوارو على مقاطعتك. كان يجب أن أخبرك بهذا الأمر منذ البداية –

أتمنى لو أنني فعلت. لكنني لم أفعل، كما لم أخبرك عندما كنا في مركز الشرطة في باليجورتين، ولا عندما كنا في غرفة الجلوس عندما كنا نجري التجربة —".

قالت الليدي بلايفورد: "تجربة؟". قالتها كأنها كلمة شائنة لم تتوقع سماعها قط داخل جدران منزلها.

قال لها بوارو: "سأخبرك بأمر التجربة في وقت آخر"، ثم قال محدثاً صوفي: "أكملي من فضلك".

وقفت صوفي منتصبة وقد ضمت ذراعيها أمام صدرها. كانت هيئتها تشبه طالبة مهذبة في المدرسة طُلب منها أن تغني منفردة خلال حفل، وقالت: "لقد كذبت بشأن أمر مهم. أعلم أن بعضكم سيقول إنني إن كذبت مرة فسأكذب مائة مرة، ولكنني امرأة صادقة، ولا أحب الأكاذيب. ولكنني في بعض الأحيان... حسناً، في ذلك الموقف، أصاب بالذعر، وقررت فعل أمر ما ثبت خطؤه".

قال كيمبتون: "ما الذي تتحدثين عنه أيتها المرأة غريبة الأطوار؟". قال بوارو مقترحاً: "هل لي أن أقص أنا القصة؟ ربما تشيرين إلى روب كلاوديا بلايفورد الأبيض، أليس كذلك؟".

فغرت صوفي فاهها غير مصدقة وقالت: "كيف عرفت؟ لم يكن من الممكن أن تعرف".

قال بوارو: "بوارو يعرف كل شيء يا آنسة. لقد سألتك — أحد أول الأسئلة التي طرحتها عليك — عما كانت ترتديه كلاوديا بلايفورد عندما كانت تحطم رأس سكوتشر بالهراوة. فقلت إنها كانت ترتدي روباً أبيض فوق فستان سهرتها. وكنت أعلم أن هذا غير حقيقي. لقد ارتدت الروب الأبيض عندما كانت تتجه لتهبط الدرج إلى الطابق السفلي بعدما سمعت

كان يمكن للجميع فعلها، ولكن لم يفعلها أحد

صرخاتك وترى جثة سكوتشر في غرفة الجلوس. لقد رأيت الروب الأبيض بنفسى – ولم تكن هناك نقطة دم واحدة عليه. أنا من نوعية الناس الذين يلاحظون أية عيوب في الملابس. قلت لنفسى حينها: إن صوفي بورليه تكذب – إما بشأن رؤيتها كلاوديا تحطم رأس سكوتشر بالهراوة، أو بشأن ما كانت ترتديه في أثناء ذلك". telegram @ktabpdf

همست صوفي قائلة: "لقد رأيته بالفعل. أقسم لك على هذا". وافقها بوارو قائلاً: "لقد رأيته، نعم، ولكنها كانت ترتدي الفستان الأخضر الذي كانت ترتديه على العشاء، أليس كذلك؟ ولكنك رأيته عندما عادت إلى غرفة الجلوس بعد ذلك، وكانت ترتدي الروب الأبيض. ولم تتمكني من فهم كيف تمكنت من الصعود إلى الطابق العلوي، وتغيير ملابسها وتخبئة الفستان الملطخ بالدماء خلال ذلك. لذا كذبت".

قالت صوفي: "لم يكن الأمر منطقيًا. كيف كانت كلاوديا ترتدي فستانًا أخضر وهي تهاجم جوزيف في غرفة الجلوس وبعدها بدقيقة كانت تقف في الردهة مرتدية فستانًا أبيض وروبًا أبيض؟ كان الشيء الوحيد الذي حدث بين هذين الحدثين، أنى كنت أصرخ – ولكنى لم أصرخ لفترة طويلة قبل أن يهرع الجميع نحوي. لم يكن هناك وقت كافٍ لكل هذا – وكانت تلك هي المشكلة. كنت أعلم أنى لوقلت إنى رأيته تحطم رأس سكوتشر بالهراوة مرتدية فستانًا أخضر، لبدوت كاذبة".

قال بوارو: "ولكى تتجنبى هذا، أصبحت كاذبة. لقد رأيت تلك الظاهرة مرات عدة من قبل. ولكن لا بأس. لقد أضفت تفاصيل زائفة... ولكن، بمجرد أن نزيل تلك التفاصيل، تبقى لنا الحقيقة الأصلية. يشبه هذا الأمر – إن سمحت لي أيها الرقيب أودواير – عبارة أخرس المذيع من دون

المذيع. حيث كنت أنت وشقيقك تضيفان كلمة المذيع غير الضرورية تلك لتنجوا من العقاب، ولكنكما تبقيان على الرسالة الأصلية وهي: اخرس".

سألت الليدي بلايفورد: "عم تتحدث يا بوارو بحق الله؟ ما الذي تعنيه بذلك المذيع غير الضروري، وما دخل شقيق أودواير بالأمر؟".

قال بوارو: "لا عليك - هذا أمر غير مهم. كل ما أعنيه أنه إن أزلنا ما أضافته صوفي بورليه إلى القصة، فسنعثر على الرسالة الأصلية التي كانت ترغب بشدة في أن نخبرنا بها: أنها رأت أمرين من المستحيل أن يتفقا معاً".

صاحت كلاوديا: "معذرة. لماذا قد أرغب في تحطيم رأس جثة ميتة؟ قد يبدو الأمر مبهجاً حقاً، ولكن علينا أن نتذكر إضافة بعض المنطق السليم لكلامنا من حين لآخر".

قالت صوفي: "أنا آسفة أنني كذبت. كنت أعلم... ولكننا لم نكن قمنا بالتجربة".

قال كيمبتون: "آية تجربة؟ إن صبري ينفذ بسرعة. بوارو، إن لم تكن صوفي هي من قتل سكوتشر، فمن القاتل؟".

"سينكشف كل شيء في وقته أيها الطبيب كيمبتون"، قالها بوارو ثم التفت نحو مايكل جاذركول وقال: "مايكل جاذركول، لقد ظلت تحقد على جوزيف سكوتشر منذ خطف منك الوظيفة لدى الليدي بلايفورد كسكرتيرها الخاص. لقد تقدمت أنت أيضاً للوظيفة ولكنها لم تقبل. والأسوأ من هذا أن سكوتشر استخدم معرفتك بقصص الليدي بلايفورد الغامضة لكي يقنعها بقبوله. لذا، ربما أقدمت على قتله بسبب حقدك عليه، أو ربما كان دافعك للقتل دافعاً إثارياً، حيث إنني أعتقد أنك رجل طيب يراعي الآخرين. ربما قتلت سكوتشر من أجل الليدي بلايفورد، لحمايتها. لقد كنت قادراً

كان يمكن للجميع فعلها، ولكن لم يفعلها أحد

على رؤيته على حقيقته، ولكنك لم تعتقد أنها قادرة على ذلك - كان يبدو كأنها لا يمكنها أن تدرك مخاطر السماح له بالبقاء في منزل ليلي أوك في وسط عائلتها ومنزلها".

زفر جاذركول، وقال: "لقد كان شخصاً سيئاً. معذرة يا ليدي بلايفورد... يا آثي. هذا رأيي. كنت قد أفعل أي شيء لأراه يُطرد من هنا".

شحب وجه الليدي بلايفورد بشدة وقالت: "ماذا تقول يا مايكل؟ هل أنت من قتله؟".

بدا الارتباك على وجه جاذركول وقال: "ماذا؟ بالطبع لا. لا يمكن أن أفعل أي شيء من هذا القبيل. سيد بوارو —".

قال بوارو: "لا تزعج نفسك كثيرًا يا سيدي. هذه هي الحقيقة: السيد جاذركول لم يقتل جوزيف سكوتشر".

قالت الليدي بلايفورد: "حسنًا، لقد ارتحت الآن. ولكن، بوارو، لم يتبق أحد غيري"، وبدت خيبة الأمل على وجهها كما لو أنها كانت قد اشترت تذاكر لحضور مسرحية جديدة وجدتها سيئة.

قال بوارو: "أنت محقة يا سيدتي. أنت - حامية وحارسة جوزيف سكوتشر، والتي تدافع عنه أمام الجميع".

زفرت آثي بلايفورد وقالت: "أنت رجل مراوغ يا بوارو - مخادع بكل ما تحمله الكلمة من معنى. يمكنني أن أرى ما تحاول فعله. ستبدأ بالحديث باستفاضة عما فعلته من أجل جوزيف - كيف أنني كنت أحبه بجنون، وكيف أنني مفجوعة الآن لأنه مات - وستفعل هذا بطريقة صممته خصيصًا لتجعل الجميع يفكرون في أن هناك "لكن" كبيرة في الطريق: و"لكن" قتلته لأن... أألن تفعل؟ إنك تعلم تمام المعرفة أنني لست القاتلة. أو أأمل هذا على الأقل".

بدا الشك على وجهها للحظة ثم قالت: "لقد دعوتك إلى هنا، ومعك كاتشبول؛ لأنني قرأت عن حلكما العبقري للفرج جرائم فندق بلوكسهايم في لندن. لقد قيل لي إنك الأفضل يا بوارو. وكما تعلم، كنت أخشى أن هناك من قد يحاول قتلي —".

قالت دورو: "قتلك؟ ولكن سكوتشر كان —".

أخذت الليدي بلايفورد نفساً عميقاً وقالت: "لا حاجة بك لإخباري يا دورو بأن جوزيف هو الذي قُتل وليس أنا. أنا أعلم هذا جيداً". ثم وجهت حديثها إلى بوارو ولي قائلة: "كنت أمل أن جوزيف سيبوح لي بالسر بدلاً من المخاطرة بمحاولة قتلي في ظل وجود اثنين من خيرة المحققين في إنجلترا هنا في منزل ليلي أوك. لم يكن مايكل المختبئ خلف الستائر هو ضمانتي الوحيدة، بل كنتما أنتما أيضاً".

صاحت دورو: "أثي، فسري ما تقولين! أية ستائر؟ أي مايكل؟ السيد جاذركول؟".

قالت الليدي بلايفورد: "آخرسي يا دورو"، ثم أضافت وقد ارتسمت على شفيتها ابتسامة صغيرة: "مع وجود المذيع أو من دونه — أيهما تفضلين". قال بوارو: "ليدي بلايفورد، لقد كنت تحبين جوزيف سكوتشر كثيراً. أعتقد أنك كنت قد تضحين بحياتك من أجله. لقد أحببته أكثر مما أحببت ابنيك، وأكثر مما أحببت صديقك المخلص ومحاميك، السيد جاذركول". حاولت جاهداً أن أكتم ضيقي. كان سكوتشر ميتاً، وبعيداً عن الإطراءات والتشجيعات، هل لا يراعي بوارو أي شيء يتعلق بالأحياء، عن الحياة بينهم أو العلاقة بينهم في المستقبل؟ كان حل الجريمة يسير على خير ما يرام، ولكن لم تكن هناك حاجة لأن نوضح لأفراد عائلة منكوبة كم أنهم غير مراعين لبعضهم البعض.

كان يمكن للجميع فعلها، ولكن لم يفعلها أحد

واصل بوارو حديثه قائلاً: "ليدي بلايفورد، لو كنت ستفنين لما تبقى لك من حياتك إلى جزيرة نائية، وكان مسموحاً لك باصطحاب شخص واحد، لأخترت جوزيف سكوتشر، ولكنك امرأة ذكية. إنك تعلمين أنه كان يكذب عليك كل يوم ويستغل كرمك أسوأ استغلال. هل يمكن لامرأة مثلك، معتدة بنفسها وقوية، اعتادت تأليف روايات حيث كان الأشرار يُعاقبون على أفعالهم بكل قسوة... هل ستسمح امرأة مثلك لسكوتشر بأن ينجو بأكاذيبه؟".

أشاحت آثي بلايفورد بيدها في وجه بوارو وقالت: "قلها يا بوارو. أنا واثقة بأنك لست بحاجة لأن أخبرك بأن الحياة الواقعية ليست أنيقة ومرتبة مثل الخيال. ففي الحياة الواقعية، أحبت المرأة المعتدة بنفسها، التي على الورق تلقي بالأشخاص السيئين في غياهب السجن وتركهم يتعفنون - مرتين كل عام من دون أن يطرف لها جفن! - إن هناك رجلاً لامعاً وجميلاً كان يكذب عليها بجرأة كل يوم، ولم تجرؤ على الاعتراض عليه. لن يمكن لأحد أن يدون قصة مثل تلك على الورق، فلن تكون جيدة".

وافقها بوارو قائلاً: "أنت تقولين إن الحياة الواقعية ليست أنيقة ومرتبة مثل الخيال. إنها ليست كذلك على وجه العموم، إلا أن مقتل جوزيف سكوتشر، في مفهومه على الأقل، كان أكثر أناقة وترتيباً مما قد يتخيل أي منكم، عدا القاتل نفسه".

الفصل ٣٦

التجربة

"حسنًا، سأخبركم الآن، حتى يمكنكم جميعًا أن تتعجبوا، كما تعجبت أنا، من مدى ترتيب جريمة قتل جوزيف سكوتشر.

"لقد ارتكب سكوتشر جريمة قتل: قتل أيريس جيلو. ماذا كان دافعه؟ إنه شديد الوضوح: لقد كانت تشك في أنه قد ابتكر كذبة مرضه. لا تقل لي أيها الطبيب كيمبتون إنه لا يمكنني إثبات أن سكوتشر قتل أيريس، أو أن دافعه كان كما وصفته؛ فلم أنته بعد من سرد كل ما أملك عن الموضوع. عليك أن تنتظر لتسمع الدليل، الذي من المؤكد أنك ستقول عنه إنه دليل ظرفي عندما تعرفه.

"لفترة طويلة، ظل سكوتشر بعيدًا عن دائرة الشبهات وكاد ينجو بفعلة. لم يتمكن أحد من إثبات أنه دفع أيريس جيلو تحت عجلات القطار. إلا أن جريمته لحقته وبهذه الطريقة المرتبة والمنظمة والأنيقة. لقد كان دافع قتل جوزيف سكوتشر هو دافع قتل أيريس جيلو نفسه. سأقوله مرة أخرى: لقد قُتلت أيريس لأنها شكت في أن سكوتشر لم يكن يحتضر في الحقيقة.

وقُتل جوزيف سكوتشر للسبب ذاته: لأن قاتله كان يشك في أنه يحتضر بالفعل. لن يكون الأمر أكثر ترتيباً أو ملاءمة من هذا. لقد قُتل سكوتشر لنفس السبب الذي دفعه منذ سنوات لأن يقتل. ولكنه كان على طرفين مختلفين من الدافع في كلتا الحالتين – في المرة الأولى، كان هو القاتل، وفي الثانية كان الضحية".

اعترض كيمبتون قائلاً: "لا، لا، لا. إنك تعرض علينا منطقاً رديئاً يا بوارو. في البداية، كيف يمكن أن يكون شك أحد في أن سكوتشر لا يحتضر بالفعل دافعاً لقتله؟ لقد شك الكثير منا بهذا ولكننا لم نقتله".

ابتسم بوارو ولم يجبه.

تابع كيمبتون حديثه قائلاً: "وبالنسبة لقتله لأيريس لأنها لم تصدق أنه يحتضر... مرة أخرى، لم يصدق الكثير منا ذلك. فقد قتل سكوتشر أيريس ولم يقتلني، على سبيل المثال".

قال بوارو: "تلك ملاحظة رائعة أيها الطبيب. لا يمكنني أن أكون واثقاً بذلك، ولكن، ربما شعر سكوتشر بأن أيريس تمثل تهديداً له أكبر منك. لقد قلت بنفسك إنك لم تتمكن من إقناع أحد في أوكسفورد بأن يصدق ما تقول، وإنك توقفت عن المحاولة في نهاية المطاف. تخيل إن ظهرت أيريس فجأة لتدعم نظريتك...".

قال كيمبتون: "حسناً، تلك فكرة جيدة. فلو كانت أيريس المعطوف هي التي تقول هذا وليس راندال قاسي القلب فلربما استمع لها الكثيرون. ولكن، فيما يتعلق بما قلته سابقاً عن دافع قتل سكوتشر —".

قال بوارو: "سأشرح لكم الآن التجربة التي أشارت لها صوفي بورليه. لقد سمعتموها جميعكم تتحدث عن مشكلة الوقت – والذي بدا لفزاً محيراً. من وجهة نظرها، بفرض أنها تقول الحقيقة، إليكم ما حدث:

لقد رأت كلاوديا بلايفورد ترتدي الفستان الأخضر نفسه الذي كانت ترتديه خلال العشاء وهي تحطم رأس جوزيف سكوتشر بالهراوة. وبدأت صوفي تصرخ، فألقت كلاوديا الهراوة وفرت عبر الباب المؤدي إلى المكتبة. وبعد فترة قصيرة جداً، بدأ من في المنزل يحضرون قادمين من الطابق العلوي ليتبينوا الأمر. وكان من بينهم كلاوديا، التي كانت ترتدي فستان سهرة وروباً أبيض.

"عندما سمعت هذا الترتيب الزمني للأحداث للمرة الأولى، انتابني الشعور نفسه الذي انتاب صوفي بورليه: هذا مستحيل دون شك... فكروا يا أصدقائي في الفترة الطويلة التي ستستغرقها كلاوديا لعبور المكتبة ثم الوصول إلى الدرج البعيد لتمكن من الصعود إلى الطابق العلوي.

"كنت أنا وكاتشبول نتحدث في الطابق الثاني عندما بدأت صوفي الصراخ. يمكنكم جميعكم أن تتروا أن كاتشبول يمتلك ساقين طويلتين. وعلى الرغم من أنني لا أستطيع التحرك بسرعة، فإنه قادر على ذلك، وبدأ يتحرك بمجرد أن بدأ الصراخ. ولم يلتق، خلال هبوطه الدرج، بكلاوديا مرتدية فستاناً أخضر ملطخاً بالدماء، وهي تصعد الدرج. ولكن، إن كانت نظريتي صحيحة – وأنا على يقين من أنها صحيحة – فلا بد من أن هذا ما حدث. إن تلك المعضلة، ذلك اللفز، شديدة الجاذبية. ثم، في النهاية، أدركت أنه لا يوجد سوى تفسير وحيد. لذا جهزت تجربة لإثباته.

"قالت صوفي بورليه إنها سمعت أولاً شجاراً يدور بين كلاوديا بلايفورد وسكوتشر – شجار ذُكرت خلاله امرأة تُدعى أيريس – ثم رأت كلاوديا تحطم رأس سكوتشر بالهراوة، حين بدأت صوفي تصرخ. وبناءً على استنتاجاتي – الحل الوحيد لهذا اللفز – شككت في أن ذاكرة صوفي عن الحادث قد تحرفت بسبب صدمتها وحزنها. فلا يمكن أن يكون الحدث

قد وقع مثلما وصفته. ولكن، كيف يمكننا أن نصدم ذاكرتها مرة أخرى لتصحح نفسها؟".

قاطعه كيمبتون قائلاً: "هل لي أن أسأل: عندما قلت تعرض ذاكرتها لصدمة لتصحح نفسها، هل تعني في الحقيقة أن تمنح الكاذب فرصة لقول الحقيقة من دون تعريضه للإحراج؟".

تجاهله بوارو وقال: "سارت التجربة على النحو التالي: وقفت صوفي أمام غرفة الجلوس، وارتدت معطفها وقبعتها بناءً على طلبي، من أجل إعادة تمثيل الحدث كما كان بالضبط. ثم أجريت مع كاتشبول الحوار نفسه الذي دار بين كلاوديا وسكوتشر ليلة وقوع الجريمة. ومثل كاتشبول دور سكوتشر ومثلت أنا دور كلاوديا".

قالت كلاوديا: "كان يجدر بك أن تستعين بي، يمكنني أن أؤدي دور كلاوديا بلايفورد أفضل من أي أحد، دعني أقل لك – أفضل بكثير من رجل مسن ذي شارب سخيف. يا لها من وقاحة منك!".

تابع بوارو حديثه قائلاً: "أمسكت بالهراوة في يدي. وبدأ كاتشبول يرجوني أن أبقى على حياته قائلاً: توقفي أرجوك، أرجوك يا كلاوديا. لست مضطرة لأن... – وقلت له: هذا ما كان يجب على أيريس فعله – ولكنها كانت ضعيفة، وتركتك تعيش؛ لذا قتلتها... الكلمات نفسها التي أخبرتنا صوفي بأنها سمعتها. ثم رفعت الهراوة عاليًا وهويت بها بكل ما أوتيت من قوة – وتوقفت قبل أن تصل إلى رأس كاتشبول بمليمترات قليلة. في هذه اللحظة، استدرت ونظرت نحو صوفي. وكما كنت آمل، رأيتها تهز رأسها. وقالت: لا، ليس هذا ما حدث... ربما أمكنك يا آنسة أن تخبرينا بما حدث بالضبط. أيها السيدات والسادة: ما ستسمعونه الآن هو الحقيقة. انتبهوا من فضلكم".

قالت صوفي: "كان كل شيء خطأ. فجأة أصبح كل شيء منطقيًا، وكان مختلفًا قليلاً عما أخبرت به الشرطة ونفسي و... ما كنت أعتقد أنه الحقيقة. لم يحدث الشجار أولاً ثم الضرب بالهراوة. لقد قلت إنه حدث بهذا الترتيب - كنت أعتقد هذا - ولكنني كنت مخطئة. وكامرأة تحب الترتيب والنظام، رتبت ذاكرتي الحدث بالترتيب المنطقي. والحقيقة أن كلاوديا كانت تضرب جوزيف على رأسه بهذا... الشيء منذ رأيته. لقد وصلت أثناء حدوثه - وصلت عندما كان على وشك أن ينتهي. وكان يحدث بالفعل - أعني ذلك الهجوم الوحشي - في وقت الحوار الدائر نفسه. وكان رأس جوزيف قد تحطم بالكامل! ما يعني..."، نظرت صوفي نحو بوارو عاجزة.

تولى بوارو الحديث وقال: "الأمر الذي يعني أن الرجل الذي كان يجرّوها لتبقي على حياته - والذي كان يصيح: توقفي، توقفي، أرجوك يا كلاوديا! لست مضطرة لأن... - لا يمكن أن يكون جوزيف سكوتشر. فقد كان، كما نعلم جميعًا، ميتًا بالفعل بسبب سم الإستركنين، كما لن يمكن لأحد أن يتحدث وقد تحطم رأسه. لذا... كان الصوت الذي سمعته صوفي يعود لرجل آخر، رجل كان يجرّو كلاوديا أن تتوقف. وكان هذا الرجل لا يريد أن تخفي كلاوديا شكل رأس جثة جوزيف سكوتشر".

بدا كيمبتون غاضبًا من هذا الاقتراح وقال: "رجل آخر؟ أي رجل آخر؟ هل تحاول أن تقول إن كلاوديا تحب رجلًا آخر؟".

قال بوارو: "أنا لم أذكر شيئًا عن الحب".

قالت كلاوديا: "لا تكن سخيًا يا راندال. أحب رجلًا آخر؟ حبيبي، لن أهرع لمنع سقوط شيء ثقيل على أحد سواك، وأنت تعلم هذا جيدًا".
قال بوارو: "ارتكبت صوفي بورليه خطأ آخر".

ضحك كيمبتون بجذل بعدما طمأنته كلاوديا وقال: "نعم، لقد وضعت سم الإستركنين في زجاجة دواء سكوتشر الزرقاء. وستشنق بسبب هذا، أليس كذلك يا بوارو؟".

قال بوارو: "خطأ. فكما وضحت لكم بالفعل. لم تقتل صوفي بورليه جوزيف سكوتشر".

قال كيمبتون: "نعم، ولكنك قلت هذا عنا جميعاً، ولا بد من أن هناك من قتله".

قالت الليدي بلايفورد بنبرة حزينة: "إنه لم يقل هذا عني. ولكني لم أفعلها بالطبع. وسينفطر قلبي كثيراً إن اتهمني أحد بأني القاتلة".

قال بوارو: "أنت بريئة أيتها الليدي بلايفورد".

قالت: "شكراً لك يا بوارو. فأنا كذلك بالفعل".

قال كيمبتون: "بوارو، هذا كثير".

قالت دورو بلايفورد: "يجب أن نخبرنا على الفور".

قال بوارو: "وأنا أحاول إخباركم. هل أواصل حديثي؟ شكراً لكم. كان

خطأ صوفي بورليه الثاني هو أنها تخيلت أنها صرخت أولاً عندما بدأت

كلاوديا بلايفورد بضرب سكوتشر بالهراوة. ولكن هذا لم يحدث. تذكروا

أننا قلنا إن كلاوديا كانت تحطم رأس سكوتشر بالفعل عندما ظهرت صوفي

على عتبة غرفة الجلوس، وأن الجدل مع الرجل الآخر كان يحدث في الوقت

ذاته. ولكن، لم تر صوفي الرجل الآخر. وأعتقد أنه كان يقف عند المكتبة

المظلمة. ولا يمكن لصوفي أن تتذكر إذا ما كان الباب بين المكتبة وغرفة

الجلوس مفتوحاً أم مغلقاً. وأعتقد أنه كان مفتوحاً.

"أتمنى أنكم قد أدركتم إنه لو كانت صوفي قد صرخت أولاً بعدما رأت

الهجوم بالهراوة، كما أخبرتنا في البداية، لم تكن لتتمكن من سماع الجدل

الدائر بسبب صوت صراخها العالي – والذي كان عاليًا لدرجة إيقاظ الموتى من قبورهم، إن صح التعبير.

"إليكم إذن ما حدث في الحقيقة: وقفت صوفي تشاهد مصعوقة ومذهولة ومشلولة، بينما كانت كلاوديا بلايفورد تحطم رأس سكوتشر بالهراوة، وسمعت في الوقت ذاته الجدل الدائر بين كلاوديا والرجل الذي كان مختبئًا في المكتبة ولكنه كان قادرًا على رؤية ما يحدث داخل غرفة الجلوس. حينها، رأت كلاوديا صوفي وفرت، ويمكننا أن نفترض أن الرجل فر أيضًا. وخلال الوقت الذي استغرقاه للوصول إلى قاعدة الدرج، ظلت صوفي تحديقًا إلى المشهد المرعب لرأس حبيبها المحطم وجسده الملتوي. ومرت عدة دقائق، ولا يمكن للمرء تحديد الوقت بدقة عندما يكون في حالة صدمة. فتمكنت كلاوديا والرجل الآخر من صعود الدرج والاختباء قبل أن يراها أحد. في تلك اللحظة – استفاقت صوفي، كما لو كانت تستيقظ من كابوس، عدا أن الكابوس كان قد بدأ للتو بالنسبة لها. لقد أدركت حينها أن ما يحدث أمامها ليس خيالًا وليس حلمًا، بل الواقع المرعب المؤسف. حينها، بدأت تصرخ. في الوقت ذاته، كانت كلاوديا تغير فستان سهرتها الأبيض والروب بفستانها الأخضر.

"وعندما وصل الرقيب أودواير إلى ليلى أوك اليوم، سألتها عما إذا كان أي من رجال شرطة الجاردا الذين فتشوا المنزل قد عثر على فستان أخضر ملطخ بالدماء، ولكن، لم يعثر عليه أحد. إن مكان الفستان الأخضر الذي ارتدته كلاوديا بلايفورد في أثناء تحطيمها لرأس سكوتشر لا يزال غامضًا".

قالت صوفي دامعة: "يمكنني تذكر كل شيء الآن، وبوضوح، ولا أعلم لماذا لم أفعل على الفور: لقد كنت أشعر ببرودة شديدة – رغم أنني كنت

أرتدي معطفي وقبعتي وكنت داخل المنزل. لقد شمعت كأني سقطت في نفق طويل مظلم ولكنه كان يمتد نحو الأسفل وليس نحو الأمام؛ لذا لا بد أنه لم يكن نفقاً حقيقياً. كما أنه كان مظلماً وساكناً وكنت وحيدة – وحيدة مع أفكارى عن جوزيف الذي كان يقول الحقيقة منذ البداية، حيث كان يقول إنه سيموت، وها هو قد مات، ولكنه لا يمكن أن يكون ميتاً؛ لأن كل هذا ليس حقيقياً. لن أدعه يكون حقيقياً. عندما كنت أفكر في الأمر برمته، لم أكن أصرخ. لقد بدأت أصرخ لأن الظلام أصبح مخيفاً للغاية بعد قليل".

قالت كلاوديا بعصبية: "توقفي، هل يمكنك هذا؟ لم يفسر لنا أي مما قيل من قتل جوزيف سكوتشر ولماذا قتله. هل ستسرع من الأمر لو قلت لكم إن كل هذا حقيقة؟ نعم، لقد كنت في غرفة الجلوس، نعم، كنت أنا من حطم رأس المسكين سكوتشر. هل أنتم راضون الآن؟".

ظهر الهلع على وجه كيمبتون وهو يقول: "ماذا؟ ماذا تعنين يا حبيبتي؟".

قالت كلاوديا: "أنا لم أقتل جوزيف. أليس كذلك يا بوارو؟".

قال بوارو: "لا، لم تفعلي يا آنسة".

قال كيمبتون وهو يقفز واقفاً على قدميه وقد تملكه الغضب: "من فعل إذن؟ بحق الله —".

قال بوارو: "أنت من فعلها أيها الطبيب كيمبتون — كما تعلم. أنت من قتل جوزيف سكوتشر".

قال كيمبتون: "أنا؟ هراء. لقد قلت منذ ٢٠ دقيقة مضت إنني لست القاتل — ألا تذكر؟ هل ذاكرتك ضعيفة مثل صوفي؟".

قال بوارو: "لدينا جميعاً عيوب في ذاكرتنا يا سيدي — ولكن هيركيول بوارو يمتلك أقل القليل منها. إن ما تقوله ليس دقيقاً. لقد قلت إنك تمتلك العديد من الدوافع لتختار من بينها، وإن رجلاً آخر قد يستسلم لرغبة

جامعة في الانتقام تدفعه للقتل. ثم قلت إنك لم تفعل - لم تفعل قط. وهذا صحيح: لم تستسلم لتلك الرغبة على الإطلاق. إن تلك الجريمة - قتل جوزيف سكوتشر - كان مخططاً لها منذ سنوات طوال. لقد كانت خطة عقلانية، ومخططاً لها بعناية، وقائمة على المنطق. ويمكنني القول إنها... تتبع المنهج العلمي".

قال كيمبتون: "كل هذه الأمور رائعة، أليس كذلك؟ يا لي من قاتل ماهر". قال بوارو: "لقد تطلب الأمر الكثير من العمل الجاد والانضباط من قبلك. لقد كانت في الواقع - من منطلق استخدامنا لهذه الكلمة بالفعل - تجربة".

جلس كيمبتون وهو يقول: "أنا لست مقتنعاً. ليس بعد. ولكني أشعر بالفضول وأود سماع المزيد".

لا أعتقد أنني كنت لأصبح أكثر شجاعة من هذا لو أنني اتهمت بالقتل بواسطة أفضل محقق في العالم - إلا إن كنت أعلم بطريقة ما أنه يخدعني. لم يكن كيمبتون ممن يسمحون لأنفسهم بأن يُظهروا ضعفهم أمام الناس. قال بوارو: "لقد قرأت مسرحيتك المفضلة عدة مرات: الملك جون. ووجدتها مذهلة. وقد ساعدتني على تصحيح مساري ووضحت لي المزيد من الأمور".

قال كيمبتون: "يسعدني أنها أفادتك لهذه الدرجة". قال بوارو: "أعلم! كلما فكرت في الأمر، لم يكن الحوار الذي دار عن الجنازة، ذلك الذي سمعه أورفيل رولف، منطقياً. فطبقاً لما سمعه السيد رولف، كان الخلاف يدور حول إذا ما كان التابوت في الجنازة سيكون مفتوحاً أم مغلقاً".

فأكد أورفيل رولف ما قيل: "نعم، هذا صحيح".

قال بوارو: "جيد إذن. ذات يوم، عندما كنت أفكر في دوافع الطبيب كيمبتون للقتل – هو الوحيد الذي كان يعرف سكوتشر لفترة أطول من الجميع هنا – تذكرت أمرًا لم أكن قد أوليته الكثير من الاهتمام من قبل. خلال العشاء، عندما بدا سكوتشر مرتجفًا ومرتعشًا بعد أن سمع بتغيير الليدي بلايفورد لوصيتها، أعطى كيمبتون لصوفي بورليه كأس الماء خاصته، وطلب منها أن تعد لسكوتشر شرابًا فيها. سيداتي سادتي، لماذا قد يفعل هذا في حين كان يوجد أمام سكوتشر كأس ماء لا تزال ممتلئة بالماء؟ كانت جميع كئوس الماء أماننا ممتلئة عندما وصلنا إلى المائدة. ولم يُقدم الطعام إلا في أثناء إعلان الليدي بلايفورد عن مفاجأتها، وكان الطبق الأول هو الحساء. والحساء سائل، ولن يحتاج أحد إلى الكثير من الماء في أثناء تناول الحساء".

قال هاري بلايفورد صائحًا: "يا إلهي". وقد بدت صيحته وكأن هناك حيوانًا جريخًا قد دخل غرفة الاستقبال. فتجاهله الجميع عدا دورو التي طلبت منه أن يهدأ.

تابع بوارو حديثه قائلاً: "إن راندال كيمبتون رجل حاد الذكاء. يمكنه التفكير والإقدام على الأفعال بسرعة خاطفة. وقد ظل يخطط لقتل جوزيف سكوتشر لسنوات، وظل يرتب الظروف المثالية للإقدام على فعلته، ثم وجد نفسه فجأة – وبمحض المصادفة – محاطًا بأناس يرغبون في موت سكوتشر. لم يكن كيمبتون يعلم أن الليدي بلايفورد ستغير وصيتها لصالح سكوتشر، ولكنها فعلت. وتركزت له كامل أملاكها. ما الذي سيصدق رجال الشرطة؟ هل أقدم هاري ودورو بلايفورد على قتله لكي تعود لهما ثروتهما؟ أم أن مايكل جاذركول قتله بدافع الغيرة، أم لحماية الليدي بلايفورد من الحماقة التي ارتكبتها؟

"أدرك كيمبتون أن تلك هي اللحظة المنتظرة. وهكذا، بينما كان الجميع منشغلين بالتحديق إلى سكوتشر أو الليدي بلايفورد - بطلي المشهد الدرامي الذي دار - وضع كيمبتون يده في جيبه خفية ودس سم الإستركنين الذي كان في جيبه. أعتقد أنه كان يضعه في قنينة صغيرة. لماذا يحتفظ بالسم دومًا معه؟ لا أعلم، ولكن يمكنني أن أخمن: إن ظل معه دائمًا، فلن يمكن لأحد أن يعثر عليه مصادفة بين أشياءه.

"ومن تحت الطاولة، فتح قنينة السم، وأخفاها في راحته، ثم أفرغ السم في كأس الماء الخاصة به من دون أن يراه أحد - كانت حركة ماهرة أتمها بيد واحدة في حين كانت يده الأخرى تخفي الكوب عن الأنظار - ثم أعطاه إلى صوفي لتعطيه إلى سكوتشر".

لم أتمكن من منع نفسي عن التعجب فقلت: "ولكن... يا إلهي".
سألني بوارو: "ما الأمر يا كاتشبول؟".

قلت: "ولكن، طعم سم الإستركنين مر كما أعتقد. هل يذكر أحدكم سكوتشر وهو يقول: يا إلهي، لقد كان هذا مرًا... بعدما قالت دورو شيئًا عن التعفن تحت الأرض؟ ثم قالت بعدها دورو مباشرة: نعم أنا أشعر بالمرارة؟".

قال بوارو: "أحسنت بتذكرك هذا الحوار يا صديقي. لم يكن سكوتشر معتادًا توجيه انتقادات مباشرة للآخرين. بل على العكس: كان بارعًا في إطراء جميع من يلتقي بهم. من المحتمل إذن أنه لم يكن يتحدث عن الكلمات التي قالتها دورو بلايفورد بل عن طعم الماء الذي تناوله عندما قال: هذا مر". ومن دون أن ينتظر أية ردود من الحاضرين، قال: "أنا واثق بأنه كان يعني الماء: الماء المر الذي كان يحتوي على سم الإستركنين.

"والآن، لنعد إلى مسرحية الملك جون لشكسبير، التي كان يقتبس منها الطبيب كيمبتون الكثير من المقولات: عندما هرعنا جميعاً نحو غرفة الجلوس وعثرنا على جثة جوزيف سكوتشر، غمغم الطبيب كيمبتون ببضع كلمات. ربما سمعها بعضكم، مثلما فعلت. بدا الجزء الأخير من كلماته وكأنه: جوهر الحياة، التي بأيدي آثمة سُلبت وانتهت... افترضت أنها اقتباس من مسرحية الملك جون، كما يفعل الطبيب كيمبتون دائماً. وكنت محقاً - ليس بشأن هذا الاقتباس فحسب، بل أيضاً بشأن اعتقادي أنني لم أسمع بداية الاقتباس. لقد تمتع الطبيب كيمبتون بالكلمات ولم أتمكن من سماع بعضها. والاقتباس كاملاً كالتالي: لقد عثروا عليه ميتاً وملقى في الشارع. تابوت فارغ، حيث توجد جوهر الحياة، التي بأيدي آثمة سُلبت وانتهت.

"تابوت فارغ أيها السيدات والسادة. ألم تفهموا ما أعنيه؟ إن التابوت المشار إليه ليس النعش، بل جسم الإنسان نفسه".

بدا بوارو أكثر تحمساً أكثر مما رأيته في أي وقت مضى. كنت أشعر بالحيرة. فبينما كنت أحاول فهم ما يعنيه، لم أتمكن من إدراك الصلة بين ما يقول له والموضوع الذي بين أيدينا.

قال بوارو: "كان راندال كيمبتون هو من سمعه أورفيل رولف يتحدث عن التابوت المفتوح. وكان يجادل كلاوديا بلايفورد في هذا. فقد سمع السيد رولف رجلاً يُصر على شخص يجب أن يموت، ثم قال: تابوت مفتوح: هذه هي الطريقة الوحيدة... ولكن، لم توافقه المرأة على هذا. وكان جوزيف سكوتشر نفسه - جثمان جوزيف سكوتشر - هو ما كان تحدث عنه الطبيب كيمبتون. لقد استخدم الكلمة كما استُخدمت في مسرحية الملك جون، ككناية عن جثة الرجل. وما كان يعنيه، بصورة أكثر شمولاً ما يلي: كان هناك سبيل وحيد للتأكد من موته، السبيل الوحيد الذي كان ليرضي راندال

كيمبتون، التأكد مما إذا كان جوزيف سكوتشر قد كذب بشأن مرضه أم لا. طريقة واحدة فقط أيتها السيدات والسادة... ألا وهي تشريح جثته - عبر تحميل موته شبهة جنائية وبالتالي يخضع للتشريح. التشريح وحده هو ما سيمكّن الطبيب من رؤية ما في داخل جسم سكوتشر فيقول - كما حدث بالضبط طبقاً لخطة الطبيب كيمبتون - كليتا هذا الرجل سليمتان".

تذكرت تعبير وجه كيمبتون خلال التحقيق، عندما انكشفت حقيقة مرض سكوتشر بواسطة محقق الوفيات. لم أكن قد فهمتها في حينها بالشكل الصحيح - ظننت أنه كان راضياً عن نفسه لأنه كان يعلم أمراً لم أكن أعلمه. ولكنني فهمت الآن: طبقاً للأدلة التي كان يمتلكها، لم يكن واثقاً بهذا - حتى قال محقق الوفيات إن: كليتي سكوتشر كانتا سليمتين.

قال بوارو: "كان الطبيب كيمبتون واثقاً تقريباً بأن سكوتشر كاذب. وظل واثقاً لعدة سنوات. وكرجل ذكي، كان يعلم أنه في العلم والطب، هناك حالات شاذة. فغالبية من يُصابون بالفشل الكلوي لا يعيشون طوال الفترة التي عاشها سكوتشر (غالبيتهم لا يموتون على الفور، ولكنهم يموتون بعد بضعة سنوات)، ولكن، يمكن أن تخف الحالة، وقد يتغير التشخيص؛ لذا لا يمكن لأحد أن يسيطر تماماً على الحالة الشاذة التي تظهر لتغير القاعدة - أو ربما، ومن يدري، كان هناك سبب علمي آخر لتلك الحالة الشاذة؟

"ولكن، كان راندال كيمبتون على يقين تام من أمور أخرى: كان يعلم أن سكوتشر حرمه من أيريس، وتبعه لدراسة أدب شكسبير، ثم تبعه إلى منزل عائلة بلايفورد عبر عمله في منزل ليلي أوك، منزل المرأة التي خطط كيمبتون للزواج بها. كما أنه كان يعتقد أن سكوتشر قتل أيريس جيلو عندما بدأت تشك في صدقه فيما يتعلق بمرضه. كان كيمبتون واثقاً بهذا، ولكنه لم يتمكن من إثبات شيء. كما لم يتمكن من إثبات أن سكوتشر انتحل شخصية

شقيقه بلايك في مقهى كوينز لاين لكي يخبره بالأكاذيب نفسها عن صحته باستخدام شخصية أخرى. كان كل هذا يثير جنون كيمبتون الذي أصبح مهووسًا بسكوتشر مثلما كان سكوتشر مهووسًا به. كان كيمبتون يشك في أن سكوتشر اخترع كذبة مرضه الكلوي لكي يستدر عطف أيريس ويسلبها منه. وكان يريد أن يعرف إن كان على حق أم لا. وأصبحت تلك الرغبة ملحة لدرجة أنها تحولت إلى حاجة بالنسبة له - كان بحاجة إلى حل لغز جوزيف سكوتشر. كان بحاجة لأن يعرف، وربما أكثر من أي شيء آخر، إذا ما كان سكوتشر قتل أيريس أم لا. ففي نهاية المطاف، إن كان سكوتشر يقول الحقيقة بشأن صحته المعتلة، فليس من المرجح أن يكون قتل أيريس لأنها كشفت كذبه - فلن تكون هناك كذبة من الأساس.

"في النهاية، تبين له التالي: لن يمكنه أن يفهم قصة حياته كاملة إلا بعدما يعرف حقيقة حالة جوزيف سكوتشر الصحية. وماذا كان رد فعله على هذا؟ سأخبركم: قرر راندال كيمبتون أن يتوصل إلى الحقيقة، وأن يتيقن منها. وكان هناك سبيل واحد فقط لفعل هذا: التشريح. لا توجد طريقة أخرى ليتمكن المرء من النظر داخل جسم إنسان آخر ليرى إذا ما كانت كليته سليمة أم معتلتين. وبهذا... كان يجب أن تكون لوفاة جوزيف سكوتشر شبهة جنائية".

زفرت دورو بلايفورد زفرة حارة وقالت: "لا يمكنني أن أفهم ما تقول. لا يمكن أنك تعني أن —".

قال بوارو: "بل أعني يا سيدتي أن المشاعر المفرطة لم تكن دافع راندال كيمبتون لقتل جوزيف سكوتشر. لم تكن الغيرة أو الغضب أو الرغبة في الانتقام - على الرغم من أنني على يقين من أن جميع تلك المشاعر قد عذبت الطبيب كيمبتون كثيرًا طوال السنوات التي كان يفكر خلالها في

أمر جوزيف سكوتشر، ولكنها ليست ما دفعه للقتل. كانت جريمة القتل تلك مجرد تجربة، سمي وراء المعرفة، وراء الاكتشاف. فقد كانت - لتبسيط الأمر أكثر - جريمة قتل من أجل التشريح".

الفصل ٣٧

بوارو يفوز فوزًا ساحقًا

رغم أنني لم أمتلك طريقة لإثبات الأمر، فإني استوعبت كل ما حدث بعد لحظات من قول بوارو لعبارة: جريمة قتل من أجل التشريح، جريمة قتل من أجل فحص الجثة بعد الوفاة. ومن الغريب أنه تمكن من تلخيص جريمة بهذا الحجم في أربع كلمات فقط، أليس كذلك؟

بدأت الأمور تتكشف في ذهني الواحد تلو الآخر. كيف لم أتمكن من تبين كل تلك الأمور؟ كيمبتون، رجل العلم، الرجل الذي يقدر الحقائق والأدلة أكثر من أي شيء آخر، والذي كان يسخر من علم النفس. أصبح الأمر منطقيًا تمامًا.

لم يحرك أي ممن في الغرفة ساكنًا أو ينبس ببنت شفة لعدة لحظات. ثم قال بوارو محدثًا كيمبتون: "إنك لم تترك دراسة أدب شكسبير الذي تحبه كثيرًا لأن أقرانك لم يقبلوا تقديرك الشديد للعمل المسرحي الذي تحبه، ولا لأن سكوتشر اقترح عليك تخصصك الدراسي... لا - لقد اخترت مهنة الطب؛ لأنك كنت قد وضعت بالفعل الخطة التي رأيت أنها

عبقرية: أن تتدرب لتصبح طبيباً. لقد كان هوسك بسكوتشر قوياً لدرجة أنك لم تكن تهتم كم ستستغرق من سنوات. سيكون عليك أن تكون في وضع، بمجرد أن تتمكن من ذلك، يؤهلك لأن تجري تشريعاً على الجثث التي يُشتبه في وفاتها بشبهة جنائية، وستؤدي هذا العمل في مكان قريب من مكان إقامة جوزيف سكوتشر. كنت ستقتله بالقرب من مكان إقامته، بعدما تعد لنفسك حجة غياب مقنعة، ثم سينتهي به المطاف على طاولة التشريح الخاصة بك، مستعداً لأن تفتح جسده لتكتشف الحقيقة. كان فتح جسده أمراً ضرورياً لإتمام تجربتك، وكم سيكون مرضياً لو تمكنت من إجراء عملية التشريح بنفسك!

"في البداية، سارت خطتك كما خططت لها تماماً – في خلال سنوات قليلة، وبفضل موهبتك وإصرارك، أصبحت طبيب التشريح المفضل لدى شرطة مقاطعة أوكسفورد حيث كان يعيش سكوتشر. ثم فجأة، انقلب كل شيء إلى الوجهة الخطأ، أليس كذلك؟ أخبرتك حبيبتي الجديدة، كلاوديا بلايفورد، والتي كنت قد تقدمت لخطبتها مؤخراً، بأن سكوتشر سيعيش ويعمل في وقت قريب في ليلي أوك. ولا بد أن هذا الخبر قد أصابك بغضب شديد".

قال كيمبتون: "أحسنت أيها الرجل المسن. هل وصلنا إلى الجزء الذيؤكد لك فيه أن حالتي النفسية كانت كما تصفها تماماً؟ نعم، لقد كانت كذلك. كنت بلا شك شديد الغضب في ذلك الوقت. إن كان يمكن لأحد أن يحول علم النفس إلى علم حقيقي، فسيكون أنت يا بوارو".

قالت كلاوديا: "راندال، إنه يتهمك بأنك القاتل. ألن تتكر؟".

قال كيمبتون: "لا يا حبيبتي. أنا آسف، ولكن، لقد فاز بوارو فوزاً ساحقاً. ولن أحرمه من الزهو بنصره".

حدثت كلاوديا إلى بوارو بيرود وقالت: "لن تفعل؟ سأفعل أنا إذن. لقد كنت محقًا عندما وصفت راندال بأنه موهوب ومثابر – ولكن، لا يمكن لرجل أن يكون مثابرًا أكثر من المرأة الأكثر مثابرة على الإطلاق. لو كنت أنا من ارتكب جريمة القتل، لم أكن لأتوقف مطلقًا عن محاولة الإفلات من العقاب. أبدًا".

قال كيمبتون: "لا أعتقد أن بوارو قد انتهى من سرد قصته بعد يا حبيبتي. ولكن، وحيث إنك أثرت الأمر... على الرغم من أنه سيحزنني أن أختلف مع حبيبتي، فإن لدي فكرة مختلفة عن الإفلات من العقاب". وعلى الرغم من أنه كان يستخدم عبارات الغزل، فإن صوته كان شديد الصرامة والحزم. ولاحظت أن عينيه لم تعودا تبرقان وتتحركان كما اعتادت، بل أصبحتا مجنونتين وجاحظتين، ومن الجلي أن هذه كانت طريقته ليكون حازمًا.

قال كيمبتون: "صدقوني جميعكم، أرجوكم، عندما أقول لكم إنني لا أعاني نقصًا في الإصرار، ولكني أفضل مواجهة الحقائق. إن جريمة القتل التي يمكن للمرء أن يفلت من عقابها، هي الجريمة التي من المستحيل حلها، والتي استخدم فيها الكثير من المراوغة، والخداع. وهي حين لا يشك أحد في المجرم الحقيقي – ولا حتى العبقري هيركيول بوارو، ويُزال على الفور من قائمة المشتبه فيهم المحتملين، وبالتالي، سيكون بعيدًا عن الشبهات والإدانة. كانت تلك هي جريمة القتل التي خططت لها. وعندما اتهمني بوارو بأني القاتل، أدركت أنني أفسدت الأمر برمته. وربما تمكنت من إنقاذ حياتي عبر الجدل بحثًا عن مخرج، ولكني لن أتمكن من إنقاذ خطتي. لذا أفضل أن أسلك أنظف الاحتمالات وأكثرها أناقة من وجهة نظري: الاعتراف الكامل بالجرم. هل قتلت جوزيف سكوتشر؟ نعم، لقد فعلت".

قال بوارو، فلم يكن على استعداد لأن يدع شخصاً آخر يتولى زمام الأمور: "أيها الطبيب كيمبتون، لقد كنت محقاً عندما قلت إنني لم أنته من سرد قصتي بعد. أين كنت؟ نعم: لقد وصلت إلى المشكلة التي واجهتك عندما بدأ سكوتشر عمله كسكرتير خاص لليدي بلايفورد. فلو لم يواصل العيش في أوكسفورد، كيف كنت لتقتله وتجري عملية التشريح بنفسك؟".

قال كيمبتون: "هذا ما فكرت فيه في البداية، لقد ظللت غاضباً جداً لفترة دون شك".

سمعت نفسي أفكر بصوت مرتفع قائلاً: "لهذا السبب فسخت خطبتك بكلاوديا". لم يمنحني بوارو الإذن بالحديث، ولكنني قررت أنه يجدر به أن يرتضي بما سأفعل، وقلت: "كلاوديا، لقد أخبرتني بأنه عندما كنت مخطوبة لكيمبتون في المرة الأولى، بدأ يشك فيما إذا كان يرغب في الزواج بك أم لا؛ الأمر الذي انتهى بالانفصال بينكما منذ خمس أو ست سنوات مضت، كما قلت - كان هذا عندما حدث الأمر. وكان جوزيف سكوتشر يعيش ويعمل في ليلى أوك طوال ست سنوات".

ثم التفت نحو كيمبتون وقلت: "أعتقد أن الشكوك التي انتابتك بشأن الزواج من كلاوديا كانت ردة فعل على الأخبار التي سمعتها عن بدء سكوتشر العمل كسكرتير خاص لليدي بلايفورد".

قال كيمبتون بهدوء تام: "أنت محق تماماً. لقد كنت غاضباً بشدة بعدما سمعت أن سكوتشر تمكن من شق طريقه إلى داخل ليلى أوك. اللعنة! هناك العديد من الأسباب كيف سيمكنني، كطبيب للشركة في أوكسفورد، أن أجري تشريعاً على جثة سكوتشر إن كان يعيش في كلوناكيلتي؟ كل التخطيط الذي دبرته، وكل التدريب الطبي الذي قمت به... ولكنني كنت لا أزال أرغب في قتل ذلك الشرير - أكثر من أي وقت مضى - وكنت أرغب بشدة في أن

أجعله يفشل. لم يكن يعلم شيئاً عن خطتي لقتله، ولكنه كان يعلم بشأن خطبتي من حبيبتي. وحتى بعدما حدث لأيريس – بعد كل ما فعله بي حينها – كان لا يزال يسعى لغرس نفسه في مكاني رغم أنه لا توجد له أية علاقة به.

"لم أكن أعلم إذا ما كان قد دخل ليلي أوك لكي يثير غضبي أم لكي يكون بالقرب مني – كنت أسمع من الناس في أوكسفورد أنه كان لا يزال يصفني بأني صديقه المقرب، على الرغم من أنني كنت أتفادى لقاءه طوال سنوات. لن يشكل هذا الأمر فارقاً في كلتا الحالتين. كان هناك متسع من الوقت لقتله وتشريح جثته سواءً في أوكسفورد أو في كلوناكيلتي، كنت أعلم أنني قادر على الحصول على وظيفة في مقاطعة كورك، إن اضطررت لذلك، حيث إنني الأفضل في مهنتي – ولكن، في الوقت ذاته، كنت مصرّاً على أن سكوتشر يجب أن يعاني. فكرت في أنني إذا فسخت خطبتي بكلاوديا، فستقطع علاقتي بيلي أوك، وسيدرك سكوتشر أنه قد واجه الكثير من الصعوبات دون طائل".

ضم كيمبتون قبضته في حجره وهو يقول: "ولكني كنت أحقق، غيباً؛ وهذا ما يحدث عندما تسيطر الدوافع العاطفية على أفعال المرء وليس المنطق السليم. لقد ندمت على تسرعي على الفور، وأدركت حينها أنني سمحت لسكوتشر، مرة أخرى، بأن يحرميني من المرأة التي أحبها. لا أحد، أيتها السيدات والسادة، يفعل هذا لراندا كيمبتون ويعيش ليحكي عنه. لقد كان النصر في النهاية، كما يمكننا جميعاً أن نقر، لي".

قال بوارو: "إن تعريفك للنصر غير معتاد".

رد عليه كيمبتون قائلاً: "إن تعريفي لكل شيء غير معتاد. أنا شخص غير معتاد. إلى أين وصلت؟ آه، نعم – حسناً، جثوث على ركبتي ورجوت حبيبتي تلك أن تقبل بالعودة إلي".

قالت كلاوديا: "ولكني رفضت. وسعدت بهذا كثيراً".

قال كيمبتون: "ولكنك وافقت على أن ترأسليني لتتحدث عن حماقتي ونزاهتك يا حبيبتي"، ثم التفت نحو بوارو وقال: "بفضل خطابات كلاوديا، اكتشفت أن سكوتشر عاد إلى أوكسفورد لمرة واحدة على الأقل. ولم يكن من الصعب حثه على تكرار هذا الأمر مجدداً. سيكون قتله في أوكسفورد كما خططت هو الخيار الأسهل – ولن أواجه أية صعوبات على الإطلاق. وإلا، سأنتقل إلى مقاطعة كورك، وأجري اتصالاً مع الشرطة والمنشآت الطبية هنا... كانت هذه طريقة جيدة للفوز بقلب كلاوديا: استعداد ظاهري لترك عالمي بأكمله وأعيش في عالمها، مرتضياً بأي قدر، ولويسير، من الاهتمام الذي قد توليني إياه.

"بالطبع، تعلمون جميعكم أن حبيبتي كانت كريمة بما يكفي لتمنحني فرصة ثانية"، قالها كيمبتون وهو ينظر بحب إلى كلاوديا التي أشاحت بوجهها بعيداً عنه، واستطرد قائلاً: "في اليوم المشئوم، وحتى دسست السم في كأس الماء الخاصة بي، لم أكن قد قررت ماذا سأفعل – أين سأعيش أنا وكلاوديا بعدما نتزوج، وأين سأقتل سكوتشر. هل يجب أن أقتله في أوكسفورد، حيث أعلم جيداً كيفية عمل النظام، أم في كلوناكيلتي، حيث تخيلت أنا – سامحني أيها المحقق كوني – لن يتمكن رجال شرطة الجاردا من حل غموض أية جريمة قتل إلا إن كبل القاتل نفسه وذهب إلى مخفر الشرطة وهو يغني قائلاً: أنا القاتل... منذ مطلع الشمس وحتى مغيبها.

"لا، لم تكن المشكلة الكبرى التي أواجهها هي الاختيار ما بين إنجلترا ومقاطعة كورك. بل كانت المشكلة الأزلية التي كثيراً ما واجهت أي شخص يفكر في القتل: كيف يرتكب الجريمة ويضمن أن ينجو بفعله؟ كنت أعتقد

أن خطتي رائعة – ولطالما فعلت – ولكن، الأمر المؤكد إلى حد ما والأمر المؤكد تمامًا أمران بعيدان كل البعد عن بعضهما. لقد أصبحت تعرف الآن مدى كراهيتي لعدم التثبت من الأمور يا بوارو. ولكني لم أكن واثقًا، ويؤسفني أن أقر بهذا. لم أكن قادرًا على أن أضمن لنفسي أنني عندما أقتل سكوتشر سأتمكن من النجاة بفعلتي من دون أن يكتشفني أحد. وبهذا... لم أتمكن من تحديد الزمان ولا المكان لتنفيذ خطتي".

تولى بوارو زمام الحديث قائلاً: "ثم في أثناء العشاء في تلك الليلة التي ذكرتها بأنها: اليوم المشئوم... يا للحظ الحسن! تعلن الليدي بلايفورد ترتيبات وصيتها الجديدة، وفجأة، يصبح هناك عدد كبير من القتلة المحتملين، إن تصادف ومات سكوتشر في الليلة ذاتها، لن تسنح لك فرصة أفضل للنجاة بفعلتك أفضل من ذلك. لقد كنت تحمل السم معك كعادتك، وبدأت العمل على الفور".

واقفه كيمبتون قائلاً: "لقد فعلت. لقد كانت تلك هي الضمانة التي أبحث عنها، تلك الطبقة الإضافية المربكة من الأمان. من قد يشك في أمر أكثر المتواجدين في المنزل ثراءً، من بين العديد من المحرومين من الميراث؟ حسنًا: كم من المرات أدت رؤية سبل الشر إلى ارتكاب الشر... ولن أمنحك جائزة إن خمنت من أين أتت لي الفكرة يا بوارو. ربما لن أجرى عملية التشريح بنفسي، ولكن لا بأس – لا بد من أنني سأحصل على نتائجها وأحصل على الإجابة المؤكدة التي كثيرًا ما انتظرتها. وسيكون هناك تحقيق يمكنني حضوره. يجب على المرء أن يتكيف مع الظروف في بعض الأحيان، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "نعم، وفي أثناء تكيفك، ظللت تفكر بذكاء كبير".

قال كيمبتون: "شكرًا لك على إطرائك، ولكني كنت في عجلة من أمري، ومندفعا. وارتكبت خطأ فادحا. فبعد كل الخطط التي وضعتها، كان الإقدام على التصرف أمام كل هذا العدد من الشهود ضربا من الجنون".

أصر بوارو على رأيه قائلاً: "ولكنك ذكي بالفعل. إن سم الإستركنين يستغرق عدة ساعات ليقتل. ومن يدري كم من الساعات؟ من قد يعلم كمية السم التي وضعتها في كأس الماء؟ في وقت لاحق من تلك الليلة، ذهبت ودسست بعضاً من السم في زجاجة الدواء الزرقاء في غرفة سكوتشر، ثم أفرغتها، وجعلت الأمر يبدو وكأن هناك من أفرغ زجاجة الدواء المسمومة لإخفاء الدليل. وبناءً عليه، صدقنا جميعاً أن سكوتشر قد تناول السم في تمام الخامسة عندما أعطته صوفي بورليه الدواء. وفجأة، أصبحت الفرصة سانحة أمام الجميع لقتله – أو هكذا بدت الأمور".

غمغم كيمبتون وقد خفت أسلوبه المبتهج قليلاً: "أنا لست سوى رجل عبقرى".

قال بوارو: "لا، أيها الطبيب كيمبتون، في هذه الحالة كنت أحق وليس عبقرى. كما قلت: فجأة أصبحت الفرصة سانحة أمام الجميع لقتله لو كان السم قد دُس في الزجاجة الزرقاء قبل الخامسة... ولكن، من كان يمتلك الدافع لقتل سكوتشر قبل الخامسة؟ أنت وحدك: الرجل الذي سلب منه حبه الأول بواسطة جوزيف سكوتشر. لم تعلن الليدي بلايفورد عن خبر وصيتها الجديدة إلا أثناء العشاء في تلك الليلة. وعبر زرع دليل مضلل لتزييف ساعة القتل، جعلت من نفسك المشتبه فيه الوحيد".

قال كيمبتون بلامبالاة: "هراء! محض هراء! كان يمكن لأي أحد أن يعلم بشأن وصية آثي الجديدة قبل أن تعلن عنها – عبر الوسائل الشرعية أو الملتوية. ربما كانت قد أخبرت شخصاً ما سراً، شخصاً يحب الأسرار مثلها

— إن الأسرار تصبح أكثر مرشحًا عند مشاركتها مع أحد عن احتفاظ المرء بها لنفسه — أو أن القاتل قد حصل على المعلومات بطريقة ملتوية. كانت آثي تخطط لهذا الإعلان الكبير طوال أسابيع، لا شك في هذا — بل وربما أشهر. كنت واثقًا بأن الوصية الجديدة ستظل هي الدافع الأكثر أرجحية في نظر الجميع. وحتى لو لم تصبح كذلك، لم يكن أمامي خيار آخر. وكما وضحت يا بوارو، قال سكوتشر لكم جميعًا خلال العشاء إن طعم الماء الذي تناوله خلال العشاء كان مرًا واعتقدت دورو أنه كان يقصدها هي، ولكن هذا لم يجعلني أشعر بالأمان. لقد قلتها بنفسك أيها العجوز: لقد كانت جميع كئوس المياه ممثلة قبل أن نجلس إلى المائدة. لماذا إذن أعطيت كأسي إلى سكوتشر بينما كأسه مليئة بالماء؟ ورأيتموني جميعكم أفعل هذا. كنت أخشى خلال ذلك أن يتذكر أحدكم الأمر ويربط بينه وبين المرارة التي تحدث عنها سكوتشر. بدا الأمر شديد الوضوح بالنسبة لي، أنا... من فعلها، أنا الجاني".

ثم زفر كيمبتون وقال: "أعتقد أن إدراك المرء لذنب اقترفه يتسبب له في هذا. ولكن، من منطلق أملي بأن أخفف قليلًا من وضوح الأمر أمام الجميع، أقدمت على بعض خطوات. بمجرد أن تأكدت من ذهاب الجميع إلى الفراش — الجميع عدا بوارو، الذي كان نائمًا على مقعد في الرواق لسبب أجهله، وكان يغط في نوم عميق ومن الصعب إيقاظه — وضعت السم في الزجاجة الزرقاء، وكنت أعلم أنها زجاجة الدواء الذي يتناوله كل يوم في تمام الخامسة. ثم تخلصت من آثار السم في كأس الماء الخاصة بي التي كانت موضوعة على طاولة العشاء حتى لا يمكن لأحد أن يكتشف آثار السم فيه. بحثت عنها في المطبخ، وحطمتها ودفنت بقاياها بجوار كومة من الزجاج المكسور ووعاء مربى محطم كنت قد رأيته في بستان البرتقال".

قالت بريجيت مارش صائحة: ما جعلنا جميعًا نجفل: "أنت إذن من سرق كأسي. لقد كنت واثقة بأنه السيد كاتشبول". المثير في الأمر أنها كانت تحدد إليّ في أثناء قولها تلك الكلمات وليس نحو كيمبتون.

لقد فهمت الأمر الآن: لقد لاحظت أن هناك كأسًا مفقودة – ولسبب ما لا يعلمه سواها – قررت أنني أخذتها إلى غرفتي حتى أشرب الماء منها خلال الليل، من منطلق أن شفتي جافتان – وهو الوصف الذي لا ينطبق عليّ أبدًا في أي وقت كان. إن شفتي طبيعيتان تمامًا.

لا شك في أن بريجيت فتشت غرفتي، ولم تعثر على الكأس المفقودة، وقررت أنني حطمتها وخبأت بقاياها في مكان ما – لهذا السبب إذن أخبرتني بقصة ابن أخيها الذي سرق الحلوى وحطم الوعاء.

قال بوارو لكيمبتون بجدية: "ربما كنت نائمًا بالفعل، ولكن، لم يذهب الجميع إلى أسرّتهم أيها الطبيب. لقد كان كاتشبول في الحديقة يبحث عن السيد جاذركول والأنسة صوفي، اللذين لم نكن نعلم مكانهما في ذلك الوقت. ربما تمكن، أو تمكنوا جميعًا، من العودة في أي وقت. وقد فعل ثلاثهم ذلك بالفعل بعد قليل، وعادوا إلى المنزل. إليك ثلاثة أشخاص كان يمكنهم أن يروك وأنت تخرج من غرفة سكوتشر أو وأنت في طريقك إلى بستان البرتقال لتخلص من بقايا الكأس الزجاجية. أنت لست ماهرًا مثلما تظن".

أشاح كيمبتون بيديه وقال: "هذا واضح بالفعل. ولكنك أكثر مهارة بكثير مما كنت أعتقد. موضوع التابوت – حسنًا، لقد كان هذا استنتاجًا مذهلاً من قبلك".

وافقه بوارو قائلاً: "هذا صحيح. وبدأت الكثير من الأمور بالتكشف في ذهني عندما توصلت للمعنى الحقيقي لاستعارة التابوت المفتوح – المعنى

المذكور في مسرحية الملك جون. إن كانت كلمة تابوت تشير إلى إنسان، فما معنى الجدل الذي سمعه السيد رولف؟ كنت أتساءل. سأخبركم بما كان يعنيه. كان يعني أن الجدل دار بين راندال كيمبتون وكلاوديا بلايفورد. كانت على علم بخطته لقتل سكوتشر ذات يوم، بل وكانت تخشى أن الخطة قد تتخذ المنحى الخطأ، وكانت تحاول أن تقنعه بالعدول عنها. ولكنه قال: التابوت المفتوح، هذا هو السبيل الوحيد – بمعنى آخر: يجب أن أقتل سكوتشر حتى يهدأ بالي... فقالت: لا، يجب ألا تفعل هذا".

قالت كلاوديا: "كنت محقة في هذا. لقد فسدت جميع الترتيبات – قبل ثلاثة أيام لتحري الدقة. لقد عثرت على سم الإستركنين. كان راندال قد خلع معطفه بإهمال وعثرت على قنينة السم التي سقطت منه. وقبل هذا الوقت، لم أكن أعلم شيئًا عن خطته المتهورة. ولو كان أخبرني بما يريد فعله، لنصحته بأمور أفضل. كان رأيي أن هذا ضرب من الجنون – جنون طالب مدرسة مشوش".

قال كيمبتون: "من سوء الحظ أن قنينة السم سقطت من جيب معطفي بهذه الطريقة. لم أكن أريد أن تعلمي أي شيء عن الأمر يا حبيبتي. وكنت قد أنجو بفعلتي لو لم تعلمي شيئًا عنها".

قالت كلاوديا موجهة حديثها إلى بوارو: "عندما سألت راندال عما يوجد في القنينة، كذب عليّ. وأدركت أنه كان يكذب. ووضحت له أنه لا يمكن خداعي، وأجبرته على أن يخبرني بالحقيقة. وأخبرني بكل شيء: أيريس جيلو، أو مورفين، وأوكسفورد، والمرة الأولى عندما تظاهر جوزيف بأنه يحتضر، قبل سنوات، وانتحاله شخصية شقيقه لتأكيد كذبه. وبالطبع، خطة راندال لارتكاب جريمة القتل المثالية.

"جعلني ما سمعته منه أصاب بالرعب، ولا توجد الكثير من الأمور التي تجعلني أشعر بالرعب. لم أكن أريد أن يخاطر راندال بحياته، كما لم تكن هناك حاجة لأن يفعل كل تلك الأمور السخيفة! كان من الجلي أن جوزيف لم يكن يحتضر. لم يكن أحد بحاجة إلى قتله لكي يتأكد من ذلك".

قال كيمبتون: "لم أتمكن من إقناعها بمدى حاجتي إلى الدليل يا بوارو. لهذا السبب، يسعدني كثيرًا أنك تفهم هذا".

قالت كلاوديا: "كان القلق يأكلني من الداخل وتصرفت بتهور. كم كنت غبية لأتحدث عن هذا الأمر داخل المنزل حيث يمكن لأي أحد أن يسمع ما أقول. وهذا ما حدث بالفعل؛ فقد سمعني أورفيل رولف. وقد اعتقدت أن استخدام استعارة التابوت المفتوح والمغلق سيجعل الأمر مبهمًا – ولكنني كنت مخطئة. كل هذا خطئي يا راندال".

قال كيمبتون: "لا يا حبيبتي، إن الخطأ خطئي. فلو تمكنت من وضع الخطة المثالية التي كنت أريدها، لم أكن لأحمل معي قنينة السم في كل مكان لعامين كاملين – أو كنت، على الأقل، وضعتها في جيب أكثر أمانًا".

قال بوارو: "يا أنسة كلاوديا، هل رأيت في أثناء العشاء ما فعله الطبيب كيمبتون بكأس الماء قبل أن يعطيها إلى صوفي بورليه التي أعطتها بدورها إلى السيد سكوتشر؟ أعتقد أنك كنت تعلمين أنه يحمل السم معه في طيات ملابسه".

قالت: "كنت أعلم هذا، ولكنني لم أره يدس السم في الماء".

سألها بوارو: "متى اكتشفت إذن أنه سمم السيد سكوتشر؟"

قالت: "في وقت لاحق من تلك الليلة. بعد العشاء، وبعد أن أفزعنا أورفيل رولف بمشكلة جهازه الهضمي، عندما ذهبت أنا وراندال إلى الفراش. لقد أقر لي على الفور بما فعل بكأس الماء، وقال إن جوزيف ربما مات الآن،

وسيتم اكتشاف جثته في الصباح، وكان يريد أن يذهب ويتخلص من الكأس المذكور. كان قد وضع قطعة صغيرة من الورق على قاعدته حتى يتمكن من العثور عليه كما قال. كما كان يريد أن يضع بعضًا من الإستركنين في واحدة من زجاجات الدواء الزائفة في غرفة جوزيف. وبهذه الطريقة، سيعتقد الجميع أن السم قد دُس في وقت سابق للوقت الحقيقي بكثير".

نهضت كلاوديا من مقعدها وسارت إلى حيث تجلس الليدي بلايفورد وقالت: "كان الغضب يملكني يا أمي. لم أقترح على راندال أن يعدل عن نيته لقتل جوزيف فحسب - بل أمرته أن يعدل عن تلك الفكرة في وقت سابق من ذلك اليوم، ولكنه عصاني. كان كل هذا من أجل التشريح الذي لن يخبرنا إلا بأمر نعلمه بالفعل. لهذا السبب، خاطر بأن يُعدم ويتركني وحيدة. حسنًا إذن، لقد فكرت في الأمر. سأريه أن زوج كلاوديا بلايفورد المستقبلي لا يمكنه أن يعصي أمرها وينجو بفعلته. قلت له أن يذهب ويسرق كأس الماء ويدس السم في زجاجة الدواء. وبمجرد أن انصرف، تبعته وهبطت الدرج متسللة على أطراف أصابعي. وسمعته يفلق باب غرفة جوزيف بعد بضع دقائق - بعد أن دس السم بنجاح في زجاجة الدواء كما ظننت. وعندما سمعت صوت خطواته تبتعد، استنتجت أنه توجه إلى المطبخ لبحث عن كأس الماء، وراهننت على أنني سأذهب إلى غرفة جوزيف ولن أجد فيها غيره.

"حسنًا، لا تنظروا لي هكذا كما أنكم لا تستطيعون تخيل ما سيحدث تاليًا. لقد كان جثة هامة، كما تحبين أن تقولي يا دورو. وضعته على كرسيه المتحرك، ودفعته إلى غرفة الجلوس، وألقيته على الأرض، وأمسكت بتلك الهراوة القبيحة التي كان يملكها أبي لكي أتأكد من إفضال خطة راندال. هل تحداني من أجل هوسه المريض بفتح جثة جوزيف سكوتشر؟ حسنًا، سأعاقبه بأن أجمل سبب الوفاة واضحًا ولن توجد حاجة لتشريح الجثة -

سأحرم راندال من الشيء الوحيد الذي ظل يريده لفترة طويلة، وسأعاقبه بشدة. وسيعلمه هذا أن يستمع لي في المستقبل".

صمتت كلاوديا للحظات لتجمع شتات نفسها ثم قالت: "لم أكن أعلم أن الشبهة الجنائية للوفاة تؤدي دومًا إلى التشريح. أخبرني راندال بهذا لاحقًا، عندما تراضينا. نعم، لقد تراضينا. وأوضحت له أنه على الرغم من أنني أحبه، فلن أسامحه أبدًا. لست جيدة فيما يتعلق بمسامحة الناس. لهذا السبب حطمت رأس رجل ميت. هل تعلم يا بوارو؟ لقد استمتعت بالأمر كثيرًا – تحطيم رأس جوزيف بالطريقة التي فعلتها – لأنني كنت غاضبة! غاضبة من راندال وهوسه بجوزيف وذلك الإثبات السخيف الذي ظل يبحث عنه طوال سنوات، ومن جوزيف لأنه سبب كل تلك المشكلات من البداية بأكاذيبه الغبية غير الضرورية، وكنت غاضبة من نفسي – لأنني أحببت راندال وانبهرت بجوزيف، رغم أنني كنت قد أصبح أفضل حالًا من دونهما". زفر كيمبتون وقال: "كم جرححتني كلماتك يا حبيبتي"، وللمرة الأولى على الإطلاق، لم يبد راضيًا عن نفسه أو حازمًا.

سأله بوارو: "ماذا حدث بعدما تخلصت من الكأس الزجاجية ووضعت السم في الزجاجة الزرقاء؟".

قال كيمبتون: "عدت إلى غرفة نومي، وتوقعمت أن أجد كلاوديا هناك، ولكنها لم تكن هناك. بحثت عنها في كل مكان، ثم عثرت عليها – مع جثة سكوتشر في غرفة الجلوس تحطم رأسه وتصرخ فيه هي أن واحد. نعم، كنت في المكتبة، وكان الباب مفتوحًا. لم أستطع الاقتراب منها. لم يمنعني الدم أو غضبها. وستضحك من السبب يا بوارو، ولكن في تلك اللحظة – عندما رأيت كلاوديا تحطم رأس سكوتشر بالهراوة، وكل تلك الدماء، وكانت تتحدث إليه، تتحدث إلى رجل ميت، أدركت حينها أن خطتي قد نحت

المنحى الخطأ تمامًا. ووقفت أدقق فيما يحدث ولم أتمكن من الحركة – ليس نحو المشهد المروع، ولا بعيداً عنه. لقد كانت تلك أسوأ لحظات حياتي على الإطلاق. فكرت: يمكننا إصلاح الأمر وتغطية آثاره... لم أظل حريصاً وكتومًا طوال تلك السنوات لتأتي المرأة التي أحبها وتتهم بجريمة القتل. ثم سمعت صوت باب يُغلق، وأدركت أن هناك شخصاً قادمًا". نظر كيمبتون بمرود إلى صوفي بورليه كما لو أن الموقف الذي وجد نفسه فيه الآن بسببها. قالت الليدي بلايفورد: "بوارو، يجب أن نخبرنا كيف اكتشفت كل هذه الأمور. أقدر كثيرًا موضوع مسرحية الملك جون والتابوت المفتوح، ولكن، هل كان هذا كل ما استخدمته لتحل اللغز؟".

قال بوارو: "لا. لقد عثرت على طبيب في أوكسفورد كان طبيب جوزيف سكوتشر ذات مرة، وأمدني ببعض الحقائق المثيرة. أولها أن سكوتشر كان سليمًا وغير مريض، وأن أيريس جيلو ذهبت لزيارته قبل وفاتها بيومين، وكانت ترغب في معرفة إذا ما كان سكوتشر يعاني بالفعل مرضًا كلويًا قد يقتله ذات يوم أم لا. قال لها الطبيب إنه لا يمكنه أن يمنحها معلومات من هذه النوعية. ثم اتصل بسكوتشر ليسأله عن السبب الذي دفع امرأة شابة لتسأله ذلك السؤال الغريب. بعد يومين، ماتت أيريس جيلو – قتلها سكوتشر مرتديًا الملابس التنكرية نفسها واللحية الزائفة التي ارتداها عندما انتحل شخصية بلايك سكوتشر ليخدع راندال كيمبتون.

"كما ذهبت إلى أحد المستشفيات وتحدثت إلى طبيب آخر، الطبيب جوسي – الذي أمدني ببعض المعلومات عن تدريبك الطبي أيها الطبيب كيمبتون. وكان قد ذكر أنك سألته خلال يوم تدريبك الأول عن الفارق الظاهر، من حيث الشكل، بين الكلية السليمة والمريضة، وعما إذا كان الطبيب الذي يُجري عملية التشريح يمكنه التفرقة بينهما بسهولة. وكان ما

أثار انتباهه أن السؤال لم يكن من الأسئلة المعتادة. والجدير بالذكر أيضًا، هو أنك عندما قررت ترك دراسة مسرحيات شكسبير ودراسة الطب، فعلت ذلك بعد ١٥ يومًا من موت أيريس جيلو، وكان هذا هو الحافز الذي دفعك للإصرار على معرفة الحقيقة بشأن مرض سكوتشر.

"هذا كل شيء تقريبًا. وقبل أن أنتهي، يجب أن أقول إن صديقي كاتشبول ساعدني كثيرًا على حل اللغز. فكما ترون، كان هناك أمر واحد فقط غير منطقي، على الرغم من منطقية جميع الأمور الأخرى: كيف كان جوزيف سكوتشر قد مات بسبب السم ويتحدث ويرجو الإبقاء على حياته في غرفة الجلوس في آن واحد؟ ثم اقترح كاتشبول فكرة مثيرة. لقد نصحتني بأن أعر على أمر ثالث – أمر يجعل الأمرين المتناقضين حقيقيين ومنطقيين. فإذا كان سكوتشر ميتًا وسمعت صوفي بورليه ما ادعت أنها سمعته... فمن الجلي أن الرجل الذي سمعته يتحدث لم يكن جوزيف سكوتشر! حينها أصبحت جميع الأمور منطقية وأشارت جميع الأدلة إلى أن راندال كيمبتون هو القاتل. بقي أمر واحد فقط لا يمكنني فهمه... هل لي أيها الطبيب كيمبتون أن...؟".

قال كيمبتون: "أسأل ما يحلو لك وسأجيبك. وهذا ليس اقتباسًا من أي شيء. أعتقد أنك ستسأل عن الفستان الأخضر، أليس كذلك؟ هل تريد أن تعلم أين هو؟".

قالت كلاوديا بهدوء: "أريد أن أعرف أنا أيضًا، فقد كان فستاني المفضل".

قال كيمبتون: "أنا فخور بنفسي فيما يتعلق بإخفاء الفستان. لقد كان مغطى بالدماء، وكان المنزل يعج برجال شرطة الجاردا ليفتشوه. ثم ابتسم

لي القدر وأنهمني بفكرة لامعة. لقد فكرت في المكان الوحيد الذي لن يفكروا في البحث فيه".

سأله بوارو: "وأين هو هذا المكان؟".

قال كيمبتون: "الحقيبة الجلدية الفوضوية التي تخص طبيب الشرطة، كلاودر. إنه الطبيب نفسه الذي أضاع مفاتيح سيارته ولم يتمكن من حضور التحقيق. لم يكن رجال الشرطة ليفكروا في تفتيش أشياء طبيبيهم، وهذا ما حدث بالفعل. لقد مزقت الفستان ووضعت في حقيبة كلاودر، وحشرتها في قاعها. وعندما رأيت ما يوجد فيها، تيقنت من أنه ليس بالشخص الذي قد يفرغها على طاولة ليري ما بداخلها في أي وقت قريب. إن تلك الحقيبة مليئة بالكثير من الأشياء التي ظلت في مكانها لسنوات. أعتقد أن القماش الأخضر المقلم المغطى بالدم لا يزال هناك، وسيظل في مكانه لسنوات – إلا إن أمرته أنت بإخراجه أيها المحقق كونري".

فتح كونري فمه ليتحدث ولكنه فضل ألا يفعل.

قال بوارو: "كان يجب أن أفكر في هذا المكان. حقيبة الطبيب، بالطبع، وهل يوجد مكان أفضل؟".

أخرج كيمبتون قنينة صغيرة من جيب معطفه وأزال غطاءها وتجرع كامل محتوياتها مرة واحدة وقال: "لا تبخل على نفسك بامتلاك شيء مفيد يا بوارو، هذه نصيحتي لك. امتلك دومًا المزيد منه".

شهقت من المفاجأة وسمعت الآخرين يفعلون المثل. ورأيت جاذر كول يرتجف، وسمعت شهقة عالية صدرت من الليدي بلايفورد في مؤخرة الغرفة.

صاحت دورو: "لا، هذا فضيلع، لا يمكنني أن أحتمل المزيد. من المؤكد أن هناك شيئًا يمكننا فعله حتى..."، ولم تتمكن من إكمال جملتها.

قالت كلاوديا لكيمبتون بهدوء: "لقد استسلمت مرة أخرى. حسناً إذن. دعنا نصعد إلى الطابق العلوي يا حبيبي. هل هذا مسموح به يا بوارو؟ أعتقد أنه من الأفضل ألا نجعل الجميع يرون مشهداً مروّعاً آخر".

قال كيمبتون: "دعيني أذهب بمفردي يا حبيبتي".

قالت كلاوديا: "لن أسمع لك بهذا".

قالت الليدي بلايفورد بصوت مرتجف: "راندال، قبل أن تذهب... أريد أن أقول لك... من الغريب اختلاف الناس عن بعضهم البعض. بالنسبة لك، لقد حُل لغز جوزيف سكوتشر، ولكن، بالنسبة لي، تأكدت، بعد الذي فعلته، أنه لن يُحل أبداً. لقد علمنا بالفعل، من كان يهتم بالملاحظة من بيننا، بحقيقة حالة جوزيف الصحية. ولكننا لم نعلم سبب ما فعل أو ما كان بمقدورنا أن نفعله حياله. بالنسبة لي، لم أكن أهتم بما إذا كانت كليته سليمتين أم مريضتين، بل كنت أريد أن أعرف المزيد عن آماله ومخاوفه، من كان يحب ومن فقد — إذا ما كان هناك، تحت كل هذه الأكاذيب، قلب صادق ينتظر أن يُستغل الاستغلال الصحيح. وبسببك، أصبح من المستحيل أن أعرف أيًا من هذا. لا أقصد بهذا أن أجعلك تشعر بالسوء أكثر مما تشعر حالياً. ولكني لا أستطيع أن أفهم لماذا قد يتحمل شخص ما كل هذه الصعاب ليثبت أمراً غير مهم على الإطلاق".

بدا كأن كيمبتون يفكر فيما قيل ثم قال بعد لحظات: "نعم. أعلم أنك قد ترين الأمر من هذا المنظور. ولكني كنت أراه بشكل مختلف. لا شك في أنك تحبين تأليف القصص، ولكني أفضل الحقائق. يؤسفني أن أقول إنه من وجهة نظري، كان أسلوبه هو الفائز. في نهاية المطاف، ومن دون الحقائق الظرفية الراسخة، يمكن لأي أحد أن يطلب من أي أحد أن يصدق أي شيء،

ولن تكون هناك قصة أفضل من غيرها"، ثم التفت إلى كلاوديا وقال: "هيا يا حبيبتي، دعينا ننصرف".
وغادرا الغرفة وقد تشابكت أيديهما.

خاتمة

في صباح اليوم التالي، وقفت مع بوارو خارج المنزل في انتظار السيارة. كان من الصعب أن أصدق أننا على وشك مغادرة منزل ليلى أوك. وأخبرت بوارو بهذا ولكنه لم يجبني.

قلت: "بوارو؟ هل أنت بخير؟".

قال: "أنا أفكر".

قلت: "يبدو أنك تفكر في أمر جدي، أيًا كان".

قال: "ليس بالتحديد. ولكني أجده مثيرًا للاهتمام".

قلت: "وما هو؟".

قال: "لقد دُعيانا إلى ليلى أوك، أنا وأنت، كضمانة. كانت الليدي بلايفورد تعتقد أنه لن يجرؤ أحد على ارتكاب جريمة قتل في أثناء وجود هيركيول بوارو في المنزل! لن يكون أحد بهذا القدر من الغباء. ولكن، لقد تجرأ شخص ما بالفعل – لقد كان راندال كيمبتون على ذلك القدر من الغباء ليرتكب جريمة القتل. وقد مات الآن... كان يمكنه أن ينتظر. ففي خلال

أسبوع، سيرحل بوارو! في خلال أسبوع، سيظل الهوس بفتح جسد جوزيف سكوتشر المغلق على حاله، ولن تقل قوته! لماذا لم ينتظر كيمبتون؟".

قلت: "لقد رأى فرصة سانحة واتخذ قرارًا متسرعًا. بوارو، إنني أشعر كما لو أنك كنت ترغب في أن ينجو بفعلته".

قال: "لا تمزح يا كاتشبول. أنا سعيد لأن جريمته لم تمر دون عقاب بالطبع، ولكن... لست سعيدًا لأنه لم يقدرني حق قدري. لم يعدل من فوره عن القتل في ظل وجود هيركيول بوارو... ألم يسمع بإنجازاتي؟ أعتقد أنه فعل، ولكنه لم ينبهر بها. لقد كان يسخر من أسلوبِي —".

قلت بحزم: "بوارو". فكرت حينها أن جرائم القتل ليست وحدها التي تقوم على السلوكيات المهووسة.

قال: "نعم يا صديقي".

قلت: "لقد مات راندال كيمبتون، وقد يكون أسلوبِي صبيانًا إن قلت ما يلي، ولكني سأقولها، لقد فزت وخسر هو".

تذكرت حينها أن هناك خاسرين آخرين لا يستحقون الخسارة مثل كيمبتون، وكنت أهتم لأمرهم أكثر منه. ربما كنت مخطئًا لأنني شعرت بما شعرت به، ولكني لم أتمكن من منع نفسي عن التفكير في أن أية أكاذيب قالها أي أفعال شائنة فعلها، كان جوزيف سكوتشر يرغب بشدة في أن يكون إنسانًا صالحًا، وربما كان قد يصبح رجلًا صالحًا ذات يوم. كان قد التقى براندال كيمبتون الرائع في أوكسفورد، وأعجب به كثيرًا، وتمنى لو كان مثله، وسلب منه حبيبته، وتبعه لدراسة أدب شكسبير ثم إلى داخل عائلة بلايفورد — ولكنه لم يفكر في تقليد اعتداد كيمبتون بنفسه أو أسلوبه الصارم أو عدم مراعاته لآراء الآخرين ومشاعرهم.

لم أكن أرغب في أن أفكر في مدى احتمالية قتل سكوتشر لأيريس جيلو. كانت كلماته العظوفة التي قالها لي في غرفة الاستقبال قبل العشاء ليلة مقتلته هي أرق وألطف كلمات قالها لي أحد في حياتي. أعلم أن هذا ليس مبررًا لتأكيد أنه لم يقتلها. ولكن، بالنسبة لي، هذا غير مهم.

قال بوارو: "أعتقد أنه في خلال انتظارنا للسيارة، سيكون من الأفضل أن نلهي أنفسنا بالتحدث عن السؤال الوحيد الذي لم يُجب عنه بعد". قلت: "لم أكن أعلم أن هناك سؤالاً لم يُجب عنه بعد".

قال: "لماذا تقدم سكوتشر للزواج من صوفي بورليه بعد أن سمع بخبر وصية الليدي بلايفورد الجديدة مباشرة؟".

قلت: "نعم، أعتقد أنك محق. ولكني لا أعرف السبب"، ولم أرغب في إضافة المزيد، وأقول: "وأعتقد أنك لا تعرف أيضًا". لن يعجب الأمر هيركيول بوارو أن يتم التقليل من شأنه مرة أخرى، ومن خلال صديقه المقرب هذه المرة.

قال: "لديّ بضع نظريات. إحدها أنه كان يشعر بأنه عرضة للقتل ما دام أنه هو المستفيد الوحيد من وصية الليدي بلايفورد. كان يعتقد أنه قد يقنعها بأن تعيد وصيتها الأولى إن أثار غضبها أو غيرتها أو كليهما. وعبر خطبة ممرضته، أعتقد أنه سيتمكن من تحقيق هذا". قلت: "أشك في أن هذا هو دافعه".

قال: "دعنا إذن نجرب نظرية بسيطة: كان سكوتشر يرغب في معاقبة الليدي بلايفورد. كانت قد سببت له مشكلة كبيرة بتغيير وصيتها، وخشى أن يتهمه أحد على الفور بأنه محتال، ولام الليدي بلايفورد على ذلك. وعبر اختيار تلك اللحظة للإعلان عن حبه لصوفي بورليه بدلاً من توجيه كلمات الامتنان إلى الليدي بلايفورد، حرّمها مما كان يعلم جيداً أنها تحتاج إليه

بشدة: اهتمامه. وفجأة، لم تعد الشخص الذي يوليه سكوتشر الاهتمام الأكبر".

قلت: "تلك النظرية أكثر ترجيحًا من النظرية الأولى، ولكني لا أزال غير مقتنع. ماذا عن النظرية التالية، ما دمنا لا نزال في مرحلة التخمين: تقدم سكوتشر للزواج من صوفي ليضمن تفاضليها عن موضوع مرضه الزائف. ففي وقت سابق، كان قد غازلها بكلمات الغزل نفسها التي وجهها إلى فيليس، وكان هذا كافيًا بالنسبة لصوفي. ولكن، إن علمت أنه لا يهتم في الحقيقة، ومن المؤكد أنها كانت تعرف، وسمعت فجأة أن الليدي بلايفورد ستترك كامل ممتلكاتها إلى جوزيف سكوتشر المسكين المريض... حينها، ستشعر فتاة على خلق مثل صوفي بأنه يجب عليها أن تقول الحقيقة. وقد ترى سلوك سكوتشر مثيرًا للريبة. تذكر أن الليدي بلايفورد لم تقل لأحد شيئًا عن أنها تعرف الحقيقة، وتظاهرت بأنها قد خدعت بقصة مرض الفضل الكلوي".

قال بوارو: "لذا كان عرض الزواج من صوفي هو الطريقة الوحيدة لضمان ولائها واستمرارها في حفظ السر، كما ربما دار في ذهن سكوتشر. نعم، إنها قصة جيدة، ولكني أفضل قصة أخرى. أفضل نظرية أن جوزيف سكوتشر أحب صوفي بورليه بالفعل".

قلت: "وهل تعتبر تلك نظرية؟ كان هذا هو التفسير الواضح للأمر في نهاية المطاف".

تجاهل بوارو سؤالي وقال: "الخوف من أن يُكتشف أنه كاذب – أو أنه كان يخشى أن يقتله شخص ما لا يريد أن يرث مزرعة ليلي أوك – لقد تصرف سكوتشر المصدوم بطريقة أكثر صدقًا مما اعتاده. لقد أحب تلك الفتاة التي قبلته هو وجميع أكاذيبه من دون أن تقول شيئًا، والتي أدت، دون

أن تشكو، جميع الأعمال لصالح الليدي بلايفورد، والتي كان سليمًا معافى بما يكفي لكي يؤديها هو. لربما كان يحب صوفي بورليه منذ فترة طويلة، ولكنه لم يفصح عن هذا صراحة، فقد كان من الأسهل بالنسبة له أن يقول الأمور غير الحقيقية. وحتى في تلك الليلة، في لحظة الكارثة الوشيكة، كان من المهم بالنسبة له أن يقول الحقيقة".

ابتسمت قائلاً: "إنه رجل مسن شاعري يا بوارو". ربما لو كنت كذلك أيضًا، لأمكنني أن أنكر في تلك اللحظة مدى حبي لصديقي البلجيكي الواقف أمامي.
"إدوارد".

كان هذا صوت جاذر كول الذي يدعوني، فالتفت نحوه، ورأيت يتقدم نحونا وهو يقول: "اعتقدت أنني سأجد أنكما قد رحلتما".
قلت: "لا، ليس بعد".

في تلك اللحظة، خرجت الليدي بلايفورد مسرعة من المنزل مرتدية زي الكيمونو، وكان وجهها شاحبًا، وبدت أكبر سنًا وأصغر حجمًا من ذي قبل. كانت تبسم ابتسامة غريبة وهي تقول: "بوارو! إياك أن ترحل قبل أن أتحدث معك! لدي بعض الاستفسارات عن كتابي القادم، ولا يمكن لمايكل أن يفيدني اليوم – أليس كذلك يا مايكل؟ إنه شارد الذهن تمامًا. بوارو، هل تذكر قصة التكر التي قصصتها عليك؟ استمع إلى فكري. ماذا لو لم يكن تكررًا بل تغييرًا في الشكل، تغيير شكل الوجه؟ بعيدًا عن الأنف بالطبع – بالطبع لا! لقد ذكرت الأنف عدة مرات في كتابي الحالي وأنا لا أحب التكرار. ماذا عن شفة أرنبية تم إصلاحها أو... آه، أو أعيد ترميمها – نعم، أحب هذا. ولكن، لماذا قد يفعل أي شخص أمرًا مثل هذا؟ وهل أريد أن تدور جميع كتبي حول فكرة العمليات الجراحية؟ لا أعتقد هذا. كما أنه يجب

على المرء ألا يثير حفيظة قرائه، والذين هم، في نهاية المطاف، مجرد أطفال. أعتقد أن الناس يدللون الأطفال كثيرًا، أليس كذلك؟ هناك الكثير من الأمور الفظيعة التي تحدث للوجوه في بعض الأحيان، وأعتقد أنه كلما أدرك الأطفال هذا في وقت مبكر، كان أفضل".

تبادلت الابتسام مع جاذركول وتحركت مقتربًا منه قليلًا، فقال: "أنا أحسدك، ستمود إلى لندن. أخشى أن الليدي بلايفورد ليست على طبيعتها، ولكنها تتظاهر بالعكس بالطبع".

وافقته قائلاً: "هذا صحيح. إلى متى ستبقى في ليلي أوك؟". قال: "لا أعلم. أريد أن أبقى لأتابع الأمور لبعض الوقت. على سبيل المثال كلاوديا... لا أعتقد أن الأمور بينها وبين الليدي بلايفورد ستعود مثل السابق وأريد أن أكون هنا لأساعدهما كليهما قدر إمكاني".

تبادلنا بطاقات العمل وتصافحنا. وفي تلك اللحظة، توقفت السيارة بجوارنا عندما كانت الليدي بلايفورد تقول: "هذه فكرة ذكية... ذكية للغاية. أعتقد أنه لن يكون أمامي خيار آخر عدا أن أكتب إهداء لك في كتابي القادم يا بوارو".

ثم التفتت لي بينما كان السائق يفتح باب السيارة وقالت: "إلى اللقاء يا إدوارد، ومعدرة على أنني خيبت أملك". قلت: "إنك لم تفعلي".

قالت: "بل فعلت - عبر عدم كوني القاتلة".

قلت: "لم أعتقد قط أنك القاتلة أيتها الليدي بلايفورد".

قالت: أخشى أنك فعلت في الحقيقة - أنت دون غيرك"، وبدأ عليها الحزن الشديد للحظات، ثم عادت ابتسامتها للظهور من جديد وهي تقول: "ولكنني وجدت الأمر ممتعًا - وجعلني أشعر بالرضا عن نفسي"، ثم زفرت

وقالت بصوت خافت: "يمكنك أن تعترف بالأمر، ولن أشعر بالإهانة إطلاقاً، ولا حاجة بك لأن تشعر بالذنب. إنك تعيش حياة خالية من الندم - خالية من الندم تماماً"، ثم أمسكت ذراعي وقالت: "أنا عجوز، ولكن، لو كنت شابة مثلك، لأستمتعت بحياتي، ولم أكن لألقي بالاً لما قد يعتقد الناس بشأني. أنت ترى هذا في شخصيتي - أعرف أنك ترى هذا في شخصيتي. لهذا السبب كنت تشك في أنني القاتلة. هل هذا صحيح؟". ولمعت عيناها في تلك اللحظة بفعل قوة غامضة.

لم أفهم ما تقول ولم أكن أرغب في هذا. لقد بدا لي ما قالته مبهمًا ومعقدًا، فقلت: "أيتها الليدي بلايفورد، أؤكد لك أن —".
لوححت بيدها لكي أصمت وتحدث هي قائلة: "حسنًا، لا عليك من هذا الآن. إدوارد، هل يمكنني أن أطلب منك شيئًا؟ هل تمانع لو وضعت شخصيتك في واحدة من رواياتي ذات يوم؟".

مكتبة الرمحي أحمد

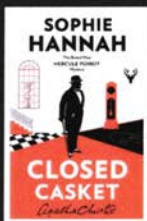
telegram @ktabpdf

اجاڤا كريستي & كتاب رواية

مجموعة روايات لأجاثا كريستي

١. شاهد الادعاء وقصص أخرى
٢. شركاء في الجريمة
٣. جريمة على ملعب الجولف
٤. خطر في إند هاوس
٥. تحريات بوارو
٦. شجرة السرو الحزينة
٧. الأفيال تستطيع أن تتذكر
٨. الأربعة الكبار
٩. لغز المشكلات الثلاث عشرة
١٠. خداع المرايا
١١. جريمة من ثلاثة فصول
١٢. لغز الكاريبي
١٣. إعلان عن جريمة
١٤. جيب مليء بالحبوب
١٥. جريمة وانتقام
١٦. بيت الرجل الميت
١٧. سر جريمة تشيمينيز
١٨. الجواد الأشهب
١٩. الرجل ذو السترة البنية
٢٠. تحريات باركرباين
٢١. السيد كوين الغامض
٢٢. جريمة في بغداد
٢٣. لغز القطار الأزرق
٢٤. موت في السحاب
٢٥. أوراق لعب على الطاولة - قصة لبوارو
٢٦. واختفى كل شيء
٢٧. ثلاثة فئران عمياء وقصص أخرى
٢٨. الموعد الدامي
٢٩. جريمة في قطار الشرق السريع
٣٠. من الذى قتل السيد روجر أكرويد
٣١. جثة في المكتبة
٣٢. جريمة قتل في المعبد
٣٣. الأصابع المتحركة
٣٤. أبجدية القتلى
٣٥. القهوة السوداء
٣٦. ضيف غير متوقع - الثأر المميت
٣٧. شبكة العنكبوت - منزل مليء بالأسرار
٣٨. جريمة في بلاد الرادفين
٣٩. لغز المنبهات السبعة - الجريمة الغريبة
٤٠. لماذا لم يسألوا إيفانز
٤١. الموت يأتي في النهاية
٤٢. القتل السهل
٤٣. السيانييد الساطع
٤٤. كلب الموت - أصوات الأرواح

٤٥. راكب إلى فرانكفورت
٤٦. ليلة لا تنتهي - المنزل الملعون
٤٧. محنة البريء - جراح قديمة تعود من جديد
٤٨. المنزل الأعوج - جريمة قتل في منزل آل ليونيدز
٤٩. ساعة الصفر - الجريمة الكاملة
٥٠. المرأة المتصدعة من جانب لآخر - رواية للآنسة ماربل
٥١. لغز فندق برترام
٥٢. الجريمة النائمة - عندما يعود الماضي لينتقم
٥٣. الشاهد الصامت - مقتل الآنسة إميلي أرونديل
٥٤. واحد اثنان اربط حذائي - جريمة غامضة تجمع بين أشخاص لا صلة لهم
٥٥. قطرة بين الحمام - جثة في صالة
٥٦. بعد الجنازة - الموت المتوقع
٥٧. الأجوف - جريمة قتل على المسبح، أسرار عائلية غامضة
٥٨. شر تحت الشمس - جريمة قتل على شاطئ البحر
٥٩. جريمة في شارع هيكوري دوك - انتشار هوس السرقة في بيت الشباب
٦٠. جريمة قتل في الإسطبلات
٦١. الستارة القضية - الأخيرة للمحقق بوارو، العودة إلى قضية ستايلز
٦٢. ن أوم؟ من هو العميل؟ لغز تومي وتوينس
٦٣. العدو الخفي - المهمة المشؤومة
٦٤. القضية الغامضة في مدينة ستايلز



بعد النجاح العالمي لرواية
"جرائم الأحرف المزخرفة"
وبعد 100 عام من تخيل أجاثا كريستي له للمرة الأولى،
هيركيول بوارو يعود في رواية صوفي هانا الجديدة
التابوت المغلق.

خططت ليدي أثيلندا بلايفورد لحفل منزلي في قصرها في كلوناكيلتي، بمقاطعة
كورك، ولكنه ليس تجمعا عاديا. عند وصول الضيوف، تستدعي ليدي
بلايفورد محاميها لإجراء تغيير عاجل على وصيتها - تغيير تنوي إعلانه على
العشاء في تلك الليلة. لقد قررت أن تحرم طفلها من كل شيء وأن تترك ثروتها
لشخص لم يتبق على حياته سوى أسابيع...

من بين ضيوف ليدي بلايفورد رجلان لم تلتق بهما من قبل - المحقق
البلجيكي الشهير، هيركيول بوارو، والمفتش إدوارد كانتشبول من مركز شرطة
إسكوتلاند يارد. لا يعرف أي منهما سبب دعوته... حتى يبدأ بوارو في التساؤل
إذا ما كانت ليدي بلايفورد تتوقع حدوث جريمة قتل. ولكن لماذا تبدو مصممة
جدا على إثارة غضب المدعين، في حضور قاتل محتمل؟

عندما تُرتكب الجريمة، رغم جهود بوارو لمنعها، ولا تكون الضحية هي تلك
التي توقعها بوارو، هل سيستطيع العثور على المجرم وحل اللغز؟

أجاثا كريستي

استكشف المزيد على

www.agathachristie.com

الموقع الإلكتروني الرسمي



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
not just a bookstore

مكتبة الرمحي أحمد